الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية

النحو العربي
وقضية التجديد والتيسير فيه
ـ الواقع والجمود ـ

رسالة قدّمها

ستار عايد بادي العتابي

إلى المجلس العلمي في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية /لندن
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية / فلسفة النحو

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتورة

نضال حسن سلمان الأسدي

جمادى الأولى ١٤٢٨هـ آيار ٢٠٠٧

((لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ))

ω

النحل : آية ١٠٣

الإهـــــــــــــداء

إلـيكَ
يـا مَـنـار الـعِلْم
وبـابَ مـديـنـتـه
(أسمح لـي يـا سيـدي)
إنـي دخلتُ إلـى مـديـنـتك فـلا تـردنـي خـائـبـاً
إلـيكَ
يـا أمـيـر الـبلاغة ، وأمـيـر الـمؤمـنـين (عـلـيك الـسلام)

أقـدّم جهدي الـمتـواضع ، لـعلّه يـنـال الـقـبـول .

ستـار عـايـد الـعـتـابـي

شـــــــــكر وتقـــدير

بعد مسيرة طويلة في البحث والتقصي ، مَدَّ لي يد العون كرامٌ كثيرون، سواء أكان بالكلمة الطيبة أم الكتاب المفيد ، فأحمد الله تعالى على تيسيره ما صعب من أمر بحثي بواسطة هؤلاء الأفاضل الذين أفاضوا عليَّ من كرمهم الكثير، فلا يسعني إلاّ أنْ أقدّم الشكر والتقدير والاعتزاز، ومن القلب:

- إلى رئاسة الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، متمثلة بشخص الأستاذ الفاضل الدكتور محمد علي الشهرستاني رئيس الجامعة ،والأب الكبيرلما منحنا من عطفه الأبوي ، وسماحته ، وكريم فضله ، فله من القلب الحُبُّ الصادق والتقدير ، وأطال الله عمره وأمدّه بوافر الصحة .
- وإلى القائمين على قسم الدراسات العليا في الجامعة لمتابعتهم الجادة سير دراستنا مع الاحترام .
- وإلى لجنة المناقشة رئاسةً وأعضاءً ، لما عانوه في قراءة هذه الرسالة ، وما أفاضوه على الباحث والبحث من ملاحظات قيّمة وسديدة دعمتها ، وزادتها فائدة ، مع وافر التقدير والاحترام .
- وإلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة نضال حسن سلمان التي تفضّلت عليّ بالإشراف على رسالتي، ومدّها يد العون لي ، إذ ما فتئت تحثني وتشجعني على الجدّ والمواصلة في البحث ، ولم تتوانَ يوماً عن المتابعة والتوجيه ، فكانت بحقّ خير معوانٍ في إخراج هذه الرسالة بهذا الشكل ، أسأل الله أنّ يمنّ عليها بوافر الخير والصحة .
- وإلى الأختين الفاضلتين (آيات و وداد) في مكتب الجامعة ببغداد ، لتحملهما إزعاج هاتفي في كلّ وقت ، ولتعاونهما معي .
- وإلى أستاذيّ الفاضلين الدكتور فاخر الياسري ، والدكتور فالح حمد من جامعة البصرة ، مع التقدير .
- وإلى الأستاذ والمربي العزيز عبد المنعم محمد مع التقدير .
- وإلى زملاء الدرب الطويل : ماجد عطيه ، وعزيز عبد ، ورحيم حبيب ، وأحمد عباس مع إعتزازي بهم وبصداقتهم .
- وإلى أمين مكتبة الغراف (أبو أحمد) مع الإحترام .
- وإلى المرأة التي تحملتني بكُلِّ ما فيّ ، وصبرت على المعاناة أثناء رحلتي في البحث ، إلى زوجتي العزيزة جداً (أمّ عليّ) الحب الخالد .
- وإلى كلِّ أخٍ وصديقٍ مد لي يد العون والمساعدة الامتنان الكبير .

أسأل الله العليّ القدير أن يوفق الجميع ، ويمنّ عليهم بوافر الخير ، إنّه سميع مجيب.

الباحث

المحتويات

التسلسل	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	١
٢	التمهيد مدخل إلى علم النحو	٨
٣ أ	الباب الأول : نشأة النحو وتطوره	١٤-١٧١
	الفصل الأول : نشأة النحو	١٥ -٦٠
	المبحث الأول : تعريف النحو (لغة واصطلاحاً)	٢٠
	المبحث الثاني : الأسباب التي دعت إليه	٢٥
	المبحث الثالث : علماؤه البارزون ومناهجهم	٣٠
	• أبو الأسود الدؤلي	٣١
	• الخليل بن أحمد	٣٢
	• سيبويه	٣٥
	• المبرد	٣٨
	• ابن السراج	٤١
	• ابن جني	٤٤
	• عبد القاهر الجرجاني	٤٦
	• الزمخشري	٤٩
	• ابن الحاجب	٥١
	• ابن مالك	٥٣
	• ابن هشام الأنصاري	٥٦
	• السيوطي	٥٨

ب	الفصل الثاني : الأصوليون وأثرهم في النحو	٦١ -٨٩
	• تمهيد : أثر النحو في الأصول	٦٢
	المبحث الأول : تعريف الأصول (لغة واصطلاحاً)	٦٤ -٦٥
	• تعريف الأصول - لغةً - اصطلاحاً	
	• موضوع علم الأصول	
	• حاجة الأصول إلى النحو	٦٦
		٦٧
	المبحث الثاني : أبرز الأصوليين وأشهر مؤلفاتهم في النحو	٦٨
	• تأسيس علم الأصول	٦٩
	• هشام بن الحكم	٧٠
	• الإمام الشافعي	٧٢
	• ابن السرّاج	٧٣
	• الشريف المرتضى	٧٣
	• ابن الحاجب	٧٥
	• جهود (آل كاشف الغطاء)	٧٥
	المبحث الثالث : أثر الأصوليين في النحو وعلمائه	٨١
جـ	الفصل الثالث : تطوّر النحو	٩٠ -١٢٨
	المبحث الأول : مسائل الخلاف النحوي	٩٣
	• تعريف الخلاف (في اللغة والاصطلاح)	٩٣
	• كتب الخلاف النحوي	٩٥
	• نشأة الخلاف	٩٦
	• طريقة عرض المسائل الخلافية	٩٧
	• دواعي الخلاف وأسبابه	٩٨
	١. العامل السياسي	١٠٠
	٢. العامل الديني	١٠١
	٣. العامل النفسي	١٠١
	٤. عامل الأنانية والحسد	١٠٢
	٥. العامل الاقتصادي	١٠٤
	المبحث الثاني : ظهور المذاهب النحوية	
	• مذهب أم مدرسة	١١٠
	• عدد المدارس النحوية	١١٠

	• نبذة عن المدارس النحوية	١١٤
	• النحو البصري	١١٤
	• النحو الكوفي	١١٥
	١. الكسائي	١٢٠
	٢. الفرّاء	١٢١
	٣. ثعلب	١٢٢
	• النحو في المناطق الأخرى	١٢٤
		١٢٦
د	الفصل الرابع : أنماط التأليف النحوي	١٢٩-١٧٦
	المبحث الأول : بداية التأليف	١٣٠
	المبحث الثاني : من أنماط التأليف النحوي	١٣٦
	• المقدمات	١٣٦
	١. مقدمة خلف الأحمر	١٣٧
	٢. المقدمة المحسبة	١٤١
	• الشروح	١٤٧
	١. تحصيل عين الذهب - الأعلم الشنتمري	١٤٨
	٢. شرح ألفية ابن مالك - ابن الناظم	١٥١
	• الحواشي	١٥٥
	١. حاشية الصبّان	١٥٥
	٢. حاشية السجاعي	١٥٨
	• المنظومات	١٦٠
	١. منظومة الخليل النحوية	١٦١
	٢. ألفية ابن مالك	١٦٦
	المبحث الثالث : هفوات التأليف النحوي	١٧١
٤	الباب الثاني : الإصلاح والتجديد في النحو	١٧٨-٢٧٢
أ	الفصل الأول : دعوات الإصلاح والتيسير في النحو	١٧٩
	المبحث الأول : من دعوات القدماء	
	• محاولة ابن رشد	١٨٥
	• محاولة ابن مضاء القرطبي	١٨٥
	المبحث الثاني : دعوات المحدثين	١٩٠
	• القسم الأول : دعوات ذات أهداف بنّاءة	١٩٥
	١. محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى	١٩٦
	٢. محاولة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	٢٠٣
	٣. محاولة الدكتور مهدي المخزومي	٢٠٦
	• القسم الثاني : دعوات ذات أهداف هدّامة	٢١٠
	١. دعوة جرجس المقدسي	٢١٤
		٢١٥

	٢. دعوة القس حنا رحماني ٣. دعوة قاسم أمين ٤. الدعوة إلى العامية ٥. دعوة شريف الشوباشي	٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٨
ب	الفصل الثاني : التجديد في النحو التمهيد : معني التجديد وأوائل الداعين إليه • تعريف التجديد - لغةً - اصطلاحاً - أوائل الداعين إليه المبحث الأول : المجامع العلمية ودوره في تجديد النحو المبحث الثاني : الترجمة ودورها في تجديد النحو المبحث الثالث : الاختلافات النحوية الجديدة	٢٢٢-٢٤٥ ٢٢٣ ٢٢٣ ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٣٤ ٢٤١
جـ	الفصل الثالث : واقع الدراسات النحوية المبحث الأول : دراسات تدعو للإبقاء على القديم المبحث الثاني : دراسات تدعو إلى التجديد في قديم النحو وإصلاحه المبحث الثالث : دراسات تدعو إلى التغيير والتجديد المبحث الثالث : الآثار الفنية لهذه الدعوات	٢٤٦-٢٧٤ ٢٤٨ ٢٥٤ ٢٦٣ ٢٧٢
٥ أ ب	الخاتمـــــة النتائج المقترحات	٢٧٥ ٢٧٦ ٢٨٠
٦	مصادر البحث ومراجعه	٢٨١
٧	ملخص الرسالة بالانكليزية	٣٠٦

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، النور الذي يتوهّج منه النور ، فيُهتدى به إلى النور ، وصلى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين ، المبعوث بالحقِّ رحمةً للعالمين .

وبعد :

كنتُ عاشقاً فتاة الخليل من زمن بعيد ، وكان رجائي أنْ أصبح مُدَرِّسها ، أتغنى بقصائدها ، وأبحرُ بين حروفها وألفاظها ، وكان الفضل لأستاذي الدكتور محمد عبد الجبار المعيبد (رحمه الله) الذي غَيَّر قبولي من الانكليزية إلى العربية . فَدَرَسْتُها وعِشْتُ معها أحبَّ الأيام ، فازداد رجائي للوصول إلى سُلّم أعلى في الدراسة ، فحالت ظروفٌ معينة منعتني في وقتها ، لكني ما برحتُ أدعو الله تعالى أنْ يمنحني الشرف الرفيع في حبّها . فكانت إجابة الله تعالى أنْ قُبِلْتُ في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية . إذ سُجِّلْتُ أول طالبٍ في الدراسات العليا فيها حينما فُتِحَتْ في العراق . فأحمد الله تعالى حمداً كثيراً يستحقه على نعمته وعظيم فضله .

وبعد أن ألتقاني السيد رئيس الجامعة الدكتور محمد علي الشهرستاني المحترم ، وجه المجلس العلمي في الجامعة رسالة قبول موضوعي (النحو وقضية التجدد اللغوي ـ الواقع والجمود ـ) . ورشّح الدكتورة (نضال حسن سلمان) مشرفة على رسالتي ، وقد غمرتني بفضلها وكرم خصالها وخبرتها . فأشارت عليّ بتعديل عنوان البحث ليصبح (النحو العربي وقضية التجديد فيه ـ الواقع والجمود ـ)[1] . فإذا كان العنوان الأول ، فلا بدّ من دراسة النحو عموماً وفي كُلّ اللغات دون تحديد مع دراسة التجدد اللغوي والصرفي ، وأنّ تحديد البحث بعنوانه الجديد ، يوجب معالجة قضايا النحو العربي ، وقضية التجديد فيه ، دون النظر في قضايا اللغة وغيرها، فيكون في ذلك بيان لواقع النحو ، ودفع الجمود عنه . فأتاح لي التعديل الجديد في البحث

١ـ من الملاحظات التي أهدتها لجنة المناقشة إضافة (التيسير) إلى عنوان الرسالة ليصبح العنوان (النحو العربي وقضية التجديد والتيسير فيه ـ الواقع والجمود ـ).

وخطته، حركة دقيقة للبحث بين المصادر ، وفرصة اكتشاف حقائق مهمة ــ قد تشكل حلقة مفقودة ــ في مسيرة النحو العربي .

ولكي تتحقق الفائدة من متابعة الرسالة لا بدّ من الإشارة إلى الأمور الآتية :

أولاً : أسباب اختيار الموضوع .

اجتمعت مجموعة أسباب أدت بي إلى اختيار هذا الموضوع . منها علمية وأخرى شخصية :

أما العلمية فإنَّها تكمن في :

أ- عدم دراسة هذا الموضوع بالطرح والطريقة ذاتها .

ب- مزج التراث النحوي قديمه وحديثه في بحث واحد .

وأما الشخصية ؛ فهي عشقي هذا العلم الجليل ، وما خلقه من تحدٍ في نفسي مع نفسي .

وقد طرح البحث فكرة جديرة بالاهتمام ، ربما تُلْفِتُ النظر إليه ، وهي دراسة النحو العربي بأسلوبٍ مختلفٍ عن نمط الدراسات السابقة في هذا الميدان ، إذ أخذ الموضوع جانبين مهمين في تطور النحو العربي .

الأول : يكمن في دراسة تأريخ النحو نفسه ، والثاني : فيما طرأ عليه من تجديد وتيسير . وعند دراسة هذين الجانبين معاً ، دراسة علمية رصينة نكون قد أسسنا ــ بإذن الله تعالى ــ لمقولة إنّ النحو العربي متطوّر أبداً ، ولا جمود فيه إلاّ في بعض أساليب دارسيه ، ومعلميه.

ثانياً : أسلوبي في متن الرسالة .

جاء أسلوبي على قسمين هما :

أ- جمع المادة وعرضها مرتباً إيّاها بحسب فقرات الرسالة .

ب- التحليل والمقارنة في بعض الأحيان .

وقد راعيتُ في ذلك ما يأتي :

- التقديم للباب أو الفصل أو المبحث دون الدخول المباشر للموضوع تمهيداً للفكرة الواردة .

- عرض الحقائق عرضاً توخّيتُ فيه أن أكونَ واضحاً ، وحيادياً ، ودقيقاً.
- تقسيم موضوع الرسالة قسمين لتسهيل دراسته والوصول به إلى الهدف الرئيس منه ، فآبتدأ البحث من القديم وصولاً إلى الحديث .

ومن خلال ذلك كُلّه يتحقق لنا هدف الرسالة الأساس ، وهو دفع الجمود عن النحو العربي ، وإثبات قدرته على التطوّر والنمو ، وأنّه يستوعب الجديد من النظريات والأفكار التي تُغذي جذوره وتصون أصالته .

ولم يكن هذا العرض سهلاً عليَّ، لكون مادة الرسالة مبثوثة في بطون المصادر المتعددة ، ويتطلب آخضاعها لمنهج الرسالة الموّحد ، جهداً مضاعفاً ، وصبراً كبيراً . وقد وفقنا الله تعالى إلى تذليل الصعب وتيسيره ، حتى توصلنا إلى نهاية عملنا .

ثالثاً- أسلوبي في الهوامش .

اتبعتُ أسلوباً واحداً في عرض هوامش الرسالة ، إذ عرض (اسم الكتاب ، واسم المؤلف ، وسنة الوفاة ـ إنْ وجدت ـ ، المحقق ، الطبعة ، والمطبعة ، مكان الطبع ، تاريخ الطبع ، ولا خروج عن هذا الأمر إلاّ في المراجع الحديثة ،أو ما أُضطرتُ إليه.

رابعاً - فكرة شاملة عن مصادر الرسالة .

كانت مصادر البحث قسمين :

أ- مصادر لغوية ، ونحوية .

ب-مصادر دينية .

أما المصادر اللغوية ، و النحوية فهي نوعان أيضاً ، الأول المصادر القديمة ، والثاني المراجع الحديثة . ومن المصادر القديمة على سبيل المثال (العين - للخليل ت ١٧٥ هـ)

و (كتاب سيبويه ت ١٨٠ هـ) ، و (المقتضب - للمبرّد ت ٢٨٥ هـ) ، و (الأصول - لأبن السراج ت ٣١٦ هـ) ، و(الأشباه والنظائر - للسيوطي ت ٩١١ هـ) ، وغيرها بحسب ما هو مبيّن في مواضعه من الرسالة .

أما المراجع الحديثة ، فمنها (إحياء النحو - لإبراهيم مصطفى)، و(الدرس النحوي في بغداد - للمخزومي) ، و (نحو التيسير - للجواري) ، و (النحو الوافي - لعباس حسن) ، فضلاً عن المجلات والدوريات ، وكذلك شبكة المعلومات (الأنترنيت).

أما المصادر الدينية ، فقد ضمّت كتب التفسير والفقه والأصول ، منها (الفصول المختارة- للشيخ المفيد ت ٤١٣ هـ) ، و (مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي ت ٥٥٢ هـ) ، و(معالم الدين- لآبن الشهيد الثاني)، و (كفاية الأصول - للآخوند) .

خامساً - وصف الرسالة والمنهج المعتمد عليه فيها .

توزعت الرسالة على تمهيد ، وبابين في كُلّ باب ثلاثة فصول ، ولكُلّ فصل مباحثه وفقراته ، تصرّفتُ فيها بأسلوبٍ مبني على الجمع والترتيب ، والتحليل والتعليل ، والمقارنة الممزوجة بالردّ في بعض الأحيان . فكنتُ فيها كالجامع المرتِّب ، والمقارِن المحلِّل .

ففي الجمع والترتيب ، آستقصيتُ مادة رسالته من المصادر ، وجمعها ثُمّ رتّبها بحسب أهميتها وزمنها ، ودرجة أثرها في اللغة والنحو. وفي المقارنة والتحليل ، وضعتُ في حسابي بعض أوجه المقارنة بين هذا الرأي وذاك ، محللاً إيّاها ، فتجدني أعرضُ رأيّاً نقدياً مرةً ، وفي مكان آخر تعليلاً لفكرةٍ ، وتارةً تحليلاً ممزوجاً بالردِّ ، إن تطلّب ذلك الأمر ردّاً .

أما خطتي في هذه الرسالة فكانت كالآتي :

أ- التمهيد (مد خل إلى النحو) :

تناولتُ فيه إشارات مهمة عن اللغة العربية ، ومكانتها بين اللغات الأخرى ، أهي موقوفة أم مصطلحة ؟ ، والى وجود النحو في اللغات الأخرى ، وأنَّ النحو العربي نتاج العقل العربي ، وغير مقتبس .

ب - الباب الأول : (نشأة النحو وتطوره) درستُ فيه نشأة النحو وتطوره ، معرفاً بالنحو وأصوله ، وأهميته ، وتدرّج التطور فيه ، وقد عرض ذلك في أربعة فصول لأهمية الموضوع وسعته وشموليته . وهي :

١- الفصل الأول : (نشأة النحو) عرضتُ فيه نشأة النحو في ثلاثة مباحث ؛ عرَّفتُ في أولها النحو لغةً و اصطلاحاً . وفي ثانيها بيّنتُ الأسباب الداعية لظهور النحو العربي، وثالثها ، تناولتُ أشهر علماء النحو ، وأساليبهم في طرح مسائل النحو .

٢- الفصل الثاني : (الأصوليون وأثرهم في النحو) تضمّن هذا الفصل ارتباط النحو العربي بالعلوم الأخرى ، ولا سيما علم الأصول ، فتناولتُ الأصول معرفاً إيّاها في اللغة والاصطلاح ، والموضوع الذي بُنيت عليه الأصول ، وتأسيس علم الأصول هذا في المبحث الأول . أما الثاني فعرضتُ فيه لأشهر الأصوليين ، وأهم مؤلفاتهم و لا سيما في مجال النحو ، واقتصر المبحث الثالث على أثر الأصول والأصوليين في النحو العربي وعلمائه .

ت-الفصل الثالث : (تطور النحو) تحدّثتُ في هذا الفصل عن تطور النحو العربي،ولهذا العنوان مدلوله في رأيتُ ، إذ جعلتُ التطور يتدرّج من مجرّد آراء وقواعد ثابتة إلى مناقشة لهذه الآراء ، وبروز آراء أخرى جديدة ، فكان في مبحثين أولهما؛ عرضتُ فيه لمسائل الخلاف بين النحاة ، التي رأيتُها خطوة مهمة في تطور النحو العربي ، دفعته إلى الأمام . والمبحث الثاني تحدّثتُ عن ظهور المدارس النحوية ، وانتشار النحو العربي في البلاد .

ث-الفصل الرابع : (أنماط التأليف النحوي) ويمثل هذا الفصل آمتداداً للفصل الثالث في الحديث عن تطور النحو العربي ، لكونه يدرس مرحلة مهمة من مراحل تطور النحو ، إذ تناولتُ فيه الموضوع بثلاثة مباحث، الأول تحدّثتُ فيه عن بداية التأليف ، وأهميته، والثاني عرضتُ فيه شواهد من أنماط التأليف ، آتخذتُ شاهدين من كل نوع من المؤلفات التي وصلت إلينا (المقدمات ، الشروح ، الحواشي ، المنظومات). أما المبحث الثالث ، فخصص بذكر هفوات التأليف النحوي .

جـ - الباب الثاني : (الإصلاح والتجديد في النحو) ، وهذا الباب مُتمّم مراحل تطور النحو التي عرضت لها الرسالة من خلال مسيرته في التدرج التاريخي للنحو العربي . وقد تضمّن هذا الباب ثلاثة فصول ، وهي :

أ – الفصل الأول : (دعوات الإصلاح والتيسير في النحو) تحدّثتُ فيه عن دعوات الإصلاح والتيسير في النحو العربي ، وأشارت الرسالة إلى أهمية هذه الدعوات الإصلاحية لمنهج النحو العربي ، وكانت في مبحثين ، أولهما عُني دعوات القدماء من النحاة ، إذ عرضت الرسالة دعوتين مهمتين في مسيرة النحو العربي ، الأولى لأبن رشد (ت ٥٩٥ هـ) والثانية لأبن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ). والمبحث الثاني ، درس دعوات المحدثين في إصلاح النحو وتجديده ، وقسّمتُه قسمين لأهميته ، تناول الأول الدعوات الهادفة لبناء النحو وتطويره ، أما الثاني فقد عرضتُ فيه للدعوات ذات الأهداف الهدّامة والمغرضة المبنية على غايات مبطنة قصدها النيل من العربية وأهلها .

ب - الفصل الثاني : وكان عنوانه (التجديد في النحو) .

فقد استهل بتمهيد للفصل ، تناول فيه معنى التجديد ، وأهميته ، وأوائل المجددين في رأيي ، الذين نادوا بحرص لتجديد النحو العربي . وتضمّن الفصل ثلاثة مباحث ، كان الأول عن المجامع العلمية واللغوية ودورها في حماية النحو العربي وتطويره خصوصاً والعربية عموماً. والمبحث الثاني ، عرضتُ فيه أهمية الترجمة وأثرها في تطور النحو وتجديده ، ثُمّ خصصتُ الثالث منها ، بعرض أهم الاختلافات النحوية الجديدة عند دارسي هذا العلم .

جـ - الفصل الثالث : تناولتُ فيه واقع الدراسات النحوية الجديدة ، مقسّماً إيّاه بحسب طبيعة الدراسات ، فالقسم الأول منه عُني بالدراسات التي تدعو إلى القديم بكل ما فيه من دون خروج على قواعده وأصوله . والقسم الثاني ، تناولتُ دراسات تريد النهضة بالقديم وإصلاح مناهجه ، وتجديده . والقسم الثالث ، دراسات تبتعد عن القديم ، وتدعو إلى التغيير الشامل ، ثُمّ عرضتُ في القسم الرابع من الفصل أثر الدراسات في مسيرة النحو العربي ، وما تركته من لمسات فنية في هرمه الخالد .

د - الخاتمة ، وهي خلاصة الجهد ، والثمرة الناضجة التي قدّمتها ، خدمة لكتاب الله تعالى، وحبّاً وشغفاً بلغته الخالدة .

هـ - مصادر البحث ومراجعه ، وفيه عرضتُ كل المصادر والمراجع التي اعتمدتُها لتعزيز رسالته .

و - ملخّص باللغة الانكليزية : حرصتُ على العناية بهذا الملخص لما يعطي من صورة متكاملة عن البحث ومادته ومنهجه ، واللغة التي رُسم بها ، وما توصل إليه من نتائج.

وفي ختام هذه المقدمة ، أقول مُعتذراً ، إنّني بذلت ما استطعت من جهدٍ في هذا البحث ، وحسبي من عملي هذا رضا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، فإنْ وُفِقْتُ فيه إلى صواب العمل ، وهذا رجائي من الله تعالى ،فله الحمد والشكر أولاً ، وآخراً ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسبي ، وصلى الله على نبينا وآله الطاهرين .

التمهيد

(مدخل إلى النحو)

اللغة في كل بلدان الأرض ،هي الميدان الفسيح لحفظ علوم الأمّة وتأريخ حضارتها .وتمثل الوسيلة الأُوْلى للتفاهم الاجتماعي ،لكونها وسيلة يتخاطب بها الناس فيما بينهم ، فيعبرون بها عن مشاعرهم وأفكارهم .

واللغة تمثل ((ظاهرة اجتماعية))[٢] حالها حال أيّة ظاهرة أخرى ،تؤثر وتتأثر . وهي كائنٌ حيٌ تتطور تدريجياً متأثرة بما يمرُ بها تارةً نحو الأفضل ،فيكون هناك تطورٌ وتجديدٌ. وأخرى إلى الأسوأ إذ الإقصاء والتجريد . والمهم في القول إنّ: ((اللغة العربية من اللغات الحية التي امتازت بالتطّور، وتطورها كان مدخلاً لدخول العرب عالم الحضارة والرقي))[٣] .والعربية لغة وقفها الله تعالى لآدم (عليه السلام) وبيّن ألفاظها له وأطلعه عليها.

وقيل في اللغة أقوالٌ منها ،أنها توقيفية، وعلى هذا الرأي ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)[٤]، ودليله قوله تعالى ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلّها))[٥]. نعم وهي الأسماء المعروفة .، كالدّابة ، والأرض ، والجبل ، والشّجر .كما يقول ابن عباس (رضي الله عنه) في تفسيرها[٦].والباحث يؤيد توقيف اللغة العربية ، لكونها لغة نزلت ((بِلِسَانٍ عَرَبَيٍّ مُبِيْن))[٧]. وحروفها تسعة وعشرون حرفاً ،إذ ورد عن أبي ذر الغفاري (رض) قال : ((يا رسول الله {صلى الله عليه وسلم } أيّ كتابٍ أنزل الله تعالى على آدم (ع) ؟، قال :كتابُ الحروف المعجم أ،ب ، ت، ث، إلى آخرها فهي تسعة وعشرون حرفاً ،قلت:

---

[٢]- المخزومي : د. مهدي - في النحو العربي نقد وتوجيه - المكتبة المصرية - بيروت - ٢١/١٩٦٤.

[٣]- الجبوري : د. عبد الله - بحوث في المعجمية العربية – المعجم اللغوي – منشورات المجمع العلمي العراقي - ٢٠٠٤ / ٢٦.

[٤]- بن فارس - الصاحبي - علق عليه - أحمد حسن بسبح - بيروت - ١٤/١٩٩٧.

[٥]- سورة البقرة - الآية / ٣١.

[٦]- الطبرسي (ت ٥٥٢ هـ) - مجمع البيان في تفسير القرآن - تحقيق - الحاج باسم المرسولي - بيروت - ١٣٧٩ هـ - ٧٩/١. وينظر / بن فارس : الصاحبي / ١٤.

[٧]- الشعراء - الآية / ١٩٤.

يا رسول الله عُدِدَتْ ثمانية وعشرين حرفاً ، فغضب (صلى الله عليه[وآله] وسلم) حتى احمرت عيناه . فقال :يا أبا ذر، والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ، ما أنزل الله على آدم في اللغة العربية إلاّ تسعة وعشرين حرفاً ...))[٨]. واللغة بعد أنْ وقفّها الله لآدم (عليه السلام) لم تبقَ بالصورة الأولى التي رسمها الله عَزّ وجلّ له ، بل تعرضت لتطور، ونمو عبر مرّ السنين من خلال الاختلاط البشري ،والتعايش الاجتماعي حتى وصلت إلى أوج رقيها إبّان نزول القرآن الكريم بها .

وقد عارض باحثون فكرة التوقيف هذه وقالوا : بأصطلاح اللغة ونشوئها بالتواضع والاتفاق ، ومنهم ابن جني (ت ٣٩٢هـ) فيقول : ((هذا موضوع محوج إلى فضل تأمل ؛ غير أن أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنما هو تواضع وأصطلاح ،لا وحيٌ وتوفيق))[٩].وإذ نشير لذلك إشارة ،ولا نغوص فيه،لأن الخلاف في هذا الأمر حاد جداً في أقوال اللغويين ، ولم يصل إلى رأي قاطع في وضع الأسباب التي نشأت اللغة عليها[١٠] . والعربية لغة فضلت على لغات الأمم المجاورة ، بما فيها من خصائص أختصها الله تعالى بها كالإيجاز ، وإلى ذلك أشارة الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) في قوله : ((وجدنا للغة فضلاً على لغة جميع الأمم اختصاصاً من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها ، ومن خصائصها أنّه يوجد فيها من الإيجاز مالا يوجد في غيرها من اللغات))[١١]. والعربية لغةٌ منسجمةُ التراكيب متناسقة المعاني ، لم تكن فيها شائبة أو زيف لأنها : ((أكمل اللغات وأدقها وأبرؤها من العيوب ، كيف لا ، وهي لغة القرآن المعجز ، والحديث النبوي الذي كانت فصاحته ومستواه اللغوي موضع الإعجاب، وهي أيضاً لغة الشعر والنثر من عصر الجاهلية والإسلام ، وقد

---

[٨]- خليفة: حاجي (ت ١٠٦٧هـ) - كشف الظنون- دار إحياء التراث العربي- بيروت - ب ت ٥٢/١ ، وينظر/ القندوزي : الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)- ينابيع المودة لذوي القربى - تحقيق - سيد علي جمال أشرف الحسيني - دار الأسوة - ط١ ١٤١٦هـ ٢٠٣/٣، و اليزدي :الشيخ علي (ت ١٣٣٣هـ) - إلزام الناصب في إثبات حجة الغائب - تحقيق - السيد علي عاشور - قم - ب ت / ٢١٤، والجبوري : بحوث في المعجمية/١١.

[٩]- ابن جني - الخصائص - تحقيق- محمد علي النجار- دارالشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٩٠ ٤١/١.

[١٠]- ينظر / المبارك : د. عبد الحسين - فقه اللغة - مطبعة جامعة البصرة - ١٩٨٦ / ١٩ .

[١١]- القلقشندى : أبو العباس أحمد بن علي - صبح الأعشى - القاهرة - ١٩١٤ / ١٤٩ .

كانا نماذج تحتذى، وتنال تقدير الجميع ، هذه النظرة إلى العربية لم تترك مجالاً حتى لمجرد التفكير في توجيه نقد للعربية بل حتى رصد مواضع العيب أو الصعوبة فيها ومحاولة التوصل إلى إصلاحها))[١٢]. وكان القدماء من الصحابة قد عرفوا قواعدها وأصولها ، وكانوا يتصرفون بأواخر الكلام يحركون ، يمدون تارةً ، ويقصرون أخرى . وهو أمر يدل على معرفتهم بالعربية ونحوها : ((ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعلّله النحويون في ذوات الواو والياء، والهمزة والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يُصوّروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل الخبء والدفء والملء))[١٣] .

ولغتنا العربية ليست بعيدة عن أخواتها اللغات السامية أو اللغات المجاورة لها ففيها أصول ، وأحكام مشتركة مع بعض الساميات كالسريانية ، والأكدية القديمة والنبطية .

والعربية هي اللغة الوحيدة التي بقيت من بين اللغات القديمة التي اندثرت جميعها ، وما بقيت إلا لهجات منها أو تولّدت عنها كما هو الحال في تحوّل اللغات الرومانية إلى الايطالية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والبرتغالية[١٤] . إلاّ أنّ العربية بقيت محافظة على ذاتها لكونها تحمل تراث الأمة كله . وقد حفظها الله تعالى حينما أنزل كتابه المجيد بها وانبثقت بفضل عناية العلماء به علومها من نحو ، وصرف ، وبلاغة وغيرها .

والمهم عندنا هنا النحو العربي ، الذي بدأ فناً في عصر دعت الحاجة إلى ظهوره .

والنحو هو فهم تراكيب الكلام العربي ، وتحليل مواضعه وبناء صوره في الجملة العربية ، بأسلوب غايته الحفاظ على اللغة العربية من التداخل ،والانحراف

---

[١٢]- مبروك : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي - مصر - ١٩٨٥ / ٣٧ .
[١٣]- دمشقية : د. عفيف - تجديد النحو العربي- لبنان - ١٩٧٦ /١٣ .
[١٤]- ينظر / السامرائي : د. إبراهيم - مقدمة في تاريخ العربية - سلسلة الموسوعة الصغيرة - بغداد ١٩٧٩ / ٥٦ .

المتـأتي مـن تـداخل اللهجـات ، وشـيوع اللحـن قـديماً ، واللغـات المجـاورة والعاميـة حديثاً . وكلما أدرك الباحث في مجال اللغة أهمية عروبتها ، والتفت إلـى سبيل بقائها ، أغـْنى نفسـه بالتقصـي عـن سـبيل معالجـة مـا يطـرأ علـى أحوالهـا ، لـذا بـرز النحـو العربي ، علماً يُعنى بتركيب اللغة والتعبير بها[١٥] . والنحو علم لم تتفرد العربيـة بـه ، بل عرفته اللغات الأخرى فنجد اللغة الأكدية قد : ((عرفت الحركـات الـثلاث فـي البابليـة القديمـة فـي النصـوص التـي ترجـع إلـى عهـد حمـو رابـي ثـم تطـوّرت هـذه الحركات الثلاث ، وانتهت الى حركتين هما الضمة للرفع والفتحـة للنصـب والجـر ...))[١٦] . وكذلك النبطيـة المجـاورة أيضـا ، إذ أشـار المستشرق الألمـاني (نولدكـه) إلـى :((أن النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر ولا يعقبون هذه الحركات بـالنون))[١٧] . وقد زعم بعض البـاحثين فـي علوم اللغة ، أن النحو العربـي تبـع السريانية ؛ لأنَّ النحو نشـأ فـي العـراق ، والعـراق فيه من السريان الكثير ، فأصبح التأثر بالنحو السرياني ممكناً ووجه الشبه كبير بين النحوين[١٨] . ووجه الشبه كما يرى جرجي زيدان فـي طريقـة نقط الإعراب إذْ قـال : ((كان عندهم نقط كبيـرة توضـع فوق الحـرف أو تحتـه لتعيين لفظـة أو تعيين الكلمـة الواقع هو فيها : اسم هي، أم فعل ، أم حرف))[١٩] . وتبع زيدان الدكتور أنيس فريحـة ، الذي قارن بين نقط القرآن ونظام التحريك عند السريان ، إذ يقول: ((ومـن يعـرف اللغة السريانية القديمة ، يدرك فورًا أنّ هذا النظـام مـن التحريـك هو النظـام السريـاني القديم ....))[٢٠] . وكان دليلهم على هذا الاقتباس ظـاهرة نقط القرآن الكـريم إذ جعلوهـا مشبهة النقط في حركات الحروف السريانية. وقولهم هذا مردود ، لأنّ زمـن الاتصـال بالأمم المجاورة ثقافياً جاء متأخراً عن زمن نشأة النحو العربي ؛ إذ لـم يعـرف العـرب الترجمة عن اللغـات الأخـرى إلاّ بعد الفتوحـات الإسـلامية ، وكـذلك لـم يثبـت تاريخيـاً

---

[١٥]- ينظر/ الجواري : د. أحمد عبد الستار - نحو التيسير- جمعية نشر العلوم والثقافة - بغداد ١٩٦٢ / ٢ .

[١٦]- السامرائي : د. إبراهيم - فقه اللغة المقارن - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٦٨/ ١١٨.

[١٧]- المصدر نفسه / ١١٨ .

[١٨]- ينظر/ زيدان : جرجي - تاريخ آداب اللغة العربية - القاهرة ١٩٥٧ ١/ ٢٥١ .

[١٩]- المصدر نفسه ١/ ٢٥٣ .

[٢٠]- فريحة : د. أنيس - نظرات في اللغة - ط ١ ١٩٧٣ / ٧٥ .

ولا بأيّ سند عربي في كتب التراجم والسِير من أنّ وصول علم النحو من علوم الأمم المجاورة، أو كان بقية آثار اللغات البائدة ، فأندثرت في لغة الأقوام الموجود. وإنما برز القول بالاقتباس متأخراً و مبنياً على الظّنِّ والتخمين ويفتقر إلى الحجة والبرهان ، وقد ردّ كثير من الباحثين على القائلين بهذه الآراء لايسع البحث التصدي لها، بل نشير إليها زيادة في الفائدة دون الغوص في مجرياتها ، وبما أنّه يوجد نحو في اللغات الأخرى ، فَلِمَ يستصعب بعض القائلين النحو العربي؟ ، وهم يعلمون بوجود نحو آخر .وهذا النحو أنتجه العقل العربي بدقة وحرص ، ليحافظ به على سلامة لغته وضبط موازين كلامها ولا سيما أنَّ ((علم النحو أثرٌ رائعٌ من آثار العقل العربي بما له دقة الملاحظة ، ومن نشاطٍ في جمع ما تفرّق، وهو أثرٌ عظيم يرغم الناظر فيه على تقديره ، ويحق للعرب أنْ يفخروا به))[٢١] برأي المستشرق (دي بور) والنحو العربي لم يكن وليداً لفكرة مجاورة في لغةٍ ما قربيةٍ كانت أم بعيدة ، بل هو منفرد في نشأ ته وفي تدرّجه نحو النمو والرّقي إنَّ للنحو : ((نشأة عربية على مقتضى الفطرة ثم تدرّج به التطور تمشياً مع سُنّة التّرقي حتى كملت أبوابه ، غير مقتبس من لغة أخرى لا في نشأته ولا في تدرّجه))[٢٢] .

وقد عُني البحث بالنحو العربي لكون النحو نتاج الفكر العربي ،عُني به علماء كُثر زمناً طويلاً ، لم يزل مستمراً حتى يومنا هذا ، ليصلو ا به إلى الغاية ، ويرصدوا عللـه المتجددة إلى ما لا نهاية . والنحو نام ٍمادامت اللغة العربية ، وقد أخَذَنا الاهتمام بهذا العلم ، حبّاً وإكراماً منّا له ، وحفظاً للجديد في هذا المجال . لِنَرْفد به المكتبة العربية الإسلامية ، بما وسعنا الله تعالى التوصل إليه . وعناية البحث رصد النحو العربي من نشأته ، وصولاً لِما أنتجته قرارات المجامع العلمية ـ اللغوية ــ في

---

[٢١]- دي بور- تاريخ الفلسفة في الإسلام - لجنة التأليف والترجمة والنشر - بغداد ١٩٤٨ / ٤ ، وينظر/ حسن : عباس - النحو الوافي - طبعة ناصر خسرو - طهران ب ت ١/ ٣ الهامش.

[٢٢]- الطنطاوي : محمد - نشأة النحو (وتاريخ أشهر النحاة) - ط ٢- القاهرة - ١٩٦٦/ ١٤ .

عصرنا الحديث . ومُشيرين إليها بالتعظيم والاحترام . وإثباتاً لحيوية اللغة العربية ، واستيعابها لما في المجتمع من جديد ، كذلك النحو فهو العلم الذي لايستغني عنه كاتب أو مؤلف ، ليضبط به تراكيب ما ألف وكتب . وبعد الله نسال التوفيق والسداد .

ı ž¹ £• §Ø¼¼˜£

ł √¦ ¼¼¼€≠ž ¦ ¼ ¼Ł˜£©Ø¼¼¼¼¼¼œě

: ¸ ¸ k◊ Æž

- ¦∫ Ł˜£©ø ě : ı ž¹ £ˆ ” Î˜£ •
- ¦∫ Ł˜£ğ ˙ š ƒ±ðž ˝ ¦þ˜¦ “ ¹£:ý ˇ §≤˜£ˆ ” Î˜£ •
- ¦ ¼ ¼ Ł˜£√¦ ¼¼¼€≠ : ∞ ˜ §≤˜£ˆ ” Î˜£ •
- Ý¦ ¼ ¼ Ł˜£È þ˜ØŒ£ÿ §¼¼¼ρ ô: · ß¶ƒ˜£ˆ ” Î˜£ •

الـــفـــصـــل الأول

نـــشـــــــــــــأة الـنـــحـــــــــو

نـشـأة الـنـحو

لكلِّ أمّةٍ من الأمم لغةٌ مخصصـةٌ بهـا ، تُسـهِّل علـى أفرادهـا طريقـة التعامل، والتعايش . ولكلِّ لغـةٍ قوانين تحكمهـا تنشـأ تبعـاً للحاجـة التـي تحـددها قدرة هذه اللغـة على البقاء ، والمطاوعة . وهذه القوانين هي ما تسمى بـ (النحو). الذي ولد فـي لغتنـا العربية ، فنّـاً ترنَّمت بـه ألسنة العرب ، وتذوّقت حلاوتـه قبل أنْ يعرفوه علمـاً قائمـاً بذاتـه، فـالنحو ((نشـأ فنّـاً قبـل أن يكـون علمـاً ، أي أنّ هذه الطـرق لـلأداء فـي اللغـة العربيـة ، قدألتزمت بـأطراد فـي تراكيبهـا وأساليبها . ومرّنـت عليهـا ألسنة العـرب ،

وتمكنت من طبائعهم قبل أن توضع لها القواعد النحوية المجردة وضعاً علمياً ، وتُدرس دراسة مستقلة لتعرف وتحتذى))[٢٣]. والنحو في الأصل نشأ مع اللغة ، إذ كيف تكون لغة بلا ضوابط تسير عليها ؟. لكنَّ النحو لم يُعرَف باديء ذي بدئ إلاّ حينما دعت الحاجة إليه، حين شاع اللحن بين الناس ــ الذي سنأتي على ذكره لاحقاً ـ فأنبرى أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) إلى هذه القضية ،بإشارة ، وتوجيه ، ودعم من الإمام علي (علية السلام)[٢٤]. وهذا ما يؤكِّده لنا قول أبي الأسود حين سُئِلَ : ((من أين لك هذا النحو؟ فقال : لَفِقتُ حدوده من علي بن أبي طالب))[٢٥].وذكرأبوالطيِّب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) في مراتب النحويين أنّ: ((أول مَنْ رسم النحو أبو الأسود الذي أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب))[٢٦] .

بهذه المسيرة بدأ النحو سيره في الحياة ، ناشئاً بين يدي رجل ثبُتَ علمه ، ومعرفته بأمور الدين والدنيا ، وكلام العرب ،إنّه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . إذ ورد في الزينة رأي الإمام علي (عليه السلام) في كلام العرب قوله : ((كلام العرب كالميزان الذي يُعرَف به الزيادة والنقصان ، وهو أعذب من الماء وأرقّ ُ من الهواء . إنْ فَسّرْتَهُ بذاته استصعب ، وإن فَسّرْتَهُ بغير معناه ٱستحال ، فالعرب أشجار ، وكلامهم ثمار، يثمرون والناس يحتفون بقولهم يقولون ، والى علمهم يصيرون))[٢٧]. وعندما ظهر النحو حماية للدين ، كان لابُدّ من أن يكون هو صاحب فكرة نشوئه ، ودليلنا إجماع كثير من مصادر النحو العربي على ذلك[٢٨]. فقد رُوي

---

[٢٣]- المبارك : د. عبد الحسين - قضية الإعراب في النحو العربي - مجلة الضاد - تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في الجمهورية العراقية - الجزء الثالث - ١٩٨٩/ ١١١.

[٢٤]- ينظر / .ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)- المقدمة - تحقيق - حجر عاصي - بيروت - ١٩٨٨ / ٣٣٩.

[٢٥]- الطنطاوي- نشأة النحو/ ١٩ .

[٢٦]- أبو الطيب اللغوي : (ت٣٥١هـ) - مراتب النحويين - تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم - مصر ١٩٥٥/ ٦، وذكره أيضاً ابن الأنبا ري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء - تحقيق - د. إبراهيم السامرائي - ط ٣ - مطبعة المنار- الأردن ١٩٨٥ /١٧ .

[٢٧]- الرازي : الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت ٣٢٢هـ) - الزينة في الكلمات الإسلامية العربية - تحقيق - حسين بن فيض الله - ط١ - ٧٤/١٩٦٤.

[٢٨]- ينظر/ السيرافي (ت٣٦٨هـ) - أخبار النحويين البصريين- تحقيق - محمد عبد المنعم خفاجي - القاهرة ١٣/١٩٥٥ ــ ١٤، وأبو الطيب اللغوي - مراتب النحويين/ ٦ ،وابن الأنباري - نزهة الألباء / ١٧ومابعدها ، والزّ ُبيدي (ت٣٧٩هـ)- طبقات النحويين واللغويين- تحقيق - محمد

عن الزجاجي (ت ٣٣٩ هـ) أنّ أبا الأسود الدؤلي قال : ((دخلت على علي بن أبي طالب { عليه السلام}، فَرَأيْته مُطرقاً مُتفكِراً فقلت : فِيمَ تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنّي سَمِعْتُ ببلدكم هذا لحنّاً فأردتُ أن أضع كتاباً في أصول العربية ، فقلت : إنْ جعلتَ هذا أحييتنا، وبقّيتَ فينا هذه اللغة ، ثُمّ أتيته بعد ثلاث فألقى إليّ صحيفةً فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . الكلام كله اسم ، وفعل ، وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بأسم ولافعل، ثُمّ قال : تتبعه وزِدْ فيه ما وقع لك ، وأعلم يا أبا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة : ظاهرٌ ومضمرٌ ، وشيءٌ ليس ظاهرٌ ولا مضمرٌ، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ماليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ . قال أبو الأسود : فجمعتُ فيه أشياء وعرضتها عليه ، فكان من ذلك حروف النصب ، فذكرت منها أنّ و إنّ و ليت و لعل وكأنّ ، ولم أذكر لكنّ . فقال لي : لِمَ تركتها؟ فقلت : لِمَ أحسبها منها فقال: بل هي منها فزدها فيها))[٢٩]. وفي رواية أخرى يؤكد أبو الأسود أن الإمام علي (عليه السلام) هو أول من وضع حدود هذا العلم ، وسمّاه النحو . فقال: ((دخلتُ على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فوجدتُ في يده رقعة ، فقلتُ : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ . قال: إنّي تأملتُ كلام العرب، فوجدتُه قد فسد بمخالطة هذه الحمراء ، فأردتُ أنْ أصنع شيئاً يرجعون إليه ، ويعتمدون عليه ، ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوبٌ : الكلام كله اسمٌ و فعلٌ و حرفٌ ، فالأسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبيء به ، والحرف ما أفاد معنىً ، وقال لي : انحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ...)) [٣٠]. وظل أبو الأسود يضع الباب تلو الآخر، ويعرض ما يصل إليه على الإمام علي (عليه السلام) إذ يقول : ((وكنتُ كُلّمّا وضعتُ باباً من أبواب النحو عرضتُهُ عليه إلى أنْ حصّلتُ ما

أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ب ت /٢١، وابن النديم (ت٣٨٠هـ) - الفهرست - تحقيق - د. يوسف علي الطويل - دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٢ / ٦٢.

[٢٩] - الزجاجي (ت٣٣٩هـ) - الأمالي - تحقيق - عبد السلام محمد هارون - القاهرة - ٢٣٨/١٩٦٢ و٢٣٩ ، وينظر/ابن الانباري- نزهة الألباء/١٨ ، والسيوطي (ت٩١١هـ)- الأشباه والنظائر- تحقيق - عبد العال مكرم - بيروت - ١٩٨٥ ١٣/١.

[٣٠] - /ابن الانباري- نزهة الألباء / ١٨، وينظر / القفطي: جمال الدين (ت٦٤٦هـ)- أنباه الرواة على أنباء النحاة - تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٠ ٥/١.

فيه الكفاية ، قال: ما أحسنَ هذا النحو الذي قد نحوتَ !. فلذلك سُمِّي النحو))[٣١] فكانت تسميته بهذا الاسم لهذا السبب المذكور في تلك الرواية . والنحو بعد أن حدد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مسالكه ، ووضع قاعدته ، أشار إلى أبي الأسود الدؤلي ، بأنْ يأخذ على عاتقه اِنجاز هذه المهمة الكبيرة ، لثقته بأبي الأسود . ولأنّ الإمام ، كان مُنْشغِلاً بأمور الناس ، وتدبير شؤونهم ، وكذلك الحروب التي نشبت في عصره ، كانت عاملاً في آنشغاله عن مثل هذه المهمة . ولمّا أنجز أبو الأسود المهمة الموكلة إليه ، ظهر علم النحو ، علماً يهتم بالكلام العربي ، وصياغة تراكيبه ليؤدي إلى الحفاظ على سلامة هذا الكلام من اللحن والتحريف ، ثُمّ يصل ذلك إلى قراءة القرآن الكريم . وقد وضعتُ هذا الفصل في مباحث ثلاثة ، مفصِّلاً فيها . تعريف النحو، وأسباب ظهوره ، وأشهر علمائه .

---

[٣١]- ابن الانباري- نزهة الألباء /١٩.

المبحث الأول

تعريف النحو (لغة و اصطلاحاً)

تعريف النحو لغةً:

جاء عن الخليل (ت١٧٥هـ) أنّ النحو ((القَصْدُ نحو الشيء. نَحَوْتُ نَحْوَهُ ، أيْ قَصَدْتُ))[٣٢] ، وتبعه ابن دريد (ت٣٢١هـ) فيما قال ، لكنّه أكثر وضوحاً من الخليل ، حين جعل ٱشتقاق النحو في الكلام وكأنّه قصد الصواب[٣٣]. وذهب الجوهري (ت٣٩٣هـ) إلى أنّ النحو الطريق ، والانصراف ، والعدول ، فقال: ((النحو : القَصْدُ والطريق ... ونحوتُ بصري إليه ، أيْ صرفت ، وأنحيت بصري عنه ، أيْ عدلته))[٣٤].

وتقترب معجماتنا اللغوية من تعريف واحدٍ ، يخلصنا إلى القول، إن النحو ورد عربياً في لفظه ، لٱحتمال هذا اللفظ أكثر من معنى بعينه ، وتصرّفه من جذر إلى فروع كـ (نحا ، يَنْحُو، نَحْواً ، وٱنْتِحَاءً ، وناحيةً) ومعناه يذهب إلى القصد ،

---

[٣٢]- الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) - العين - تحقيق - د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي - ط٢ - بغداد - ١٩٨٩ ٣٠٢/٣ مادة (نحا) .

[٣٣] - ينظر/ ابن دريد- جمهرة اللغة - دار صادر- بيروت- ب ت ١٩٧/٢ .

[٣٤]- الجوهري - تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق - أحمد عبد الغفور عطار - بيروت ط٤ ب ت /٦/ مادة (نحا). وينظر / التهانوي : الشيخ محمد أعلى بن علي - كشاف اصطلاح الفنون - تصحيح - محمد وجيه وآخرون - كلكته ب ت مج ١٤٣١/٢. وزاد عليه بقوله : ((وصاحب هذا العلم يسمى نحويّاً ، والنحويون الجمع ، وأما النحاة فهو جمع ناحٍ بمعنى النحوي)) .

والطريق، والانصراف ، والعدول، ومثل هذه المعاني لاتجتمع لكلمةٍ واحدةٍ في لغةٍ غير العربية .

تعريف النحو اصطلاحاً :

كانت تعريفات العلماء ، النحو في بداية الأمر شاملة ، وغير دقيقة في وصف صورة النحو ، التي من أجلها وُضِع ، بل ظلّتْ التعريفات تُعبِر عن إصلاح اللسان مما أصابه من أعوجاج ، بسبب كثرة اللحن . فهذا خلف الأحمر (ت١٨٠هـ) يقول إنّه: ((ما يُصلَح به اللسان))[٣٥] . وهذا الإصلاح يجب أنْ يسلك القائمون به على معرفةٍ بكلام العرب ، فذهب أبو بكر بن السراج (ت٣١٦هـ) إلى تأييد هذا الكلام ، وأنّ النحو مُستخرَج من كلام العرب ، وأنّه ((علم ٱستخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة))[٣٦]. وعن ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) ، عرّف النحو بأنّ معرفة الأحكام التي يأتلف منها كلام العرب ، هي علم النحو والمُستخرَج بالقياس . قال: ((النحو علمٌ مُستخرَجٌ بالمقاييس المستنبطة من ٱستقراء كلام العرب الموصّلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها))[٣٧].

ثُمّ أخذ الفهم العربي مجرى آخر، في تعريف النحو ، حين أصبح صناعة الهدف منها النظر في ألفاظ العرب من حيث التأليف ، وطريقة النظم وصورة المعنى ، وهو ما نقله السيوطي (ت٩١١هـ) في الاقتراح عن صاحب المستوفي[٣٨]، إذ قال:((النحو صناعة علمية ينظر بها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب

---

[٣٥]- الأحمر: خلف (ت١٨٠هـ)- مقدمة في النحو - تحقيق - عزالدين التنوخي - دمشق - ١٩٦١/٣٣.

[٣٦]- ابن السراج: أبو بكر(ت٣١٦هـ) - الأصول في النحو - تحقيق - د. عبد الحسين الفتلي- النجف الأشرف ١٩٧٣ ٣٧/١.

[٣٧]- الاشبيلي: ابن عصفور(ت٦٦٩هـ) - المقرّب - تحقيق - د.أحمد عبد الستار الجواري و د. عبد الله الجبوري - بغداد - ١٩٧٣ / ٤٤.

[٣٨]- هو أبو سعيد كمال الدين بن مسعود الفرغاني - هكذا ورد في كشف الظنون ١٦٧٥/٢.

استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصّل بإحداهما إلى الأخرى))[٣٩].

ثُمّ صار لعلم النحو مفهوم آخر، مأخوذٌ من اللغة ، وبه يُعرَف صاحب الفصاحة ، ويُرّد إليه في حالة الشذوذ عن طريق الصواب، لهذا يَعُدُّ الباحث تعريف ابن جني (ت٣٩٢هـ) أقرب في رسم حقيقة النحو ، إذ أعطى وضوحاً كافياً لما جاء به النحو العربي ، فقال :((هو انتحاء كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره ، كالتثنية ، والجمع ، والتحقير، والتكسير، والإضافة ، والنسب والتراكيب ، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أصل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شَذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها))[٤٠].

وللنحو يحتاج المؤلف ، ليضع كُلّ شيءٍ يؤلفه موضعه الصحيح من الكلام. وهذا ما قال به عبد الهادر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) ، إذ أدرك بنظرة ثاقبة أثر موقع الكلمة العربية في توضيح فكرة النظم التي ذهب إليها ، فيرى أنّ النظم يجب أن يكون مطابقاً لأصول النحو . وهي صورة أخرى يمكن تسجيلها بكونها طريقة لتوضيح النحو العربي ، فقال : ((وآعلم أنْ ليس النظم إلاّ أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشي منها ...))[٤١].

إذن علم النحو هو العلم الذي يشتمل على قوانين شاملة مأخوذة من آستقصاء دقيق لكلام العرب ، بعباراته وتراكيبه ، ومتابعة وضع هذه العبارات والتراكيب ، وتحديد خصائصها ومواقعها من الإعراب لذا قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) في تعريفه النحو: ((هوعلم بقوانين يُعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب

---

[٣٩]- السيوطي - الاقتراح في علم أصول النحو - تحقيق – محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي – دار الكتب العلمية - بيروت ١٤/١٩٩٨.

[٤٠]- ابن جني - الخصائص ٣٥/١ ، وينظر / ابن منظور(ت٧١١هـ)- لسان العرب - دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٨٥ ٣١٠/١٥ مادة (نحا)

[٤١]- الجرجاني: عبد القاهر(ت٤٧١هـ) - دلائل الإعجاز في علم المعاني - تحقيق - محمد رشيد رضا - تصحيح - الشيخ محمد عبده - دار الكتب - القاهرة – ١٩٦٠ / ٦٤.

والبناء وغيرها))[٤٢]، وأهمية هذا العلم بيان ((أحوال الكلم من حيث الإعراب وصحة الكلام وفساده))[٤٣].

وقد رسم الدكتور الجواري في تعريفه معنى دقيقاً للنحو بقوله: ((هو علم تركيب اللغة والتعبيربها))[٤٤]، ثم أصبح يعني العلم الذي ((يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً))[٤٥].

ثم علينا أن نفرّق بين النحو والإعراب ، فالنحو غير الإعراب لكونه شاملاً كُلَّ ما يتركب منه الكلام العربي ، بما في ذلك الإعراب الذي ((هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، ألاَ ترى أنّك إذا سَمِعْتَ أكرمَ سعيدٌ أباه ، وشكرَ سعيداً أبوه ، عَلِمْتَ برفع أحدهما ونصب الأخر الفاعل من المفعول ، لو كان الكلام شَرْجاً واحداً لاْستبهم أحدهما من صاحبه))[٤٦]، والإعراب وثيق الصلة بالنحو بل هو ظاهرة من الظواهر النحوية ، وهو جانب له ثقله الكبير في ميزان القواعد النحوية لأنّه كما قال كمال بشر بأنّه : ((... دليل الموقعية ، ولعلّ هذا هو سر اهتمام العرب به اهتماماً كبيراً، لأنّه نهاية المطاف والحصيلة المحسة للجوانب التو ليفية الأخرى للتركيب))[٤٧]. وهو هنا يشير إلى علاقة الإعراب بالتركيب ، وقال في موضع آخر ((فليس النحو الإعراب كما وَهم كثير من متأخري النحاة))[٤٨].

وبعد فالنحو فرع من فروع اللغة ، وعلم من علومها المهمة التي تستند إليه كل الفروع ، والإعراب جزء منه . والنحو وسيلة ، لمن أراد معرفة السبيل إلى قواعد العربية ، وضبطها ، فهو السلاح والعماد . كما يصوّره الأستاذ عباس حسن

---

[٤٢]- الجرجاني: الشريف (ت٨١٦هـ) - التعريفات - تصحيح- أحمد سعد علي - القاهرة - ١٩٣٨ / ٢١٤.

[٤٣]- المصدر نفسه /٢١٥.

[٤٤]- الجواري - نحو التيسير /٢ .

[٤٥]- المصدرنفسه /٢٦ .

[٤٦]- ابن جني - الخصائص ٣٦/١. و(الشرج) يعني الضرب الواحد أو الموضع الواحد / ينظر- ابن منظور- لسان العرب ٣/ ٣٠٧ باب الجيم مادة (شرج).

[٤٧]- بشر: د. كمال - دراسات في علم اللغة - دار غريب - القاهرة - ٢٦٤/١٩٩٨ .

[٤٨]- المصدر نفسه / ٢٦٤ .

بأنّه : ((وسيلة المستعرب وسلاح اللغوي ، وعماد البلاغي، وأداة المُشرِّع والمجتهد أو المدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعاً))[٤٩] .

المبحث الثاني

الأسباب التي دعت إليه

---

[٤٩]- حسن : عباس - النحو الوافي ١/ ٢.

لا يختلف اثنان من القدماء ، ولا المحدثين ، ممن أرّخوا نشوء النحو في أنّ أهم أسباب ظهور النحو العربي ، هو شيوع اللحن ، واستفحال خطره الذي بدأ يمتد ليصل إلى قراءة القرآن الكريم . وقد ذكرت المصادر جملةً من الحوادث التي أثارت حفيظة العرب الأوائل ، وهيّجت عصبيتهم على دينهم ، وعروبة لغتهم ، ما جعلهم يبحثون عن وسيلة يحافظون بها على دينهم ، وسلامة النطق الصحيح في قراءة القرآن الكريم ، ويحمون بها اللسان من الزلل والانحراف ، فيجعل المعنى يرجع إلى مجراه الصحيح فأبتدعوا علم النحو.

وقد ظهر اللحن منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة . قال السيوطي (ت ٩١١هـ) في المزهر : ((واعلم أن أول ما أختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلُّم (الإعراب) ، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم . فقد رُوِينا أنّ رجلاً لحن بحضرته فقال أرشدوا أخاكم فقد ضَلّ))[٥٠]. وروي على لسان أبي بكر الصديق قوله : ((لإنْ أقْرَأُ فأُسْقِط أحَبُّ إليَّ من أنْ أَقْرَأَ فألحنُ))[٥١]. ويروي الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في البيان والتبيين ، أنّ من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كانوا يلحنون لعدم قدرتهم على لفظ بعض حروف العربية ، قال : ((إنّ صهيبَ بن سنان النمريّ الرومي ــ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان يقول : (إنّك لهائنٌ) يريد إنّك لحائنٌ ، أي هالك ، من الحين وهو الهلاك))[٥٢] . ولم يكن اللحن محصوراً بعامة الناس ، ممن لم يكونوا عارفين قواعد اللغة ، بل تعدّى ذلك إلى الأمراء والخطباء والفقهاء ، قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : ((.. إنّ المُحدِّث يُحدِّث فيلحن ، والفقيه يؤلّف فيلحن ...))[٥٣]. واللّحنُ كالصدى يتردد ترديداً سريعاً ، وواسعاً

---

[٥٠]- السيوطي - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - بشرح - محمد جاد المولى وآخرون - دار إحياء الكتب العربية - ١٢٨٢ هـ ٣٩٦/٢.

[٥١]- المصدر نفسه ٣٩٧/٢.

[٥٢]- الجاحظ (ت٢٥٥هـ)- البيان والتبيين - تحقيق - عبد السلام محمد هارون - القاهرة ١٩٦٨ - ٢١٠/٢ باب اللحن .

[٥٣]- بن فارس - الصاحبي/٣٥ .

حتى تجلّى في مظاهر كثيرة ، فمن مظاهر اللحن في القرآن الكريم ، يروى أنّ : ((الحجاج بن يوسف ، قال ليحيى بن يعمر : أتجدني ألحن ؟ ، قال: الأمير أفصح من ذاك . قال: عزمت عليك لتخبرني ، وكانوا يعظمون عزائم الأمراء . فقال يحيى : نعم في كتاب الله . قال : ذاك أشنع له، ففي أيّ شيءٍّ من كتاب الله ؟ ، قال: قرأتَ : ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُم وَأَمْوَالٌ اْقْتَرَفْتُمُوْهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَها وَمَسَاكِنْ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ الله رَسُوْله))[٥٤] . فترفع (أَحَبّ) وهو منصوب قال : إذن لاتسمعني ألحن بعدها فنفاه إلى خراسان))[٥٥]. ومنه أيضاّ أنّ الحسن البصري ، كان يُخطئ في قراءة حرفين من القرآن . قال الجاحظ : ((وغَلِط الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله : ((ص وَالقُرْآنُ)) . والحرف الآخر : ((وَمَا تَنَزّلَتْ بِهِ الشّياطون))))[٥٦] . والصواب هو ((ص ، وَالقُرْآنِ))[٥٧] . بكسر كلمة (القرآن) ،والآية الأخرى ((وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشّيَاطِيْنُ))[٥٨]. إذ قرأ بزيادة واو بين الياء والنون (الشياطين). ومن اللحن في قراءة القرآن الكريم ما رُوي أنّ عليّاً (عليه السلام) : ((سمع إعرابياً يقرأ : لا يأكله إلاّ الخاطئين..))[٥٩]. والصواب أنْ يقرأ ((لا يَأْكُلُهُ إلاّ الخَاطِئُوْنَ)) [٦٠]. لأنّ الاستثناء هنا مفرّغ .

ومما شاع بين الناس من لحن ، ما رواه الجاحظ عن ((يزيد مولى ابن عون قال : كان رجلٌ بالبصرة له جارية تسمّى ظمياء ، فكان إذا دعاها قال : يا ضمياء ، بالضاد . فقال ابن المقفع : قل : يا ظمياء ، فلمّا غيّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثاً قال له : هي جاريتي أو جاريتك))[٦١].

---

[٥٤]- التوبة - من الآية/ ٢٤.
[٥٥]- السيرافي - أخبار النحويين البصريين /٢٣ .
[٥٦]- الجاحظ - البيان والتبيين ٢١٩/٢ .
[٥٧] - سورة ص - الآية/ ١.
[٥٨]- الشعراء - الآية /٢١٠.
[٥٩]- الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)- الفصول المهمة في أصول الأئمة - تحقيق - محمد بن محمد حسين القائيني - قم ١٤١٨هـ ٦٨٢/١.
[٦٠]- الحاقة - الآية /٣٧.
[٦١]- الجاحظ - البيان والتبيين ٢/ ٢١١.

دعت هذه الزيادة في انتشار اللحن إلى ظهور العلم الملائم الذي يقضي عليه ، فكان علم النحو بأصوله ، ومبادئه سلاحاً مُشهراً بوجه اللحن ، واللاحن، إصلاحاً للألسن .

إذن هناك أسباب أدّت إلى ظهور النحو العربي ، يمكن إيجازها بما يأتي:

١- الحفاظ على لغة القرآن الكريم ، والسّنَّة النبوية الشريفة ، من دخول اللحن إليها ، لأنّ القرآن الكريم هو الدستور الإسلامي الشامل ، لكل دقائق الحياة الإسلامية عباداتها ومعاملاتها ، وينظّم حياة المجتمع . لذلك ٱهتَّم العرب بعلم النحو ، الذي يضبطون به لسانهم فلا يلحنون بقراءة النصوص القرآنية . وقد قال بوجود العامل الديني لكونه ضرورة من ضرورات ظهور النحو، الدكتور شوقي ضيف الذي حدد عوامل مختلفة ((منها الديني ، أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة ، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة))[٦٢]. وتبعته في هذا الرأي الدكتورة خديجة الحديثي[٦٣]. وكذلك الدكتور تمام حسان الذي يرى ، أنّ العامل الديني ، أحد ثلاثة عوامل ٱجتمعت في إقامة صرح النحو العربي ، هي ((العامل الديني ، والعامل القومي ، والعامل السياسي))[٦٤].

فإذن يُعَدّ ُ العامل الديني سبباً رئيساً من أسباب نشوء النحو العربي .

٢- حُبَّ العرب الشديد عربيتهم ، وتعلقهم بها ، دفعهم إلى التأليف في قواعد علمٍ يحافظ على سلامتها ، ويهتم بها ، فالعرب معجبون جداً بلغتهم . قال الدكتور إبراهيم السامرائي (رحمه الله) : ((ومن إعجابهم بالعربية أنّها عندهم فاقت سائر اللغات في رشاقة ألفاظها ... فلا يوجد من الثقل والأعوجاج ما يوجد في غيرها من اللغات))[٦٥].

---

[٦٢]- ضيف : د. شوقي - المدارس النحوية - دار المعارف - مصر - ١١/١٩٦٨.

[٦٣]- ينظر / الحديثي : د. خديجة - المدارس النحوية - بغداد - ١٩٨١ / ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

[٦٤]- حسّان : د. تمّام - الأصول (دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب - النحو ، فقه اللغة ، البلاغة) - بغداد ١٩٨٨ / ٢٣ وما بعدها .

[٦٥]- السامرائي - فقه اللغة المقارن / ١١ .

٣- الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأقوام الداخلة في الإسلام ، على أثر الفتوحات الإسلامية ، فأدّى ذلك إلى شيوع اللسان الأعجمي في الوسط العربي . قال ابن خلدون : ((فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب المُلك الذي كان في أيدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين ، والسمع أبو الملكات اللسانية . ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه بأعتياد السمع ...))[٦٦]. والاختلاط تسبب في شيوع اللحن ، وأقتضى وجود اللحن ، ظهور علم النحو لتصحيح المسار اللغوي ، وأيضاً تهدينا مقولة ابن خلدون إلى القول بفساد البيئة اللغوية ، المتسبب بها الاختلاط البشري ، واللغوي ، ومن ثُمّ ثَقُل الحرف العربي نتيجة ذلك ، فقد ((تعرّضت العبارات العربية السليمة إلى شيء غير قليل من الفساد ودعت الضرورة إلى تقويم اللسان العربي))[٦٧].

نخلص إلى القول إنّ اللحن والعوامل المذكورة آنفاً دعت العرب إلى التفكير عملياً ، بأبتكار علم النحو ، ليكون السلاح الموجه دائماً بوجه اللحن ، يُصان به اللسان، ويُعرَف به حَسن الكلام من رديئه .

---

[٦٦]- ابن خلدون- المقدمة / ٣٣٩ .

[٦٧]- حسن : د. حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) ط ٧ - مصر ١٩٦٤ – ٣٣٨/٢ .

المبحث الثالث

علماؤه البارزون ومناهجهم

سار النحو العربي بخطى متأنية منذ نشوئه ، أواسط القرن الأول الهجري . ثُمَّ بدأ يتطوّر تدريجياً ، على يد علماء أفذاذ ، نذروا حياتهم للدين والعلم فقط . وقد تزايد عدد المهتمين بدراسة النحو العربي ، من العرب لكونهم أحسّوا بأهمية آبتداع هذا العلم الثّر بمادته ، والإفادة منها في حفظ كتابهم ، وتقويم ألسنتهم ، وتحفظ عربيتهم بصلابتها ، وقوتها من دون تحريف ، أو تصحيف . وبالنظر لكثرة دارسي النحو العربي من علماء أجلاء أفذاذ . كنصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ)[٦٨] ، وعبد

---

[٦٨]- ينظر / ابن الانباري - نزهة الالباء/٢٣.

الرحمن بن هرمز (ت ١١٧ هـ)[٦٩] ، والأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد (ت ١١٧ هـ)[٧٠]، وعيسى بن عمر(ت ١٤٩ هـ)[٧١] ، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ)[٧٢] ، والكسائي (ت ١٨٩هـ)[٧٣]. والفرّاء (ت ٢٠٧ هـ)[٧٤] ، وثعلب (ت ٢٩١ هـ)[٧٥] ، وغيرهم كثير .

وستكون عناية البحث بـأثني عشر عالماً من علماء النحو البارزين ، وقد أُختيروا على وفق أسسٍ علمية ثابتة في كل منهم ، فمن سبق في الزمن لتأصيل النحو ، إلى الكثرة الواضحة في طرح المسائل النحوية ، وكذلك ٱهتمام أكثر الدراسات بهؤلاء العلماء ، وما لديهم من أهمية واضحة في مسيرة العربية ، فصار ترتيبهم من القرن الأول الهجري حتى القرن العاشر ، ولم تكن عناية البحث بهؤلاء العلماء ، وإنما سيتحدث عن غيرهم كل بحسب موضعه من البحث .

وهذا لايعني أنّ حركة الدراسة والتأليف في النحوٱنتهت إلى هذا الحد ، بل هي حركة متنامية ، ومستمرة . وقد تناول البحث هؤلاء العلماء بالدراسة بٱختصار، نظراً لأثرهم الواضح في مسيرة النحو العربي . ولكثرة الدراسات بشأنهم وفي مختلف الفنون التي ورد لهم ذكر فيها . إذ نُشِرَتْ في مسيرة هؤلاء كتبٌ وتراجم قديماً ، وحديثاًَ، وما تزال البحوث فيهم تتوالى في ميادين العلم من جامعات وحوزات دينية . وهؤلاء العلماء الذين سيتناولهم البحث هم :

أولاً : أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ)

---

[٦٩]- ينظر / البستي : أبو حاتم (ت٣٥٤هـ) - مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار- تحقيق - مرزوق علي إبراهيم - ط ١ - دار الوفاء ١٤١١ هـ / ١٢٧ .

[٧٠]- ابن الانباري- نزهة الالباء/٤٤.

[٧١]- ابن النديم - الفهرست /٦٥ .

[٧٢]- المصدر نفسه /٦٦ .

[٧٣]- أبو الطيب اللغوي- مراتب النحويين /٧٤ .

[٧٤]- السيوطي (ت٩١١هـ) - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٤ ٣٣٣/٢ .

[٧٥]- المصدر نفسه ١/ ١٩٦ .

هو ظالم بن عمر بن سفيان ، وكنيته أبو الأسود الدؤلي البصري ، أول من أسس النحو[٧٦] ــ بتوجيه من الإمام علي عليه السلام ــ وقد كثرت الروايات في وضعه النحو ، وقد تقدّم الحديث عن بعضها ، ويمكن عَدّ أبي الأسود صاحب أول خطوات في تأسيس المضمون النحوي أو الأبواب النحوية .

وقد عبّر الطنطاوي عن ذلك بقوله : ((لأبي الأسود الفضل الوافر في بدء الغرس الذي نما وترعرع ، وأزدهر على كرِّ الزمان ، بإضافة اللاحق إلى السابق ما أستدركه وما أبتدعه))[٧٧] . وقد قال فيه كثير من العلماء خيراً ومدحوا له صنيعه ، من ذلك قول ابن سلاّم (ت ٢٣١ هـ) : ((وكان أول مَنْ أستن العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ووضع قياسها ، أبو الأسود الدؤلي))[٧٨]. وقد أفاد العربية بما أجراه من نقط المصحف ، ووضعه أبواب النحو كونها خطوة أوْلى : ((وكنت كلمّا وضعت باباً من أبواب النحو ...))[٧٩] . ومن تلاميذه يحيى بن يعمر العدواني ، وعنبسة بن معدان (عنبسة الفيل) ونصر بن عاصم[٨٠].

ثانيًا : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)[٨١]

الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي البصري ، أبو عبد الرحمن صاحب كتاب العين ، وعلم العروض . ويقال إنّ أباه أول من سُميَّ (أحمد) بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . يُعَدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، عقلية فذّةٌ ، ونابغة عصره ، فيما أبتكر من علوم ، عالماً جليلاً زاهداً،والخليل أول من قال

---

[٧٦]- ابن خياط - كتاب الطبقات عن أبي عمرالخيّاط - تحقيق- سهيل زكّار- دمشق ١٩٦٦- القسم الأول /٤٥٢ .

[٧٧]- الطنطاوي - نشأة النحو /٢٥ .

[٧٨]- ابن سلاّم (ت٢٣١هـ) - طبقات فحول الشعراء - تحقيق - محمود محمد شاكر - القاهرة ١٩٥٢ ٥/١ .

[٧٩]- ابن الانباري - نزهة الألباء/ ١٩ . وقد تقدّمت الإشارة إليها في ص ١٨ .

[٨٠]- ينظر / ابن النديم - الفهرست /٦٥ ، والمهدي : محمد علي - الكنوز الذهبية في شرح وإعراب شواهد سيبويه الشعرية - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - ١٩٧٤ ٢٣/١.

[٨١]- ينظر ترجمته / السيوطي - بغية الوعاة ١/ ٥٥٧ ، وأبو الطيب اللغوي - مراتب النحويين / ٢٧ ، وابن الانباري - نزهة الألباء / ٤٥ .

بالحركات الإعرابية ، وأثبت رموزها ، فقد ورد في كتاب الحروف : ((روى أبو الحسن بن كيسان عن محمد بن يزيد المبرد أنّه قال : ((الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل ،وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف ، لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف ، والفتحة ألف مبسوطة فوق الحرف)) [٨٢]. وفاق علم الخليل كُلّ التصورات حتى أنّ ابن المقفع قال عنه حين سُئِل : ((كيف رأيتَ الخليل ؟ قال: رأيتُ رجلاً عقله أكبر من علمه))[٨٣] . استقر على يده النحو ، وأصبح علماً لغويّاً يميل إلى العقل والمنطق ، إذ ((نقل الخليل النحو من مرحلة كان فيها النحو مايزال حائراً متردداً يحبو تارةً ويستقيم تارة أخرى ، حتى أخذ الخليل بيده ، فأنهج له سبيله ، وأوضح له طريقه ، وبيّن فيه العلل ووضع له المقاييس))[٨٤].

وكان الخليل يأخذ عن العرب ، ويعلل لكلامهم ، ويضع عليه قياسات فقد قال شوقي ضيف : ((ٱعتمد الخليل في تأصيله لقواعد النحو وإقامة بنيانه على السماع والتعليل والقياس))[٨٥]. تتلمذ على يديه ، الأصمعي ، والنضر بن شميل، وعلي بن نصر الجهضمي ، وأبو مؤرج السدوسي ، وصاحب الكتاب[٨٦].

وقد ترك الخليل (رحمه الله) ثروة علمية هائلة ، تنهل منها الأجيال ، وتُعَدّ من الشواهد الخالدة على قدرة الرجل وإبداعه . منها : العين الذي يُعدّ أول المعاجم العربية، وكتاب العروض ، وكتاب الشواهد ، وكتاب الإيقاع ، وكتاب الجمل ، وكتاب النقط ، وكتاب الحروف ، وكتاب الحركات[٨٧] .

ومنهج الخليل على ما يبدو من استقراء المصادر التي تناولت سيرته ، وعلمه مبني على السماع والقياس والتعليل. إذ جعله صاحب كتاب نزهة الألباء ((سيد أهل

---

[٨٢]- الخليل - الحروف - تحقيق- د. رمضان عبد التواب - القاهرة - ط١ - ١٩٦٩/٤ المقدمة .
[٨٣] - الزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين /٤٥.
[٨٤]- السيد : د. عبد الرحمن - مدرسة البصرة النحوية (نشأتها وتطورها) - دارالمعارف - ط ١ - مصر - ١٩٦٨ /٤٥٧ .
[٨٥]- ضيف - المدارس النحوية - /٤٦ .
[٨٦] - ينظر / السيوطي - بغية الوعاة ١/ ٥٥٨ .
[٨٧]- ينظر في ذلك /الخليل - الحروف /٢٤ ، والمهدي - الكنوز الذهبية ٣٩/١ ، والسيد : د. عبد الرحمن - مدرسة البصرة / ٤٥٧ .

الأدب قاطبة في علمه وزهده ، والغاية في تصحيح القياس وٱستخراج المسائل النحوية وتعليله))[٨٨] . والخليل ((هو الذي بسّط النحو ، ومدّ أطنابه ، وسَبّب علله وفتق معانيه وأوضح الحِجَاج فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غايته))[٨٩].

وعَدّ الدكتور مهدي المخزومي ، النحو كائناً حيّاً ، ٱستمد غذاءه من الخليل بن أحمد، فقال : ((رأينا الدرس النحوي كائناً حيّاً يتسم بالنضج والاكتمال، وكان النحوي الذي منحه النضج والاكتمال هو : الخليل بن أحمد الفراهيدي))[٩٠]. أنّ الخليل مدرسة علمية في شخص واحد ، أعطاه الله تعالى غنى بالعلوم ، فأسدى بها خدمة جليلة للغة وطلابها .

وقال به الدكتور محمد علي الحسيني ، أنّ الخليل أول من ابتدع المعجم الصوتي من خلال معجم العين ، إذ يقول : ((مدرسة الخليل المعروفة بمدرسة المعجم الأصواتي المتمثلة في كتابة العين ، هو أول معجم لغوي في الدنيا يخطط لكُلّ مفردات اللغة ويقوم على منهج أصواتي دقيق يعرف حديثاً بعلم الأصوات اللغوية))[٩١]. وقد نظَّر الخليل في مسائل كثيرة ، منها في اللغة إذ قال : ((مَدة الواو منها تصير إلى أصلها ، وكذلك ألف الياء من الياء لاتهمز إنما مدّوا في لغة اليمن باء فُعْلى ذلك يبنى ويحتذى))[٩٢] . وكان يقول أيضاً : ((لو بنيت (أفْعَلْت) من (اليَوم) في قول من قال : (أجْوَدْتَ) و (أطْيَبْتَ) لقلت : (أيَّمْتَ) وكان الأصل (أيْومْت) ولكن انقلبت الواو للياء التي قبلها كما فعلت في (سَيّد)))[٩٣] .

أما المسائل النحوية ، فقد ٱمتلأ كتاب سيبويه منها من ذلك مثلاً : ((قال الخليل رحمه الله : إذا قلت يا هذا وأنت تريد أن تقف عليه ثم تؤكّده بٱسم يكون عطفاً عليه ، فأنت فيه بالخيار : إنْ شِئْتَ رَفَعْتَ ، وإنْ شِئْتَ نَصَبْتَ ، وذلك قولك ياهذا زيدٌ ، وإنْ

---

[٨٨]- ابن الانباري - نزهة الألباء /٤٥ و٤٦ .
[٨٩]- السيوطي - المزهر ٤٩/١ .
[٩٠] - المخزومي : د. مهدي - الفراهيدي عبقري من البصرة - ط٢- بغداد ١٩٨٩/ ٧٥ .
[٩١]- الحسيني : د. محمد علي - علم اللغة التوحيدي بين النظرية والتطبيق - ط ١- إيران ٥٦/١٩٩٧.
[٩٢]- الخليل - العين ٤٤٤/٨ .
[٩٣]- المبرّد (ت٢٨٥هـ) - المقتضب - تحقيق - حسن حمد - بيروت ١٩٩٩ ٢٠٩/١ .

شِئْتَ قلت زيداً ، يصير كقولك : يا تميمُ أجمعون وأجمعين ....))[٩٤]، وهنا يتحدث عن الوقف مع اسم الإشارة .

ومن آرائه أيضاً قال : ((إنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهنّ يلحقنَ الحروف ليوصل إلى التكلم به ، والبناء هو الساكن لا زيادة فيه))[٩٥] ،ويرى ((أنّ همزة الاسم زيدت فيه للتوصل إلى النطق بالساكن))[٩٦]. ومما يُؤثر عنه من مسائل في النحو أنّه جعل (لا سيِّما) بمنزلة (مثل) إذ قال : ((في (لا سيما زيدٍ) أنّها مثل : (قولك : ولا مِثْلَ زَيْدٍ) وما لغوٌ ، وقال : ولاسيما زيدٌ كقولهم دَعْ زَيْدٌ ، وكقوله :((مَثَلاً ما بَعُوضَةً))[٩٧] ، فَسِيّ ُ في هذا الموضع بمنزلة (مِثْلَ)))[٩٨] .

وأرى أنّ للخليل عقلية تركت أثرها في النحو العربي بوضوح، فأكثر الدارسون من الاهتمام به لأجل ذلك ، فهو يُعَدّ ُ مدرسة وحده لوصح التعبير لما وهبه الله من عبقرية ابتدعت في علوم متعددة .

ثالثا : سيبويه (ت ١٨٠ هـ)

هو عمرو بن عثمان بن قنبر الملّقب بـ (سيبويه) ويعني رائحة التفاح[٩٩]. عالمٌ جليلٌ غزيرُ العلم ، كثيرُ الحفظ ، بارعٌ في البيان ، فصيحُ اللسان ، جيِّدُ الخط ((وأنّه كان من العلم ،وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة ،وفصاحة اللسان، وبراعة البيان ، وملوكية المجالسة ، وكرم العشرة ، وبلاغة المكاتبة ،

---

[٩٤]- سيبويه (ت١٨٠هـ) - الكتاب - تحقيق - عبد السلام محمد هارون - ط٢- مصر ١٩٧٩- ١٩٢/٢.

[٩٥]- المصدر نفسه ٣١٥/٢.

[٩٦]- المصدرنفسه ٦٦/٢.

[٩٧]- سورة البقرة - من الآية /٢٦ .

[٩٨]- سيبويه - الكتاب ٢/ ٢٨٦ .

[٩٩]- ينظر ترجمته / السيوطي - بغية الوعاة ٢٢٩/٢ ، والزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين /١٠٨ ، والحديثي : د. خديجة - سيبويه حياته وكتابه - بغداد ١٩٧٥ /٧ ، وسيبويه - الكتاب ٢/١ مقدمة المحقق .

وحلاوة المخاطبة ، وجودة الخط ، وصحة القريحة ، وقرب الإفهام ، ووضوح الشرح ، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممن تقدّمه أو تأخر عنه))[١٠٠].

وتلّمذ على يد الخليل ، ويونس بن حبيب ، وعيسى بن عمر ، والأخفش الأكبر فأعجب الناس بعلمه، وفصاحته ، فتراهم ((إذا قال سيبويه وجب إنْ يُصغي الناس ، ولو كان الذي سمع لم يفهم ، ولو كان الذي قال في موطن الاستشهاد))[١٠١].والذي يريد معرفة سيبويه عن قرب ، فليطَّلع على كتابه، ليعرف قيمة الرجل ، فهو دليل علمه الغزير ، وَحِدّة ذهنه ، تقول الدكتورة خديجة الحديثي : ((ويكفي دلالة على علمه وتفوّقه في علم النحو خاصة كتابه الكبير الذي ألّفه في النحو))[١٠٢] . وقد أنتج سيبويه كتابه الخالد ، خدمة للعربية وعلومها، والذي بُهر الناس به ، فأعجبهم حتى سمُّوه ((قرآن النحو))[١٠٣]. ويُعَدّ الكتاب من ألمع الكتب التي أُلفت في النحو العربي ، ضمّنه آراءه وأراء شيوخه، وقد قال فيه كثير من العلماء ، فهذا أبو الطيب اللغوي يقو ل : ((وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل ، وألف كتابه الذي سمّاه الناس قرآن النحو ، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل))[١٠٤]. وصار الكتاب منهجاً نحوياً خالداً ، ومهمّاً عند مؤرخي النحو ، والعاملين فيه .

وأعتقد أنّ الكتاب بما يتضّمنه من مادة علمية ، واستشهاد يمثل وحده ظاهرة فريدة في التأليف النحوي ، وأنّ المنهج الذي أتبعه سيبويه يُعَدّ ينبوعاً تَغذّى منه النحو كثيراً ، والذي عقده في كتابه ، وبقي الكتاب نسيجاً متكاملاً بمادته ، فكان مؤلَّفاً فريداً في عصره ، وما تضّمنه من منهج أسس فيه صاحبه القاعدة للتأليف النحوي ، إذ ابتدأه بمقدمة في أنواع الكلم وبعدها أبواب الكلام، وبتصنيف منسجم يعتمد أوّله على آخره ، ويعود سبب آخره إلى أوّله . وقد كان استنتاج الدكتور البكاء هذا الأمر في غاية الدقة ، حين قال : ((من الناحية المنهجية اتضح أنّ الكتاب ابتدأ بمقدمة في أنواع الكلم ومجاريه ، وأبوابه : الإسناد وأحواله ، ثم توالت الأبواب في تصنيف

---

[١٠٠]- الزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين /١٠٨ .
[١٠١]- السيد : د. عبد الرحمن - مدرسة البصرة /٤٨٢ .
[١٠٢]- الحديثي - سيبويه حياته وكتابه / ٣٣ .
[١٠٣]- أبو الطيب اللغوي - مراتب النحويين /٦٥ .
[١٠٤]- المصدر نفسه / ٦٥ ، وينظر / السيوطي - المزهر ٤٠٥/٢ .

دقيق على وجه لو قُدِّم ثانٍ على أول منها لاختل نظامه واضطرب منهجه ، فقد بنى أوّله على آخره ، وتعلّق ثانيه بسبب أوّله ...))[١٠٥] . وقد كان سيبويه يستشهد بالقرآن الكريم بالاعتماد على القراءات القرآنية المختلفة ، وكثيراً ما يستشهد بالشعر العربي ، وقليلاً ما أخذ بالحديث النبوي الشريف[١٠٦] . وقد لقي الكتاب اهتماماً واسعاً من الدارسين ، قديماً وحديثاً ، فأخذ النحو عن سيبويه الأخفش الأوسط وقطرب .

ومن المسائل التي نظَّرها سيبويه في باب الأمر والنهي قوله : ((والأمر والنهي يختار فيهما النصب في الاسم الذي يبنى عليه الفعل ، ويبنى على الفعل، كما اختير ذلك في باب الاستفهام ؛ لأنّ الأمر والنهي إنما هما للفعل ، كما أنّ حروف الاستفهام بالفعل أوْلى ، وكان الأصل فيها أنْ يبتدأ بالفعل قبل الاسم ، فهكذا الأمر والنهي ، لأنّهما لا يقعان إلاّ بالفعل ، مظهراً أو مضمراً))[١٠٧].

ويرى (أي) بمعنى الموصولية فتكون بمنزلة (مَنْ). قال سيبويه : ((اعلم أنّ أيّاً مضافاً وغير مضاف بمنزلة (مَنْ)، ألا ترى أنّك تقول : أيٌّ أفضلُ ، وأيّ القوم أفضلُ. فصار المضاف وغير المضاف يجريان مجرى (مَنْ) ، كما أن زيداً وزيدَ مناة يجريان مجرى عمرو ، فحال المضاف في الإعراب ، والحُسْن ، والقُبْح كحال المفرد. قال الله عزَّ وجلَّ : ((أيّاً مَا تَدْعُوَ فَلَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى))[١٠٨] . فَحَسُنَ كَحُسْنِهِ مضافاً . وتقول : أيّها تشاءُ لك ، فتشاءُ صلةٌ لأيّها حتى كمل آسماً . كأنّك قلته : الذي تشاء لك))[١٠٩] .

رابعا : المبرد (ت ٢٨٥ هـ)

---

[١٠٥]- البكاء : د. محمد كاظم - منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي - دار الشؤون الثقافية العامة بغداد - ١٩٨٩ /٤٥٠ .

[١٠٦]- ينظر /الحديثي - سيبويه حياته وكتابه / ١٣٠ و ١٦٨ .

[١٠٧]- سيبويه - الكتاب ١٣٧/١ .

[١٠٨]- الإسراء - من الآية / ١١٠.

[١٠٩]- سيبويه - الكتاب ٣٩٨/٢ .

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري المبرّد[١١٠] . إمام العربية في زمانه و((آنتهت إليه رياسة النحو واللغة بالبصرة))[١١١] . أخذ النحو عن ((أبي عمر الجرمي ، وأبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستاني))[١١٢] . كان بارعاً دونما غيره ممن عاصروه أو تتلمذوا معه ، وقد ذكر السيوطي في المزهر أنّه : ((أخذ النحو عن المازني والجرمي جماعة برع منهم أبو العباس المبرّد فلم يكن في وقته ولا بعده مثله))[١١٣]. ولقب بالمبرّد حينما سمع الناس المازني يناديه ((قُمْ : فأنت المبرِّد والمثبِّت للحق))[١١٤].

أعطى المبرِّد العلم جُلَّ وقته ، حتى أخذ عنه كثير من طلاب اللغة ، ممن أصبحوا فيما بعد يشار إليهم والى علمهم ، منهم ؛ الزجاج (ت ٣١١هـ) ، والأخفش الصغير أبو الحسن علي بن سليمان (ت ٣١٥ هـ) ، وابن السراج (ت ٣١٦ هـ)،وابن عمّار (ت ٣١٩ هـ)[١١٥] ، والصولي (ت ٣٣٥ هـ) ، وابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) وغيرهم[١١٦].

والمبرِّد رجل عظيم القدر بما لديه من علم ،وأدب ، وأخلاق جعلته إماماً، يقتدى به ، حتى وصفه ابن جني بأنّه : ((يُعَدّ جيلاً في العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا ، وهو الذ ي نقلها وقرَّرها ، وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها))[١١٧] ، وقد ترك ثروة لغوية وأدبية من ضمنها كتبه ((معاني القرآن ، الكامل في اللغة

---

[١١٠]- ينظر في ترجمته / الزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين /١٠١ ، وابن الانباري -نزهة الألباء /١٦٤ ، و جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ)- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - مصر ١٩٦٣- ١١٧/٣، والسيوطي - بغية الوعاة ٢٦٩/١.

[١١١]- أبو المحاسن - النجوم الزاهرة ١١٧/٣.

[١١٢]- ابن الانباري - نزهة الألباء / ١٦٤.

[١١٣]- السيوطي - المزهر ٤٠٨/٢ .

[١١٤]- السيوطي - بغية الوعاة ٢٦٩/١ .

[١١٥]- أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمّار الثقفي الكاتب (ت٣١٩هـ) ، له من الكتب (المبيضة في أخبارآل أبي طالب ، ومثالب أبي نواس)، ينظر ترجمته /ابن النديم - الفهرست/ ٢٤٠ .

[١١٦]- ينظر/ابن الانباري - نزهة الألباء/١٦٥، وابن النديم - الفهرست /٩٣ وما بعدها .

[١١٧]- ابن جني (ت٣٩٢هـ) - سر صنعة الإعراب - تحقيق - حسن هنداوي - ط١ - دمشق ١٩٨٥ ١٢٩/١ ، وينظر / المبرد - المقتضب ٢٤/١.

والأدب ، المقتضب ، الروضة، المقصور و الممدود ، إعراب القرآن، الرد على سيبويه))[118].

وللمبرِّد مناظرات أدبية كثيرة مع أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، الذي يتمتع هو الآخر بغزارة علمية جيدة ، وقد أدت هذه المناظرات بينهما إلى تنافرٍ وكُرْهٍ شديدين من ثعلب للمبرِّد إذ : ((كان المبرِّد يُحبّ ُ الاجتماع والمناظرة بثعلب ، وثعلب يَكْرَهُ ذلك ويمتنع عنه))[119].

أتبع المبرِّد منهجاً واضحاً في كتابه المقتضب مثلاً ، كثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم ، من ذلك استشهاده بقوله تعالى : ((هَدْ ياً بَالِغَ الكَعْبَةِ))[120]في باب الصفة المشبهة بأسم الفاعل[121] ، وغيره كثير ، لأنّه أعتمد القرآن دليلاً لدعم آرائه ، فبلغ عدد الآيات المستشهد بها في المقتضب (أربعمئة وخمس وسبعين آيةً) . ويمثل الشعر العربي المرتبة الثانية في استشهاد المبرِّد به إذ بلغ عدد الأبيات التي استشهد بها (خمسمئة وستين بيتاً) ، من ذلك استشهاده على تعريف المضاف إليه وحده في قول الفرزدق :

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَداهُ إزَارَهُ وَدَنا فأدْرَكَ خَمْسَةَ الأشْبَارِ[122]

والشاهد في قوله (خمسة الأشبار) .

أما الحديث النبوي الشريف ، فكان المبرِّد قليل الاستشهاد به ، إذ لا تتجاوز الأحاديث في المقتضب على الخمسة .

وقد ألتزم المبرِّد بالقياس ألتزاماً شديداً ، من ذلك قياسه على ما ذهب إليه سيبويه، فهو يرى أنّ (ما) المصدرية حرف لا اسم متبعاً سيبويه ومخالفاً الأخفش قال : (فأما اختلاف الأخفش ، وسيبويه في (ما) إذا كانت والفعل مصدراً ، فإنّ سيبويه كان يقول : إذا قلت : أعْجَبَنِي ما صَنَعْتَ ، فهو بمنزلة قولك : أعجبني أنْ

---

[118]- ابن النديم - الفهرست /٩٣، وينظر/ السيوطي - بغية الوعاة ٢٧٠/١.

[119]- أبو المحاسن - النجوم الزاهرة ١١٧/٣ ، ولمعرفة المزيد عن مناظراته مع ثعلب ينظر/القفطي - أنباه الرواة ١٤٠/١، والسيوطي - بغية الوعاة ٢٦٩/١ و٣٩٦ .

[120]- المائدة - من الآية /٩٥.

[121]- ينظر /المبرد - المقتضب ٤٢٩/٤ .

[122]- الفرزدق- الديوان ١/ ٣٠٥ ، ومعناه أنّ الفتى ظهرت عليه الشجاعة منذ حداثته ولم يكن قد بلغ خمسة أشبار ، وينظر/المبرد - المقتضب ٤٦٤/٢ .

قُمْتَ ... والأخفش يقول : أعْجَبَني ما صَنَعْتَ ، أيْ : ما صَنَعْتَهُ ؛ كما تقول : أعجبني الذي صنعته ، ولا يُجِيْزُ : أعجبني ما قمت ، لأنّه لا يتعدى ، وقد خَلَطَ ، فأجاز مثله ، والقياس والصواب قول سيبويه))[١٢٣] ، وأؤيد ماذهب إليه المبرّد .

وكان بارعاً في مسائل علمية متفرقة ، وهذا مرده إلى غزارة علمه ، وفكره الموسوعي الذي أثـّر في منهجه ، ففي كتاب الكامل ما في كتب الجاحظ من غلبة الاستطراد إذ جعل المبرِّد مادة كتابه متنوعة الموضوعات، كثيرمن الأبواب ، وٱشتمل على مسائل متفرقة في النحو وفي التاريخ ، فكان يعرض لمسألة معينة وسرعان ما يقفز منها إلى غيرها دون ثباتٍ على منهج معلوم ، وكأنّك تطالع في أحد كتب الجاحظ [١٢٤]. وكان في منهجه النحوي يسير معتدلاً، فلا يميل إلى مذهب بعينه ، ولا يتقيّد برأي عالم معين ، ويتضح هذا في إنكاره تقديم خبر(ليس) عليها [١٢٥] .

وقد برزت شخصية المبرِّد بما يمتلكه من غزير العلم والمعرفة ، حتى ذاع صيته فأخذ بآرائه الآخرون ، ومنهم أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) في القياس منها : ((ما حدثنا به أبو علي رحمه الله قال : عن أبي بكر عن أبي العباس أنّ عمارة كان يقرأ ((وَالْلّيْلُ سَابِقُ النّهَارَ))[١٢٦] بالنصب ، قال أبو العباس : فقلت له : ما أردتَ ؟ فقال : أردتُ (سابقُ النّهارَ) قال فقلت له فهَلاّ قُلْتَهُ ؟ ، فقال : لو قلته لكان أوزن . فقوله : أوزن أي أقوى وأمكن في النفس..))[١٢٧].

قال المبرِّد في بناء فعل التعجب : ((إنما يكون من بنات الثلاثة ، نحو (ضَرَبَ ، وَعَلِمَ ، وَمَكُث) وذلك أنّك تقول : (دَخَلَ زيدٌ) : و (أدْخَلْتَهُ) ، و(خَرَجَ) ، و(أخْرَجْتَهُ) ، فتلحقه الهمزة إذا جعلته محمولاً على (فَعَل) . وكذلك تقول : (

---

[١٢٣]- المبرد - المقتضب ١٦٢/٣ ، وينظر/سيبويه - الكتاب ٣٦٧/١ .

[١٢٤]- الدقاق : د. عمر - مصادر التراث العربي - دار المشرق - بيروت - ب ت / ٩٦ .

[١٢٥]- ينظر /المبرد - المقتضب ٨٥/٣ ، وابن جني - الخصائص ١٨٩/١. وابن الأنباري (ت٥٧٧هـ)- الإنصاف في مسائل الخلاف - تحقيق- محمد محيي الدين عبد الحميد - ط ٤ - دار إحياء التراث العربي - مصر ١٩٦٤ ١٦٠/١المسألة/١٨.

[١٢٦]- سورة يس – من الآية / ٤٠.

[١٢٧]- المنصوري : د.علي جابر - أبو علي الفارسي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية - ط ١ - بغداد - ١٩٨٧/ ٥٤ ، وينظر/ ابن جني - الخصائص ١٢٦/١ .

حَسُن زيدٌ) ثُمّ تقول : (ما أ حْسَنهُ) لأنّك تريد : شيء أحسنه. فإنْ قيل : (ما أعطاه للدراهم) : و (أولاه بالمعروف) ! ، وإنما هو مَنْ (أعطى ، وأولى) . فهذا وإن كان قد خرج إلى الأربعة ـ فإنما أصله الثلاثة والهمزة في أوله زائدة . وعلى هذا جاء : ((وَأَرْسَلْنا الرِّيَاحَ لَوَاقِح))[١٢٨] ولو كان على لفظه لكان (ملاقح) ؛ لأنه يقال : (ألقِحَتْ، فهي مُلْقِحة) ولكنّه على حذف الزوائد . ..))[١٢٩] .

خـامسـاً : ابن السـرّاج (ت ٣١٦ هـ)[١٣٠]

أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي . ذو ثقافةٍ عاليةٍ ، ومتعددة الجوانب، فهو يتعمق في القديم عن طريق قراءته كتب السابقين له ، ويأخذ من الجديد المعاصر له فتراه ((واسع الثقافة متعدد الجوانب تعمّق في القديم كما أفاد من الحديث في زمنه))[١٣١] . نشأ في بغداد وأخذ فيها العلم من المبرّد والزجاج ((رجع إلى الكتاب والبحث في المسائل النحوية وبرز في العربية وخلف المبرّد في بغداد))[١٣٢] بعد أنْ بحث في مسائل النحو واْشتدَّ عوده فيها. كما أنّه برع في علم المنطق ، لكونه اطلع على ثقافات غير عربية إذ : ((مزج بين الثقافة العربية الخالصة وبين الثقافات الوافدة على الفكر العربي))[١٣٣] . وقد أفاد من هذا الاختلاط الثقافي في معرفته المنطق، الذي يُعَدّ أمراً أساساً في أعمال النحاة ، إذ إنّ ((المنطق كان أمراً أساسياً في أعمال النحاة مادامت في النحو أحكام تُستنتج وقياس يتبع))[١٣٤] . وقد حَذَّر ابن السّراج من الخلط في الاشتقاق بين لغة العرب ، ولغة العجم،

---

[١٢٨]- الحجر - من الآية / ٢٢.
[١٢٩]- المبرد - المقتضب ٤٤٢/٤ .
[١٣٠]- ينظرفي ترجمته /القفطي - أنباه الرواة ١٤٥/٣، والسيوطي - بغية الوعاة ١٠٩/١ ، وابن شهبة القاضي الشافعي - طبقات النحاة واللغويين - تحقيق - د. محسن غياض - مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١١٥/١٩٧٤ ، وابن السراج - الأصول في النحو ٦/١.
[١٣١]- ابن السراج - الأصول في النحو ١/ ٦.
[١٣٢]- الطنطاوي - نشأة النحو/١٤٩.
[١٣٣]- ابن السراج - الأصول في النحو ٦/١ .
[١٣٤]- المصدر نفسه ٧/١ .

فيولَّد من هذه لهذه ، فقال :((مما ينبغي أنْ يُحْذَر منه كل الحذر أنْ يشتق من لغة العرب الشيء من لغة العجم ، فيكون بمنزلة مَنْ ٱدعى أنّ الطير ولد الحوت))[١٣٥] .

ولأبن السّراج منهج مُيَّسرٌ لا لبس فيه ومذهبه واضح ، إذ ((إنّ ابن السّراج يقول بـآراء البصريين ويَعِدّ ُ نفسه بصرياً ويعتمد الأسس البصرية ويستعمل مصطلحا تهم))[١٣٦] . ويرى الدكتور محمد علي حمزة أنّ : ((مذهب ابن السّراج ومن تابعه ومنهم ابن الناظم حقيق بأنْ يؤخذ به لقربه من طبيعة اللغة التي اعتمدت أمن اللَّبس ، أحد الأصول التي تكفل الإفهام))[١٣٧] . ومن تلامذته أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، والسيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)[١٣٨] . ومن المسائل التي ٱنفرد بها عن غيره قوله بأنّ اسم الفاعل يأتي منفرداً . قال ابن السّراج : ((واعلم أنّ كُلّ ما يجمع بغير الواو والنون نحو : حَسَن وحَسَان فإنّ الأجود فيه أنْ تقول : مَرِرْتُ برجلٍ حَسَان قومَهُ ، من قبل أنْ هذا الجمع المكسَّر هو اسم واحد صِيْغَ للجمع . ألا ترى أنّه يعرب كإعراب الواحد المفرد ، لا كإعراب التثنية ، والجمع السالم... وما كان يجمع بالواو والنون نحو : منطلقين . فإنّ الأجود فيه أنْ تجعله بمنزلة الفعل المُقدَّم فتقول : مَرِرْتُ برَجلٍ مُنطَلِقٌ قومَه ..))[١٣٩] .

وقد ترك ابن السّراج مؤلفات مهمة نذكر منها : الأصول في النحو [١٤٠]، و((شرح كتاب سيبويه ، احتجاج القراءات ،وكتاب الاشتقاق))[١٤١] .

ويُجيز ابن السّراج أنْ تكون الحال من المفعول به كما تكون من الفاعل ، كما يجوِّزها من الضمير المتصل أيضاً قال : ((اعلم أنّ الحال يجوز أنْ تكون من المفعول كما تكون من الفاعل ، تقول : ضَرَبْتُ زَيْداً قائماً ، فتجعل قائماً لزيدٍ،

---

[١٣٥]- الجواليقي (ت٥٤٠هـ)- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم - تحقيق - محمود محمد شاكر - ط٢ - دار الكتب - مصر ١٩٦٩ /٥١.

[١٣٦]- ابن السراج - الأصول في النحو ١٩/١ .

[١٣٧]- سعيد : د. محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي - بغداد - ١٩٧٧ /١٥٣ .

[١٣٨]- ينظر/السيوطي - بغية الوعاة ١١٠/١ .

[١٣٩]-ابن السراج - الأصول في النحو ١٦١/١،وينظر/ السيوطي - الأشباه والنظائر ٩٠/١ .

[١٤٠]- مطبوع بتحقيق - د. عبد الحسين الفتلي - النجف الأشرف - ١٩٧٣.

[١٤١]- ابن النديم - الفهرست /٩٨ ، وينظر/السيوطي - بغية الوعاة ١١٠/١.

ويجوز أنْ تكون الحال من التاء في ضَرَبْتُ إلاّ أنّك إذا أزلتَ الحال عن صاحبها فلم تلاصقه ، لم يجز ذلك إلاّ أنْ يكون السامع يعلمه كما تعلمه أنت ، فإنْ كان غير معلوم لم يجزْ))[١٤٢]

والذي يقرأ كتاب الأصول في النحو ، يجد أنّ ابن السّراج يقارن بين كثير من المسائل عند سيبويه ، وغيره من علماء النحو ، ثُمَّ يرى رأيه في ذلك ومثاله قال : ((قال أبو العباس [يعني المبرّد] ، فيلزم سيبويه أنْ يقول على هذا : أما زيداً فإنّك ضارِبُ . قال سيبويه : أما حقّاً فإنّك قائِمٌ ، وأما أكبر ظَنّي فأنّك مُنْطَلِقٌ فعلى الفعل لا على الظرف ، لأنّك لم تضطر إلى أنْ تجعلها ظرفاً إذا كانت (أمّا) إنّما وضعت على التقديم لما بعد الفاء فصار التقدير : مهما يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فإنّك ذاهبٌ حَقّاً. وفيما قال نظر وشغب، ولا يجوز عندي على هذا أنْ تقول : أمّا هِنْداً فإنّ عَمْراً ضارِبُ . لأنّ تقدير الأسم الذي يلي (أمّا) أنْ يلي الفاء ملاصقاً لها ...))[١٤٣] .

وخلاصة القول إنّ ابن السّراج يُعَدّ أول من جمع المسائل وبوَّبها تبويباً علمياً دقيقاً[١٤٤].

سادساً : ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)[١٤٥]

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، نشأ في الموصل ، وتلقّى مبادئ العلم بها. برع في الأدب واللغة حتى ((حذق النحو والتصريف واللغة))[١٤٦]. وكان بارعاً فيما أخذه من شيوخه ، كأبي علي الفارسي ، وأبي بكر بن مقسم

---

[١٤٢]- ابن السراج - الأصول في النحو ٢٦٠/١ .
[١٤٣]- ابن السراج - الأصول في النحو ٣٤١/١ .
[١٤٤]- ينظر/ ابن الانباري - نزهة الألباء /١٨٦ .
[١٤٥]- تنظر ترجمته / ابن الانباري - نزهة الألباء/٢٤٤وما بعدها ، والسيوطي - بغية الوعاة ١٣٢/٢، وابن جني - الخصائص ٧/١ وما بعدها .
[١٤٦]- الدقاق - مصادر التراث العربي / ٣٠٢ .

(ت٣٥٤هـ)[١٤٧] . وقد خالف شيخه أبا علي الفارسي في قوله بتوقيف اللغة، فقال هو بأصطلاحها ، وإنّ الناس قد تواضعوا على هذه اللغة وتفاهموا بها ، قال: ((هذا موضوع محوج إلى فضل وتأمل ؛ غير أنّ أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ...))[١٤٨] . وقد بلغ ابن جني مبلغاً في النحو ، لم يصل إليه سواه ، إذ ((فتح ابن جني في العربية أبواباً لم يتسنَ فتحُها لسواه))[١٤٩] .

ومن تلاميذه ((أبو القاسم الثمانيني ، وعبد السلام البصري ، وأبو الحسن السمسمي))[١٥٠] . صَحِب ابن جني الشاعر المعروف ، أبا الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ) ، وقد ورد عن المتنبي قوله : ((ابن جني أعرف بشعري مني ، وهذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس))[١٥١].

أما منهج ابن جني النحوي خليط ، بين ثلاثة مذاهب ، فتراه يذهب مذهب شيخه الفارسي فيكون بصرياً ، وأخرى كوفياً ، وبغدادياً ثالثةً. فصار القول بمذهبه النحوي موضع جدل بين المحدثين ، فمنهم من قال ببصريته وهو محمد علي النجار[١٥٢]. وذهب الطنطاوي ، والدكتور المخزومي في انكاره المدرسة البغدادية إلى أنّه كوفي[١٥٣]. أما الدكتور شوقي ضيف ، فأثبته في البغداديين[١٥٤] ، وقد كان منهجه في كثير من مؤلفاته ، ذِكْره ما أخذه عن شيوخه ، وعن علماء آخرين ،

---

[١٤٧]- النعيمي : د. حسام سعيد - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني - ط١- بغداد ١٩٨٠/ ٢٨. هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن العطار المقري النحوي (ت ٣٥٤ هـ). تنظر/ابن الانباري - نزهة الألباء/٢١٥ وما بعدها .

[١٤٨]- ابن جني - الخصائص ٤١/١. وقد أشار البحث إلى هذه القضية في التمهيد ص ٩.

[١٤٩]- المصدر نفسه ٣١/١.

[١٥٠]- السيوطي - بغية الوعاة ١٢٩/٢. والثمانيني : هو أبو القاسم عمر بن ثابت (ت ٤٤٢هـ) ينظرترجمته/ابن الانباري - نزهة الألباء/ ٢٥٦. والبصري : هو أبو أحمد عبد السلام بن الحسن بن محمد البصري اللغوي (ت ٤٠٥هـ) ينظر ترجمته / المصدر نفسه /٢٤٧. والسمسمي :هو أبو الحسن علي بن عبيد الله اللغوي (ت٤١٥هـ) ينظر ترجمته/ المصدر نفسه/٢٤٨.

[١٥١]-السيوطي - بغية الوعاة ١٣٢/٢.

[١٥٢]- ابن جني - الخصائص ٤٤/١ .

[١٥٣]- ينظر/ المخزومي - الدرس النحوي في بغداد /٣٤٢، والنعيمي - الدراسات اللهجية/١٩.

[١٥٤]- ضيف - المدارس النحوية /٢٦٨.

يذكرهم دون الإشارة إلى كتبهم ، أو يذكر الكتب دون ذكر مؤلفيها[١٥٥] . وهو كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم ، والأشعار الجاهلية ، والقريبة منها . ويستعين كثيراً بالقياس في مسائله . من أهم مؤلفاته : الخصائص[١٥٦] ، وسر صناعة الإعراب[١٥٧] ، واللّمع في العربية[١٥٨] .

ومن مسائله فصل ابن جني بين المضاف والمضاف إليه في إضافة المصدر إلى فاعله ، وفصل بينهما بمفعول المصدر قال : ((عندي دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم وأنّه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول ــ واستدل بقول الطرماح:[١٥٩]

يُطْفِنَ بِحَوْزيّ المَرَاتِعِ لَمْ يُرَعْ بِوَادِيْه مِنْ قَرْعِ القِّسِيَّ الكَنَائِنِ

فلم نجد فيه بُدّاً من الفصل ، لأنّ القوافي مجرورة ، ومن ذلك قراءة ابن عامر :- ((وَكَذلِكَ زُيّنَ لِكَثِيْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ قَتْلُ أوْلادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ))[١٦٠] ، وهذا في النثر))[١٦١] . وقد فصل بين المصدر (قَرْع) المضاف إلى فاعله (الكنائن) بالمفعول به (القسي) . وكذلك في الآية أيضاً ، فصل بين المصدر (قَتْل) المضاف إلى فاعله (شركائهم) بالمفعول به (أولادهم) .

سابعاً :- عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)[١٦٢]

---

[١٥٥]- ينظر/ النعيمي : حسام - الدراسات اللهجية /٣٣.
[١٥٦]- أشار إليه البحث في هوامشه السابقة ص ٩.
[١٥٧]- مطبوع بتحقيق - حسن هنداوي- دمشق ١٩٨٥.
[١٥٨]- مطبوع بتحقيق- حامد المؤمن - بغداد ١٩٨٢.
[١٥٩]- الطرماح- الديوان - تحقيق - عزة حسن - دمشق ١٩٦٨ /١٦٩ . ومعنى البيت ، وصف لبقر الوحش وأراد فحلها ، المراتع : أماكن الرعي ، بواديه : البادية ، من قرع القسي الكنائن : ضرب القوس في جراب السهام ، ينظر /ابن منظور- لسان العرب(مادة حوز).
[١٦٠]- الإنعام - من الآية /١٣٧.
[١٦١]- ابن جني - الخصائص ٤٠٨/٢ ، وينظر / ابن الانباري - الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٣١/٢، وابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) - الحجة في القراءات السبع - تحقيق - د. عبد العال سالم مكرم - الكويت - ٢٠٠٠/ ١٥٠.
[١٦٢]- ينظر ترجمته / ابن الانباري - نزهة الألباء /٢٦٤ ،٢٦٥، والسيوطي - بغية الوعاة ١٠٦/٢، والجرجاني - أسرار البلاغة - تحقيق - هـ رتير- استنابول - ٦/١٩٥٤. والدقاق - مصادر التراث العربي /٣٠٢

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني . عالمٌ ورعٌ فقيهٌ، درس النحو والبلاغة ، وأبدع وأجاد في فنونهما ، حتى قال عنه تمام حسان : ((اعترف لآرائه الذكية ... يتناول المعنى النحوي والدلالي))[١٦٣].

لم يشتهر الجرجاني في النحو على الرغم من آرائه فيه ، أكثر من اشتهاره في البلاغة ، و ((عبد القاهر بليغ أديب في كتابه (أسرار البلاغة) لايتحدث فيه عن قضية الإعجاز ... ميالاً إلى طول النفس ، وبسط العبارة ، والاعتماد على الحاسة الفنية وتحكُّم الذوق الأدبي))[١٦٤] .وله الفضل في وضع علم البيان ، وتحديد قواعده ، ومباحثه ((إنّما يُعرَف الفضل في وضع هذا الفن للإمام عبد القاهر الجرجاني اخترع مباحثه وقعَّد قواعده))[١٦٥] . وإليه يرجع الفضل أيضاً في ابتكار نظرية النظم التي أخرج من خلالها النحو من نطاق الشكلية ، والجفاف إلى سبيل جديد من التوضيح ، إذ قال الدكتور حاتم الضامن: إنَّه ((أول عالم أخرج النحو من نطاق شكليته ، وجفافه وسما به فوق الخلافات والتأويلات حول البناء والإعراب ، لقد أخضع النحو لفكرة النظم))[١٦٦] . فالجرجاني رجل نحوي بالأساس قبل أنْ يكون بلاغياً ، وقد كرّس عمله في خدمة النحو ((بل أنّ علم المعاني الذي قيل أنّه واضع أصوله لم يكن إلاّ إحياءً لروح المعنى والحس والتذوق في علم النحو بعد أنْ أجهز النحاة على كل هذا بتعليلاتهم وتحليلاتهم وحججهم الدائرة حول قضية الإعراب ..))[١٦٧] .

ولقد وضع كتابيه دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، بأسلوب جديد مبتكر ، وفرّق بين كل كتاب منهما على الرغم من ارتباط الآراء فيهما ، فتجده يأخذ رأياً من كتابه الأول ليضعه في الثاني ، ومن الثاني إلى الأول .

---

[١٦٣]- حسان : د. تمام - اللغة العربية معناها ومبناها /١٩ .

[١٦٤]- الخولي : أمين - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - ط١ - مصر ١٩٦١/١٦٣.

[١٦٥]- الزيّات : أحمد حسن - تاريخ الأدب العربي - ط٣- مطبعة الرسالة - القاهرة - ب ت /٣٧٥.

[١٦٦]- الضامن : د. حاتم - نظرية النظم - الموسوعة الصغيرة - بغداد ١٩٧٩/٤٧ .

[١٦٧]- الجرجاني : عبد القاهر - كتاب المقتصد في شرح الإيضاح - تحقيق - د. كاظم بحر المرجان - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - بغداد ١٩٨٢ ١٤/١.

ترك الجرجاني مؤلفات منها : ((دلائل الإعجاز ، أسرار البلاغة ، النتيجة في النحو ، المغني في شرح الإيضاح ، إعجاز القرآن))[١٦٨].

يغلب على منهج عبد القاهر النظر البلاغي . أما في النحو فعالج المعنى الدلالي في الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، وكان يستشهد بالقرآن الكريم ، مثلا استشهاده على خبر المبتدأ المحذوف بقوله تعالى : ((وَ لاَتَقُولُوا ثَلاَثَةٌ آنْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ))[١٦٩] والشاهد في رفع (ثلاثة)[١٧٠]. وأيضاً من استشهاده بالقرآن الكريم في باب الصفة ((قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أنّ قوله ((جَنّاتِ عَدْنٍ))[١٧١]في موضع نصب على أنّها مُبْدَلَةٌ من قوله تعالى ((وَإنّ للمُتَّقِيْنَ لَحُسْنَ مَآبٍ))[١٧٢]، كأنّه والله أعلم أنّ قوله : لِلْمُتَّقِينَ لَجَنّاتُ عَدْنٍ، (فَمُفَتَّحةٌ) صفة (لجنّات عدنٍ) لأنّها نكرة ، إذ ليس (عدن) تُعْلَمُ وإنّما هو كقولك : (جَنّاتُ إقامَةٍ) ، كقولهم : (مَطِيَة حَرْبٍ) وفي مُفَتَّحَةٍ ضمير الجَنّات ، ولذلك أُنِثَ كما تقول : مَرِرْتُ بجَنّاتٍ مُفَتّحةٍ ، ولم يُجَوّزْ الشيخ أبو علي [الفارسي] أنْ يكون التأنيث في مُفَتّحة للأبواب ، وتكون مرفوعة بها ، فلا يكون فيها ضمير لجنّات عَدنٍ ، وذاك أنّ مَنْ ذَهَبَ إلى ذلك قال ما ذكره من أنّ التقدير مُفَتّحةُ الأبواب منها ، وإنّ الألف واللام سدّ مسد الضمير إذا قُلْتُ جَنّات عَدْنٍ مُفَتّحَةٌ أبوابُها ، فلا يجب الأخذ بالأول وهو أنْ يكون التقدير: جَنّاتُ عَدْنٍ مُفَتّحاً لهم الأبواب منها ، على أنْ يكون منها هو العائد إلى الموصوف الذي هو جَنّات ويكون مُفَتّحة فارغة من ضميرها حتى كأنّه قيل : جَنّاتَ عَدنٍ مُفتّحاً لهم الأبواب ، لأنّ الأبواب إذا كانت مرفوعةً بمُفتّحة جاز ترك التأنيث ، كما تقول : فُتِحَ الأبوابُ. وذاك كما ذكرنا من أنّك تحذف الراجع من الصفة وتجعلها عارية مما يعلقها بالموصوف ، نحو : مَرِرْتُ

---

[١٦٨]- الجرجاني - أسرار البلاغة /٦.
[١٦٩]- النساء - من الآية / ١٧١.
[١٧٠]- ينظر /الجرجاني - دلائل الإعجاز - الهنداوي /٢٤٤.
[١٧١]- سورة ص - من الآية /٥٠ وتمامها ((جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمْ الأبْوَاب)).
[١٧٢]- سورة ص – من الآية / ٤٩.

بِٱمْرأةٍ حَسَنِ الوجه ، لأنّ الأبواب اذا ارتفعت بمفتحة لم يكن منها ضمير عائدٌ إلى جنات عدن ، كما لا يكون في حسن ما يعود إلى ٱمرأة إذا ارتفع الوجه به))[١٧٣] .

وكذلك يستشهد بالشعر العربي ، ومنه مثلاً قول الشاعر

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئيم يِسُبُّنِي فَمَضَيْتُ،ثُمَّتَ قُلْتُ: لايَعْنيني[١٧٤] .

فالجرجاني يكثر من الاستشهاد بالقرآن والشعر لإثبات ما يذهب إليه ، في البلاغة والنحو .

وقد عاد الجرجاني بالنحو إلى علم المعاني ، لأنّه يمثل قمة علم النحو ، لأنّه يتناول المعنى الوظيفي للتركيب لذا قال : ((إنّ مدار أمر النظم على معاني النحو...))[١٧٥] . وقوله : ((أنْ ليس النظم شيئاً إلاّ توخّي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم ..))[١٧٦] .

ثامناً : الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)[١٧٧]

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. كان عالماً فذاً ثاقب الذهن ، عني بالقرآن الكريم عنايةً شديدة إذ ((كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفنناً في علوم شتَّى))[١٧٨] . ترى في كتبه تمكنه من البلاغة والاستعانة بالمجاز ، لذا قال الدكتور محمد علي الحسيني : ((أنّه قد ضمن حسّاً

---

[١٧٣]- الجرجاني - كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ٥٤٤/١، ٥٤٥ . وينظر / شرح الآية الطبرسي - مجمع البيان ٤٧٩/٨ وما بعدها .

[١٧٤]- ينظر / الجرجاني - دلائل الإعجاز- الهنداوي / ١٣٩ ، والبغدادي (ت١٠٩٣هـ) - خزانة الأدب ١٧٣/١، ومعناه : أتجاهل شتم اللئيم لأنّه أحقر من أن يعني لي شيئاً .

[١٧٥]- الجرجاني - دلائل الإعجاز- هنداوي/٦٤.

[١٧٦]- المصدر نفسه / ٣٤٣.

[١٧٧]- ينظر ترجمته /ابن الانباري - نزهة الألباء / ٢٩٠ ، والقفطي - أنباه الرواة ٢٦٦/٣ ، والسيوطي - بغية الوعاة ٢/ ٢٧٩ ، والطنطاوي - نشأة النحو /١٧٥ ، وبكر: د. السيد يعقوب - نصوص في النحو العربي - بيروت ١٩٧١ /١٧ .

[١٧٨]- بكر: د. السيد يعقوب - نصوص في النحو العربي / ١٧ .

بلاغياً ونظراً مجازياً حيث تجد ذلك عند الزمخشري في كتبه التي تعنى في التفسير والبلاغة ولاسيما في معجمه اللغوي (أساس البلاغة)...))[١٧٩] .

أخذ النحو عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي النحوي (ت ٥٠٧ هـ) وأبي بكر عبد الله بن طلحة اليابري(ت ٥١٨ هـ)[١٨٠] . ومنهجه في النحو معتدل لا يذهب فيه إلى رأي بصري أو كوفي ، بل ينتخب من المذهبين ، لذا عَدَّه الدكتور محمود حسني بغداديَّ المذهب قال : ((البغدادية تتجلّى في منهجه السماعي والقياسي وفي انتخابه ما راق له من آراء البصريين والكوفيين الذين يميلون إلى المذهب البغدادي ، وتتجلّى بغداديته في اهتدائه إلى آراء جديدة استقل بها))[١٨١] . وضع الزمخشري مؤلفات متعددة في النحو ، واللغة والبلاغة والقراءات ، والتفسير منها: ((الأنموذج في النحو))[١٨٢]، و (أساس البلاغة)[١٨٣] ، و(الأحاجي النحوية)[١٨٤] ، ويُعَدّ (المفصّل) من كتب الزمخشري المهمة ، وقد شرحه ابن يعيش الحلبي (ت ٦٤٣هـ)[١٨٥] . وله آراء كثيرة مثبوثة في كتب النحاة ، منها مثلاً ، أنّه يرى في (أمْ) أنها تفيد الاتصال والانقطاع ، في قوله تعالى : ((قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُوْلُوْنَ عَلى اللهِ مَا لا تَعْلَمُوْنَ))[١٨٦] . قال الزمخشري : ((يجوز في أمْ أنْ تكون معادلة بمعنى أيِّ الأمرين كائن ، على سبيل التقرير ، لحصول العلم بكون أحدهما ، ويجوز أنْ تكون منقطعة))[١٨٧] . ويرى الزمخشري أنّ عطف البيان لا

---

[١٧٩] - الحسيني : علم اللغة التوحيدي /٦.

[١٨٠] - السامرائي : د.فاضل -الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري- بغداد ١٩٧١/١٦ .

[١٨١] - حسني : د. محمود - المدرسة البغدادية /٤٢١.

[١٨٢] - خليفة - كشف الظنون ١٨٥/١ . وفيه أنّه اقتضبه من المفصّل وجعله مقدمة نافعة للمبتديء كالكافية .

[١٨٣] - مطبوع بتحقيق - محمد باسل عيون المها - دار الكتب - بيروت ١٩٩٨ .

[١٨٤] - مطبوع بتحقيق - مصطفى الحيدري - مطبعة مكتبة الغزالي . لم يطلع عليه الباحث، ينظر / الفضلي : د. عبد الهادي - فهرست الكتب النحوية المطبوعة - مكتبة المنار - الأردن ١٩٨٦/ ٢٦ .

[١٨٥] - ينظر/ بكر: د. السيد يعقوب - نصوص في النحو / ٢٧ .

[١٨٦] - سورة البقرة – من الآية /٨٠ .

[١٨٧] - ابن هشام (ت٧٦١هـ) - مغني اللبيب عن كتب الاعاريب - تحقيق - محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة – ب ت ٤٧/١.

يأتي للتوضيح في قوله ((إنّ (البَيْتَ الحَرَامِ) عطف بيان على جهة المدح كما في الصفة ، لا على جهة التوضيح في ((جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرامِ))[١٨٨]))[١٨٩] .

تاسعًا : ابن الحاجب (٦٤٦ هـ)[١٩٠]

هوعثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بأبن الحاجب . حاد الذهن ، قادر على البيان ، كان عالماً جليلاً ، نشأ وترعرع على العلم ، مولعاً بالقراءات ودراسة العربية من صغره ((اشتغل بالقرآن الكريم ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك ، ثُمَّ بالقراءات والعربية))[١٩١] ، له شخصية قوية ، مؤثرة بوضوح في الناس ((كان ابن الحاجب علاّمة زمانه ، رئيس أقرانه ، استخرج ما كَمُن من درر الفهم ، وخرّج نحو الألفاظ بنحو المعاني ...))[١٩٢] . ولم يكن عِلْمُ ابن الحاجب مقتصراً على النحو، والعلوم اللغوية بل تجاوز ذلك ، فقد كتب في الأصول الفقهية التي سنتحدث عنها في الفصل القادم .

أخذ العلم على يد القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) في القراءات ، وأبو الفضل الغزنوي (ت٥٩٩ هـ) ، وأبو الحسن الابياري (ت ٦١٨ هـ) ، وأهم تلاميذه زين الدين ابن العماد (ت ٧٠٠ هـ) ، وجمال الدين بن مالك (ت٦٧٢هـ)[١٩٣] .

ذكرت المصادر التي تناولت حياة ابن الحاجب : ((بأنّه كان بارعاً في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية))[١٩٤] . أشتهر ابن الحاجب بالنحو أكثر منه في

---

[١٨٨]- المائدة - من الآية /٩٧ .
[١٨٩] - ابن هشام - مغني اللبيب ٤٥٥/٢ .
[١٩٠]- ينظر ترجمته /السيوطي - بغية الوعاة ١٣٤/٢، والجنابي : طارق عبد عون - ابن الحاجب النحوي آثره ومذهبه - بغداد ١٩٧٤ / ٣١ وما بعدها ، ودائرة المعارف الإسلامية (كتاب الشعب) – تحت إشراف الاتحاد الدولي للمجامع العلمية - مطبعة الشعب - القاهرة ١٩٦٩ ٢٤٦/١.
[١٩١]- الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /٣٤ .
[١٩٢]- المصدر نفسه / ٣٦ .
[١٩٣]- ينظر/ الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /٤١ ــ ٤٥ ، وبكر : د. السيد يعقوب - نصوص في النحو العربي / ٢٦٤، ٢٦٥ .
[١٩٤]- الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي / ٣٧ .

الأصول ، بل اختلف كثيراً عن غيره في ميدان النحو ، فقد ((اشتهر بالنحو بوجهٍ خاص ، وهو في هذا الميدان يختلف من عِدّة وجوه عن أسلافه))[١٩٥] . من مؤلفاته ((الكافية في النحو)) وهي منظومة وقد شرحها المؤلف نفسه [١٩٦]. و((الشافية في التصريف))[١٩٧] ، وذكر له السيوطي ((الأمالي في النحو))[١٩٨] .

كان ابن الحاجب يُسْبِغ على النحو العربي ، نزعة أصولية بما يعتقده تسهيلاً من الثِّقَل الذي ينوء به النحو، ولابن الحاجب منهج خاص في التأليف .

إذ كان منهجه مختصراً ، يتضح هذا في الكافية والشافية . عرض لمسائل الخلاف في البصرة والكوفة ،من دون الميل إلى أحدهم ، عُني بالقراءات ، وتأثر بالأسلوب القرآني . فكان كثير الشواهد القرآنية ((ولا يكاد يبحث في مسالة من مسائل النحو إلاّ وأيّدها بشاهد قرآني))[١٩٩].

يرى ابن الحاجب جواز حذف عامل الحال كما يجب الحذف بوجود قرينة تدل عليه، قال ابن الحاجب : ((ويجوز حذف العامل ، كقولك للمُسَافِر ، رَاشِداً مَهْدِيّاً ، ويجب في المؤكّد ، نحو : زيدٌ أبوكَ عطوفاً ، أي أحقه ، وشرطها أنْ تكون مقررة لمضمون جملة اسمية))[٢٠٠]. وقال الرضي الاستربادي (ت ٦٨٦ هـ) في شرحه : ((اعلم أنّ عامل الحال قد يحذف جوازاً، ووجوباً أيضاً في مواضع قياسية ، ولابد من قرينة مع الحذف ، جائزاً كان أو واجباً ، فقرينة ما حذف جائزاً : حضور معناه . كقولك للمسافر : راشداً مهدياً ، أيْ سِرْ راشداً... ومن المواضع التي يحذف فيها قياساً على الوجوب : إنْ تبيّن الحال ازدياد ثمن أو غيره ، شيئاً فشيئاً . مقرونة بالفاء أو ثُمَّ ، تقول في الثمن : بِعْتُهُ بدِرهَمٍ فصَاعِداً ، أو : ثُمَّ زائداً . أيْ ذَهَبَ الثَّمَنُ

---

[١٩٥]- دائرة المعارف الإسلامية ٢٤٦/١ .

[١٩٦]- ينظر/ السيوطي - بغية الوعاة ١٣٥/٢ ، وبكر : د. السيد يعقوب - نصوص في النحو /٢٦٦، وقد شرحها الرضي الاستربادي (ت ٦٨٦هـ) - بتصحيح – حسن عمر - مؤسسة الصادق - طهران ١٩٧٨.

[١٩٧]- الاستربادي - شرح شافية ابن الحاجب - تحقيق - محمد نور الحسن وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٥ .

[١٩٨]- السيوطي - بغية الوعاة ١٣٥/٢ .

[١٩٩]- الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /١٠٦ .

[٢٠٠]- الاستربادي - شرح الرضي على الكافية ٤٧/٢ .

صـاعِداً...))[٢٠١]،وبـذلك قـال سيبويه[٢٠٢] ، ومثلـه ابـن مالـك (ت ٦٧٢ هـ) وتبعـه ابـن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)[٢٠٣].

عاشرًا : ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)[٢٠٤]

هـو أبـو عبـد الله ، جمـال الـدين محمـد بـن عبـد الله بـن مالـك الطـائي . لغـويٌّ معروف ، ذاع صيته بين الناس ، ودارسي النحو العربي ،لكونه ((يُعَدّ ُ فقيهـاً ولغويّـاً كبيـراً كـاد ينـازع سـيبويه شـهرته))[٢٠٥] . أخـذ العلـم والقـراءات والفقـه ، وانفـرد واشـتهر بـالنحو العربـي ، مـن أهـم شـيوخه ((أبـو المظفـر الكلاعـي (ت٦٢٨ هـ)[٢٠٦].وأخذ عنه ، ولده بدر الدين المعروف بـٱبن النـاظم (ت ٦٨٦ هـ)، وشمس الدين بن جعوان الدمشقي (ت ٦٨٢ هـ) ، وابن العطار (ت ٧٢٤هـ)[٢٠٧].

كـان محبّـاً للعلـم ، كثيـر النقـاش والحفظ ، وقد ((انصـرف طيلـة حياتـه للإفـادة والاشتغال والتصنيف))[٢٠٨] . لم يكن في عصر ابن مالك من ينـاظره ، ويكـون ألمـع منه ، إذ ((كان أوحد وقته في علم النحو واللغة مع كثرة الديانـة والصـلاح))[٢٠٩] . ولٱبن مالك الفضل الأكبر على دارسي العربية فيما رسمه من حدود في ألفيتـه ، فقد

---

[٢٠١]- المصدر نفسه ٤٧/٢ .
[٢٠٢]- سيبويه - الكتاب ٣٩٥/١ ،٣٩٦ .
[٢٠٣]- ابن هشام (ت٧٦١هـ) - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - تحقيق - عبد المتعال الصعيدي- القاهرة - ١٩٦٤ / ١١٥ .
[٢٠٤]- ينظر ترجمته / المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق - محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت ١٩٤٩ ٤٢/٢ ، وسركيس: يوسف اليان - معجم المطبوعات العربية المعربة - منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم ١٤١٠ هـ ٢٣٢/١، ودائرة المعارف الإسلامية ٣٨١/١ ، وبكر: د. السيد يعقوب -نصوص في النحو العربي /٣٦٣ .
[٢٠٥]- دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٨١ .
[٢٠٦]- المقري - نفح الطيب ٣٤٠/٢ ، هو ثابت بن محمد بن يوسف بن خبّار الكُلاعيّ .
[٢٠٧]- ينظر / بكر : د. السيد يعقوب - نصوص في النحو العربي /٣٦٥ .
[٢٠٨]- سعيد : د. محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي / ٤٢.
[٢٠٩]- المقري - نفح الطيب ٤٣٢/٢ .

ربط القواعد وَيَسَّرها ، ولهذا قيل : ((إنّه أدى خدمة حقيقية لدراسة النحو ، وذلك بربط قواعده وبسطها))[٢١٠].

أما منهجه في مؤلفاته . فقد كان كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وكان يستشهد بالحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي ، وكان الشاهد القرآني يقف عند رأس شواهده النحوية التي استشهد بها ، في مصنفاته . من ذلك مثلاً؛ استشهاده على ورود المصدر النكرة حالاً بقوله تعالى : ((وَٱدْعُوْهُ خَوْفاً وَطَمَعاً))[٢١١] . وقوله ((إنّي دَعَوْتُهُمْ جَهَاراً))[٢١٢]، [٢١٣].

أما في الحديث النبوي ، فكان يختلف عن غيره من النحاة في ذلك ، إذ أكثر من الاستشهاد به بعد القرآن الكريم ، من ذلك مثلاً استشهاده في باب التنازع بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لَعَنَ أو غَضِبَ على سِبْطٍ من بني إسرائيل فمسخهم))[٢١٤]،[٢١٥]. وقال ٱبن مالك معقباً عليه ((وهذا من أفصح الكلام))[٢١٦] .

أما الشعر العربي فهو في الدرجة الثالثة عند ابن مالك ، إذ كان مولعاً بأشعار العرب كثيراً ، وقد بالغَ في الاستشهاد بها من ذلك مثلاً ، استشهاده على إضمار الفعل بعد (إلاّ) العرضية لقرينة معنوية ، مما رجّحه ابن مالك عن رأي الخليل بن أحمد قول الشاعر .

ألاَ رَجُلاً جَزَاهُ اللهُ خَيْراً يَدُلّ ُ على مُحَصِّلةٍ تَبِيْتُ [٢١٧]

---

[٢١٠]- دائرة المعارف الإسلامية ٣٨١/١ .
[٢١١]- الأعراف - الآية /٥٦ .
[٢١٢]- نوح - الآية /٨ .
[٢١٣]- ينظر / ابن مالك - شرح التسهيل - تحقيق - د. عبد الرحمن السيد و د.محمد بدوي المختون - ط١ – ١٩٩٠ ٢/ ٣٢٨ .
[٢١٤]- بن حنبل (ت ٢٤١هـ) - مسند أحمد - مؤسسة قرطبة - مصر ب ت ٦٢/٣ باب ما أسند عن أبي سعيد الخدري . .
[٢١٥]- ينظر / ابن مالك - شرح التسهيل ٩٥/٢ .
[٢١٦]- المصدر نفسه ١٦٨/٢ .
[٢١٧]- ورد البيت في النوادر في اللغة /٢٥٦. المحصلة التي تُحصَّل تراب المعدن .

وقد رواه ابن مالك بالجرّ (ألا رجلٍ) [٢١٨]

ولابن مالك مؤلفات كثيرة منها ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد[٢١٩] ، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ[٢٢٠] ، وله أيضاً ((كتاب الشافية ، كتاب الألفية ، الأعلام في مثلث الكلام))[٢٢١].

ولآبن مالك آراء كثيرة في النحو واللغة ، مبثوثة في أغلب كتب النحو العربي واللغة ، وأكثر هذه الآراء ما تضمّنته ألفيته التي منها :

وَوَصْلُ (مَا) بِذْي الحُرُوْفِ مُبْطِلُ

إعْمَالَها ، وَقَدْ يُبْقي العَمَل

يظهر من كلام ابن مالك أن (ما) إذا اتصلت بـ (إنّ وأخواتها) كفتها عن العمل ، وبهذا قال سيبويه [٢٢٢] .

وعنده أيضاً مجيء الحال جامدة إذا كان مؤولاً بمشتق من دون تكلُّف وهذا يتضح في قوله :

وَيَكْثُرُ الجُمُوْدُ : فِي سِعْرٍ، وَفي مُبْدِي تَأْوُّلٍ بلا تَكَلُّفِ

كَبِعْهُ مُدّاً بِكَذا ، يَداً بِيَدْ وَكَرَّ زَيْدٌ أسَداً ، أيْ كَأسَدْ

واضح من الأمثلة (بِعْه يَد اً بِيَدٍ) ، و (كَرَّ زَيدٌ أسَداً) ، فاليدُ ، والأسدُ اسمان جامدان ، والتأويل لهما (مناجزة) أو (مشبهاً)[٢٢٣].

وأرى أنّ ابن مالك ترك بصمة واضحة في حياة اللغة العربية ، لها تأثيرها فيها بما تركه من علم ، وما حققه من مسائل نحوية ولغوية ، تمثل آراءه دليلاً واضحاً في طريق معرفة النحو العربي .

---

[٢١٨]- ينظر / ابن مالك - شرح التسهيل ٧١/٢ ، كما ينظر /سيبويه - الكتاب ٣٥٩/١ .

[٢١٩]- مطبوع - بتحقيق - محمد كامل بركات - دار الكاتب العربي - القاهرة – ١٩٦٧ .

[٢٢٠]- مطبوع - بتحقيق - عدنان عبد الرحمن الدوري - مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٧ .

[٢٢١]- دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٢/١ ، وينظر /بكر: د. السيد يعقوب - نصوص في النحو العربي /٣٦٧ وما بعدها .

[٢٢٢]- ينظر / ابن عقيل - شرح ابن عقيل ٣٧٣/١ ، ٣٧٤ . وسيبويه - الكتاب ١٣٧/٢ .

[٢٢٣]- ينظر/ ابن مالك - أوضح المسالك /١١٥،وابن عقيل- شرح ابن عقيل ٦٢٧/١، ٦٢٨ .

حادي عشر- ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)[٢٢٤]

هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري . عالمٌ تقيٌّ ورعٌ، صاحبُ العبارة المنتقاة . ذاع صيته في الأفاق لما تركه من شواهد على علمه ، قال عنه ابن خلدون : ((أنّ ابن هشام على علم جمّ يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكأنه في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيءٍ عجيب دالٌّ على قوة ملكته واطلاعه))[٢٢٥].

وضع ابن هشام في مؤلفاته نمطاً معيناً عُرِف به دون غيره ، ألا وهو التنوّع الواضح ، والميل إلى الغريب أحياناً ، قال الطنطاوي : ((صنف المؤلفات المليئة بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة مع التصرف في منهجها والتفريع في إفادتها مما يدل على الاطلاع الغريب))[٢٢٦] .

أخذ العلم على يد الشيخ شهاب الدين ابن المُرَحِّل (ت ٧٤٤ هـ)[٢٢٧] . والشيخ تاج الدين التبريزي (ت ٧٤٦ هـ)[٢٢٨] . لا يختلف منهج ابن هشام في شرحه الألفية عن منهجه في بقية تصانيفه ، فقد امتاز شرحه بـ ((بساطة العرض ، ووضوحه وبكثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية ...))[٢٢٩] . وهو يتبع ابن جني في منهجه التأليفي[٢٣٠] .

---

[٢٢٤]- ينظر ترجمته/ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - تحقيق - محمد سيد جاد الحق - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٦ ٤١٥/٢ وما بعدها . وابن هشام - شذور الذهب في معرفة كلام العرب - تحقيق - محمد محيي الدين عبد الحميد- ط١ - القاهرة ١٩٦٨ / ٦، وابن هشام - مغني اللبيب ٥/١ . وبكر : د. السيد يعقوب - نصوص في النحو العربي / ٣٨٩ .

[٢٢٥]- ابن خلدون- المقدمة / ٣٤٠ ، وينظر / دائرة المعارف الإسلامية ٤٠٩/١ .

[٢٢٦]- الطنطاوي - نشأة النحو / ٢٣٣ .

[٢٢٧]- هو شهاب الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف الشافعي النحوي (ت ٧٤٤هـ) - ينظر ترجمته /ابن حجر - الدرر الكامنة ٣/ ٢٠ .

[٢٢٨]- هو الشيخ تاج الدين علي بن عبد الله بن أبي الحسن الأردبيلي التبريزي (ت ٧٤٦ هـ) - ينظر ترجمته / ابن حجر - الدرر الكامنة ٣/ ١٤٣ وما بعدها .

[٢٢٩]- سعيد : د. محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي / ٦٩ .

[٢٣٠]- ينظر / ابن خلدون- المقدمة / ٣٤٠ .

وفي تناول القضايا النحوية والشواهد كأدلة لإثبات صحة ما يذهب إليه من رأي ، كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وأشعار العرب صنّف مؤلفات كثيرة ومهمة [٢٣١].

ولأبن هشام آراء واضحة ، وافق في بعضها الكوفيين من ذلك ما ذهب إليه أنّ (مِنْ) تجيء لأبتداء الغاية في المكان ، وفي الزمان إذ قال : ((الغالب عليها ، ابتداء الغاية ، حتى ادعى جماعة أنّ سائر معانيها راجعة إليه ، وتقع لهذا المعنى في غير الزمان ، نحو ((مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ))[٢٣٢] ، و ((وَإِنّهُ مِنْ سُلَيْمانَ))[٢٣٣] ... وفي الزمان أيضاً ؛ بدليل ((مِنْ أوَّلِ يَوْمٍ))[٢٣٤]))[٢٣٥]. وقد قال بذلك الكوفيون[٢٣٦].

ومن آرائه أيضاً إجازته حذف الفعل إذا وجد دليل قولي أو حالي عليه قال: ((اتفقوا على أنّه يجوز لدليل مقالي أو حالي حذف عامل المصدر غير المؤكّد كأنْ يقال: ما جَلَسْتَ ، فتقول : بلى جلوساً طويلاً ، أو بلى جلستين ، وكقولك لمن قَدِم من سفر : قدوماً مباركاً))[٢٣٧]. وقد حفلت كتب ابن هشام بعناية الباحثين والدارسين ، لما فيها من ثاقب الرأي .

وليس غريبا على أُمّة فيها القرآن الكريم ، بإعجازه وبلاغته ، واللغة المرصوصة بين دفتيه ، ألاّ تنتج عالماً كأبن هشام ، الذي تجسّدت فيه صورة المدافع الأمين عن اللغة بما امتلكه من ناصية العلم بها ، فما أخذه من ثقافة القرآن كان مرسوماً بوضوح في كتبه ، ومسائله النحوية .

ثاني عشر : السيوطي (ت ٩١١ هـ)[٢٣٨]

---

[٢٣١] - أشار البحث إلى بعضها في هوامشه في الصفحات ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ .
[٢٣٢] - الأسراء - الآية /١.
[٢٣٣] - النمل – الآية / ٣٠ .
[٢٣٤] - التوبة - الآية/ ١٠٨ .
[٢٣٥] - ابن هشام - مغني اللبيب ١/ ٣١٨ ، ٣١٩ .
[٢٣٦] - الانباري - الإنصاف في مسائل الخلاف ٣٧٠/١ مسألة ٥٤ .
[٢٣٧] - ابن مالك - أوضح المسالك /١٠١ .
[٢٣٨] - ينظر ترجمته / السيوطي - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - وضع حواشيه - خليل المنصور - ط١- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٧ ٢٨٨/١ وما بعدها ، السيوطي- إسعاف المبطأ برجال الموطأ- تحقيق - موفق نوري جبر- دار الهجرة - بيروت ٧/١٩٩٠ ،

هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ولد في أسيوط بمصر ، وإليها نسب . وقد ترجم السيوطي لنفسه في كتابه (حسن المحاضرة)[٢٣٩] ، ومنها قوله : ((نشأت يتيماً فحفظت القرآن ، ولي دون ثماني سنين . ثم حفظتُ العمدة ومنهاج الفقه والأصول ، وألفية بن مالك))[٢٤٠]. عُرِف بغزارة علمه ، وكثرة إنتاجه ، متنوع الجوانب، لم يترك علماً إلاّ قال فيه ، مما جعل له الحظ الأوفر في إقبال الناس على تآليفه ، وكتبه في سائر الأقطار ، قال الشعراني : ((لو لم يكن للسيوطي من الكرامات إلاّ إقبال الناس على تآليفه في سائر الأقطار بالكتابة والمطالعة لكان في ذلك كفاية))[٢٤١] .

أخذ العلم عن الشيخ شهاب الدين الشارمساحي (ت ٨٥٥هـ)[٢٤٢] ، والشيخ علم الدين البلقيني (ت ٨٥٠ هـ)[٢٤٣]. له من المؤلفات الكثير أهمها في النحو : المزهر في علوم اللغة ، والاقتراح في علم أصول النحو ، وبغية الوعاة، والأشباه والنظائر ، وغيرها كثير في علوم أخرى[٢٤٤] . وكان هذا مدعاة لثناء كثير من العلماء ، لشهرته وكثرة إنتاجه في العلوم المتنوعة ، ((قال عنه تلميذه الداودي : عانيت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً وكان مع ذلك يملي الحديث ، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة ...))[٢٤٥].

والسيوطي - المزهر ٢/ ٦٥٤ ، والسيوطي - لباب اللباب في تحرير الأنساب - تحقيق - محمد وأشرف أحمد عبد العزيز - ط١ - بيروت ١٩٩١ ١/ ٥ .

[٢٣٩]- ينظر/السيوطي- حسن المحاضرة ١/ ٢٨٨ .

[٢٤٠]- السيوطي – حسن المحاضرة ٢٨٨/١.

[٢٤١]- السيوطي - إسعاف المبطأ /٧.

[٢٤٢]- ترجمته في/ السخاوي (ت٩٠٢هـ)- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - بيروت- ب ت - ٢/ ١٧ .

[٢٤٣]- شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصر.ينظر ترجمته / السيوطي - حسن المحاضرة ١/ ٣٨٣.

[٢٤٤]- أشار البحث إليها في هوامش متعددة منه في الصفحات ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٥٨ .

[٢٤٥]- السيوطي - الاقتراح /٤.

وكان في منهجه يستشهد بالقرآن الكريم كثيراً . من ذلك استشهاده بقوله تعالى : ((وَإِنْ تَصُوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ))[٢٤٦] في مسالة تأويل المصدر[٢٤٧] .

وهو لايميل إلى طرف من دون آخر، غير بعيد عن النص فلا يميل إلى الاستطراد والتوسع .

من آرائه نصب المفعول به بفعل محذوف على أنّه مضمر في القول في باب التحذير قال : ((من المنصوب على المفعول به بإضمار فعل لا يظهر وهو إلزام المخاطب الاحتراز من مكروه بـ (أيّا) أو ماجرى مجراه وإذا حذر بـ (أيّا) اتصل بضميره ، وعطف عليه المحذور نحو إيّاك ، أو إيّاكِ أو إيّاكما، أو إيّاكم ، أو إيّاكُنّ والشّرَ ، ويضمر فعل أمر يليق بالحال نحو: اتقِ، وباعدْ و نَحِّ ، وخَلِّ ، ودعْ، وما أشبه ذلك ، وتحذِّر نفسك وشبهه من المضاف إلى المخاطب معطوفاً عليه المحذّور أيضا بإضمار ما ذكر نحو: رأسَك والحائط ، ورجلكَ والحجر ، وعينك والنظر إلى ما لايحلّ))[٢٤٨] .

---

[٢٤٦]- سورة البقرة- من الآية/١٨٤.

[٢٤٧]- ينظر/ السيوطي - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - تحقيق - عبد السلام محمد هارون و عبد العال سالم مكرم - دار البحوث العلمية - الكويت ١٩٧٥ ٣٠/١ .

[٢٤٨]- السيوطي - همع الهوا مع ١٦٩/١ .

الفصل الثاني

الأصوليون وأثرهم في النحو

التمهيد

(أثر النحو في الأصول)

أنصبّ اهتمام علماء الأصول على كثير من العلوم التي تشكل أساسيات علمهم، منها النحو العربي ، فقد آهتم الفقهاء ، والمجتهدون بالدين الإسلامي ، بالنحو واللغة اهتماماً كبيراً ، وغايتهم بهذا الاهتمام تيسير أمور دينهم ، واستنباط الأحكام الشرعية من عبادات ، ومعاملات من النصوص القرآنية ، والحديث الشريف . وليس بخافٍ على دارسي العربية أو أصول الفقه ، ما للغة وعلومها من صلة وثيقة مع العلوم الأخرى عموماً ، وعلوم الدين بخاصة، لكون القرآن الكريم ، والسُّنّة النبوية عربيين ، ومتأصلين في العربية لقوله تعالى : ((إنّا أَنْزَلْناهُقُرْآناً عَرَبَياً))[٢٤٩] ، و ((بِلِسَانٍ عَرَبيٍّ مُبِيْنٍ))[٢٥٠]، و ((إنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبيّاً))[٢٥١]. فأصبح أمراً لازماً على الدارس ، والمحقق ، والفقيه تعرّف علوم اللغة نحوها ، وصرفها تَعَرّفاً دقيقاً ، كي يستطيع الإلمام بماهية الكتاب العظيم ، ودقائق علومه ، وأساسيات السُّنة النبوية الشريفة ، وما يترتب فيها من جليل الحديث المنقول قولاً ، وفعلاً ، وتقريراً ، لأنّ مهمة النحو ((هي معرفة تأليف الكلام العربي كما نطق به الفصحاء من العرب))[٢٥٢]. وهذا الفهم لأهمية النحو يفرض على دارس الأصول التبصر فيه ومعرفته ، لأنّ المعرفة والتبصر بالنحو العربي ، تجعل دارس الأصول والفقيه أكثر دراية بصريح الكلام ، وظاهره ومجمله ، وحقيقته ومجازه ، وما فيه من نفي ، وتوكيد ، وقصر[٢٥٣] ، فيجعل أمر استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف سهلاً .

وقد أفاد النحوُ الأصوليين كثيراً لكون ظهوره أقدم من ظهور علم الأصول ، إذ وُجِدَتْ مؤلفات النحويين بزمن سبق زمن التأليف في الأصول ، من ذلك (كتاب الجامع ، والمكمل) لعيسى بن عمر (ت١٤٩ هـ)[٢٥٤]، و(الجمل) للخليل بن

---

249 - يوسف - من الآية /٢ .

250 - الشعراء - الآية / ١٩٥.

251 - الزخرف - من الآية/٣.

252 - جمال الدين : د. مصطفى - البحث النحوي عند الأصوليين - دار الرشيد - بغداد ١٩٨٠ /٢٩.

253 - ينظر / الغزالي (ت٥٠٥هـ)- المستصفى من علوم الأصول - صححه - محمد عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ /٣٥٢.

254 - السيرافي - أخبار النحويين البصريين / ٢٥. وينظر /ابن النديم - الفهرست /٦٦.

أحمد[٢٥٥]، و(كتاب) سيبويه ، و(مقدمة في النحو) لخلف الأحمر (ت١٨٠هـ) وغيرها ، لهذا كان أثر النحو أسبق في الأصول ، كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ معظم النحاة من القرّاء والمهتمين بعلوم الدين والتفسير ، كالفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) ، والزجاج (ت٣١١ هـ) وغيرهم ، أمّا التأليف في الأصول فكان أول ظهور له في عام (١٩٧هـ) أو قبله بقليل ممثلاً بكتاب (الألفاظ ومباحثها)[٢٥٦].

والبحث إذ يتناول (الأصول) بالتعريف ، وبيان صلتها بالنحو العربي ، إنما يريد أنْ يبيّن ما الذي أفاده الأصوليون من العربية ؟ ، وما الذي تركوه على النحو العربي من أثر ؟ ، وتلك الدراسة لاتتعدى الإشارة الى أهمية هذا العلم الجليل ،وعلاقته بموضوع البحث ، وليس التفصيل في أساسياته ، والخوض في غماره ، لكون علم الأصول يحتاج الى بحث مستقل أوسع ، وأشمل.

المبحث الأول

تعريف الأصول (لغة و اصطلاحاً)

الأصول في اللغة :

---

255 - الخليل - الجمل في النحو - تحقيق - فخر الدين قباوة - مطبعة الرسالة - بيروت ١٩٨٤.

256 - ينظر / الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) - الفصول المختارة- تحقيق - السيد مير علي شريفي - دار المفيد - بيروت ١٩٩٣ /٥٣. وسيشير البحث الى موضوع التأليف في الأصول لاحقاً .

الأصول : مفردها أصل . يقال : ((إنّ النخل بأرضنا أصيلٌ، أيْ هو بها لايفنى ولا يزول ، فلانٌ أصيلُ الرأي وقد أصُل رأيُهُ ، وإنّه لأصيل الرأي والعقل ، والأصل أسفل كل شيء))[٢٥٧] .

وقيل : ((أصل كل شيء : مايسند وجود ذلك الشيء إليه ، فالأب أصل الولد ، والنهر أصل الجدول ... قال الراغب : أصل كل شيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة ، أرتفع بِارتفاعها سائره))[٢٥٨] ، و ((رجلٌ أصيلُ الرأي : أي محكم الرأي ، وقد أصُل من باب ظَرُف ، ومحمد أصيل : ذو أصالة))[٢٥٩].

من خلال هذه التعريفات يمكننا القول : بأنّ علم أصول الفقه ، إنما سُمِّي بهذا الاسم،لكونه متأصلا في قاعدة الدين ، وارتفع مقامه بِارتفاع الدين الإسلامي ، وهو راسخ كرسوخ النخيل وشموخه في حياة المجتمع .

الأصول اصطلاحاً :

علم الأصول جديد بما فيه من قوانين ، وقتئذ دعت الحاجة إلى ظهوره ، لتعريف الناس أمور دينهم ، وخفايا التشريع الإلهي . وقد كثرت الدراسات التي تناولته ، وازدادت تعريفاته ، لذا سيعرض البحث بعض هذه التعريفات.

فقد عرفه ابن الحاجب المالكي (ت٦٤٦ هـ) بأنّه : ((العلم بالقواعد التي يتوصل بها الى آستنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية))[٢٦٠]. وقال محمد رضا المظفر بأنّه : ((علم يُبحَث فيه عن قواعد تقع نتيجتها في طرق آستنباط

---

257 - الخليل - العين ٧/ ١٥٦مادة (أصل) ، وينظر/ ابن منظور- لسان العرب ١٦/١١ مادة أصل .

258 - الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)- تاج العروس من جواهر القاموس - تحقيق - مصطفى حجازي - بيروت١٩٨٥ ٢٠٧/٧ مادة أصل .

259 - عبد الحميد : محمد محيي الدين- المختار من صحاح اللغة - ط١- القاهرة ١٣/١٩٣٤ .

260 - الفضلي : د. عبد الهادي - مقدمة علم أصول الفقه - مجلة رسالة الثقلين - تصدر عن المجمع العالمي لأهل البيت (ع)- العدد الحادي عشر - السنة الثالثة ١٩٩٥ /٩٤.

الحكم الشرعي))[٢٦١] . ويرى كاظم الحائري ، وهو من المعاصرين بأنّه : ((العلم بالقواعد الممهدة لكشف حال الأحكام الواقعية المتعلقة بأفعال المكلفين ، سواء تقع في طريق العلم بها كما في بعض القواعد العقلية أو تكون موجبة للعلم بتخريجها على تقرير الثبوت أو تكون موجبة للعلم بسقوط العقاب))[٢٦٢] . وقد عرّفه الدكتور محمد علي الشهرستاني بأنّه ((علم الاستنباط من الأحكام لما هو مكّلف به الإنسان))[٢٦٣] .

والملاحظ أنّ أقرب تعريف إلى الفهم هو ما نطق به الآخوند : ((صناعة يعرف بها القواعد التي يمكن أنْ تقع في طريق استنباط الأحكام ،والتي ينتهي إليها في مقام العمل))[٢٦٤] .

موضوع علم الأصول .

أما موضوع علم الأصول ، فهو البحث في مختلف أمور الحياة ، والموضوعات التي تدخل في تحقيق غرضه و ((ليس لعلم الأصول موضوع معين بشخصه ، بل يبحث فيه عن مختلف الموضوعات التي لها دخل في تحقيق الغرض الذي لأجله دُوِّن علم الأصول ، فكل ما يقع في طريق الاستنباط أو يلتجيء إليه الفقيه عند عدم عثوره على مايقع في طريق الاستنباط ــ وهو الأصل العلمي ــ فهو داخل فيما يبحث عنه الأصولي))[٢٦٥] . لذا قال محمد باقر الصدر: ((أنّ علم الأصول يدرس في الحقيقة الأدلة المشتركة في علم الفقه لإثبات دليلتها ، وبهذا صح القول بأنّ موضوع علم الأصول هو الأدلة المشتركة في عملية الاستنباط))[٢٦٦] .

---

261 - المظفر:الشيخ محمد رضا - أصول الفقه - ط٣- النجف الأشرف - ١٩٧١ /٥.

262 - الشيرازي : محمد - الأصول - ط١- إيران ١٤١٢ هـ ١٩/١.

263 - مقابلة شخصية مع الدكتور محمد علي الشهرستاني رئيس الجامعة ، في يوم عرفة عام ١٤٢٧ هـ الموافق يوم السبت ٢٠٠٦/١٢/٣٠ الساعة (الواحدة ظهراً) .

264 - الآخوند : محمد كاظم الخراساني - كفاية الأصول - تحقيق ونشر - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - ١٣٢٩ هـ /٩ .

265 - النجفي : بشير حسين - مِرقاة الأصول (بحوث تمهيدية في أصول الفقه) - دار الفقه للطباعة والنشر - ط ٢ - ١٤٢٥ هـ /١٦ .

266 - الصدر: محمد باقر - دروس في علم الأصول - دار الكتب اللبنانية - ط ٢ - بيروت ١٩٨٦ ٣٩/١ .

وعلم الأصول من العلوم المستحدثة ، إذ إنّ السلف كانوا في غنى عنه لوجود ولي الأمر ، وهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آنذاك ، وقد ((كان هو مرجع الفتيا وبيان الأحكام ، فما كان هناك من داعٍ للاجتهاد والفقه ، وحيث لا اجتهاد ، فلا مناهج للاستنباط ، ولا حاجة الى قواعده))[٢٦٧] . وبعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). دعت الحاجة إلى مواجهة الوقائع ، والأحداث الجديدة بٱجتهاد، وٱستنباط أحكام من القرآن الكريم ، فكان الصحابة ومن تبعهم يعنون في هذه القضايا مستندين في تحليلها إلى ما لديهم من معرفة .

حاجة الأصول إلى النحو

تكمن حاجة الأصوليين إلى علم النحو ، في أنّ النحو علم يهتم بدراسة تأليف الكلام العربي الفصيح ، من تركيب الجملة ، واللفظ المفرد فيها ، وكذلك مواضع التقديم والتأخير فيها ، والفصل والوصل ، ومن حيث البناء والإعراب ، والتعريف والتنكير ، والتأنيث والتذكير . وهذه الأمور يحتاجها الأصولي ليستطيع معرفة ما في النصوص العربية الفصيحة ــ القرآن الكريم والحديث الشريف ــ بشكل دقيق ، ومن استنباط الحكم الشرعي فيها ؛ لأنّه : ((لايمكن للفقيه ٱستنباط الحكم الشرعي منها ــ (الكتاب والسنة) ــ ، ما لم تكن له القدرة والممارسة والإلمام بأصول الكلام العربي ، وفهم مقاصده وأغراضه))[٢٦٨]. وقد ذكر أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) مسائل مهمة في حاجة أهل العلم إلى تعلُّم العربية منها قوله : ((إنّ علمَ اللغة كالواجب على أهل العلم ، لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء))[٢٦٩] .

---

267 - زيدان : د. عبد الكريم - الوجيز في أصول الفقه - دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة ١٤/١٩٩٢ .

268 - جمال الدين - البحث النحوي عند الأصوليين /٣٨ .

269 - بن فارس - الصاحبي ٣٥ .

إذن فالحاجة إلى معرفة النحو العربي دفعت علماء الأصول ، ودارسي الفقه إلى تعلُّمه ومعرفة خصائصه ، لكي يعرفوا الأمر والنهي ،ويتبصروا بقواعد الاستثناء ، وتعلُّم الإعراب ليفرقوا بين المعاني ، فيتجنبوا اللَّحن فيما يقرؤون ويكتبون[٢٧٠] . لهذا تكون هذه المعرفة ضرورة واجبة ، لأنّ علم النحو يدعم العلوم الدينية ، ويساندها ، ويُغنيها في توضيح ما أُ بهم منها ليسهل تحديد الأحكام وتفسيرها .

المبحث الثاني

أبرز الأصوليين وأشهر مؤلفاتهم في النحو

بعد تأسيس علم أصول الفقه ، اختلط النحو بالفقه ، وظهرت بوضوح آثار الأصوليين في النحو العربي ، وفي تعليل موضوعاته وتأويلها ، فأصبحت طرق الأصول تشكل نسيجاً متكاملاً في مباحث النحو . ولم يكن الفصل بين النحو والأصول هيناً . فأصبح هَمّ العلماء دمج النحو بالأصول لِحُبِّهم الشديد اللغة والنحو، قال الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) : ((حب اللغة والنحو حمل بعض الأصوليين

270- ينظر / المصدر نفسه ٣٥.

على مزج جملة من النحو بالأصول . فذكروا فيه من معاني الحروف ومعاني الإعراب جملاً هي من علم النحو خاصة))[٢٧١]. فاستعان النحاة الأوائل بوسائل الفقه لإثبات بعض أدلتهم لأنّ ((الصلة بين الفقه وعلوم العربية، كانت قديمة وأنّ القياس الفقهي كان قد استخدم في النحو عند أوائل النحاة))[٢٧٢]، وقال ابن جني : ((وكانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم،وعارضة أنفسها على تخيرهم ...)[٢٧٣]. ويمكن القول إنّ معظم مباحث الفقهاء لغوية . إذ ((اً ستمدت تلك القواعد من أساليب اللغة العربية،ومبادئها ، ومما عُرِف من مقاصد الشريعة وأسرارها ، ومراعاتها للمصالح...))[٢٧٤]. وعلم الأصول يدرس الحقائق من الأدلة المشتركة التي تشكل أساساً لموضوعه ــ كما مرّ ذكره ــ .

تأسيس علم الأصول

تردد اسم الشافعي (ت٢٠٤ هـ) في أغلب المصادر على أنّه واضع هذا العلم، وأول من قال به في رسالته المعروفة ، ذكر ابن خلدون: ((وكان أول من كتب فيه الشافعي ، أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الأوامر والنواهي . والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة في القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد، وأوسعوا القول فيها))[٢٧٥]. وأرى أنّ أول من صنف في علم الأصول هشام بن الحكم الكلبي (ت ١٩٧هـ) ، وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) الذي ألّف كتاباً مهماً في مباحث الألفاظ (الألفاظ ومباحثها)[٢٧٦]ــ سيتناوله البحث لاحقاً ــ إذ سبق هشام بن الحكم ، الشافعي في تأليف كتابه المذكور ، لكون

---

271 - الغزالي - المستصفى من علوم الأصول/١٠

272 - الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /٢٣٩ .

273 - ابن جني - الخصائص ٦٦/١ .

274 - الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /١٥

275 - مطهري : مرتضى – الأصول- الفقه - ترجمة- حسن علي الهاشمي – ط١– دار الكتاب الإسلامي ٢٠٠١ /١٧ .

276 - ينظر / ابن النديم -الفهرست /٣٠٧ ، والشيخ المفيد - الفصول المختارة /٥٣ ، و النجاشي (ت٤٥٠هـ) - الرجال - تحقيق - السيد موسى الشبيري الزنجاني - ط٥- إيران ١٤١٦ هـ /٤٣٣ .

سنة تأليف (كتاب الرسالة) للشافعي (١٩٨ هـ) ، وأنّ هشاماً قد مات قبله بسبعة أعوامٍ ، وهذا يعني أنّه سبق الشافعي في ذلك ، فتكون الريادة في تأسيس علم الأصول لفقهاء الشيعة ، وينتفي القول بغير ذلك . والعمل به كان متوفقاً لوجود الإمام المعصوم (ع) وقتئذ الذي ــ يمثل في رأي الدكتور الشهرستاني آنعكاساً للرسالة المحمدية ــ وهو مصدر الفقه ، ولكنْ بعد الغيبة الكبرى للإمام الحجة (عج) ، بدأت الحاجة تظهر إليه ، فظهر علم الأصول بشكله المعروف اليوم على يد الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ، الذي : ((وضع اللبنة الأولى لعلم الأصول))[٢٧٧]، فعلم الأصول آبتدأ بالشيخ المفيد ليصبح علماً يُهتَم به ، ومبني من ((القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية))[٢٧٨] . وان لم يكن المهتمون ، أكثرهم من القرّاء والمحدِّثين ، بل كان قسم منهم من الفقهاء والمحدِّثين . أورد البحث بعضهم ، وقد جاء ترتيبهم على أساس السبق في هذا العلم لا على أساس الزمن وقد اخترتُ مجموعة من علماء الأصول ، لسبق بعضهم فيه ، ولسعة علم الآخرين فيه ، وإبداعهم المتواصل خدمة لهذا العلم الجليل ، ومنهم :

أولاً :- <u>هشام بن الحكم (ت ١٩٧هـ)</u>[٢٧٩].

وهو أبو محمد هشام بن الحكم مولى بني شيبان ، نشا في الكوفة حينما كانت مسرحاً للآراء ، واختلاف المذاهب ، وآمتاز بشخصيته القوية قال عنه الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) : ((هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول...))[٢٨٠]. وقد صنّف كتاب (الألفاظ ومباحثها) الذي يُعَدّ من الكتب المهمة في علم الأصول ، وقد ضمّنه آراء الأئمة محمد الباقر (عليه السلام) (ت ١١٤ هـ)، والإمام الصادق (عليه السلام

---

277 - المقابلة الشخصية المشار إليها مع الدكتور الشهرستاني ص ٦٥ .

278 - فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)- المعالم في علم الأصول - تحقيق- الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض- ط٢- مؤسسة المختار - القاهرة ٢٠٠٤/٩.

279 - ينظر ترجمته /ابن النديم - الفهرست /٣٠٧، والشيخ المفيد - الفصول المختارة /٥١ . ورجال النجاشي /٤٣٣ ، والذهبي (ت ٧٤٨ هـ)- سير أعلام النبلاء- تحقيق - شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣ ١٠ / ٥٤٣ . وابن الشهيد الثاني (ت ١٠١١هـ) معالم الدين وملاذ المجتهدين - تحقيق- لجنة التحقيق- قم - ب ت /٤، وأسد حيدر- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة - ط١- النجف الأشرف ١٩٥٨ ١/٨١.

280 - الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)- الملل والنحل- ط ١- القاهرة ب ت ١ /٣١١ .

) (ت ١٤٨هـ) [٢٨١]. تناول الأصول دون أنْ يحدد آسمها ، و القول بمصطلح (أصول) في كتابه المذكور، وعلا قتها بمفاهيم اللغة التي منها الألفاظ والمعاني ، لذا أرى أنّه أول من أوجد علم الأصول والدليل على ذلك ، ما ذكرته كثير من المصادر المهمة في تاريخنا ، التي تؤكد تأليفه كتاب (الألفاظ ومباحثها) ، وبالرغم من عدم وصول هذا الكتاب، وغيره من كتب المؤلف إلينا[٢٨٢]. يُعَدّ هشام بن الحكم من الأعلام الثقات في النقل ، والرواية وهو أيضاً من ((الأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام ، والفتيا والأحكام الذين لايطعن عليهم ولا طريق إلى ذم واحد منهم)) [٢٨٣] . وكانت ((له مباحث كثيرة من المخالفين في الأصول ...))[٢٨٤] .

ومما يُروى عنه في معاني الأسماء واشتقاقها أنّه سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن اشتقاق أسماء الله الحسنى : إذ ورد في الكافي : ((عن هشام بن الحكم أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها : الله مما هو مشتق ؟ ، فقال : ياهشام الله مشتق من اِله يقتضي مألوهاً ، والاسم غير المسمى ، فمَنْ عَبَد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومَنْ عَبَدَ الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد آثنين، ومَنْ عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد...))[٢٨٥] . هذه الرواية تدخل دلالة واضحة على اهتمامه بالاشتقاق أولاً ، ودقته في النقل عن الأئمة (عليهم السلام) ثانياً . من مؤلفاته ((كتاب التوحيد ، كتاب الألفاظ ، كتاب المعرفة ، كتاب الأخبار ...))[٢٨٦] .

---

281 - الخطيب التمرتاشي : محمد بن عبدالله (ت١٠٠٧هـ) - الوصول الى قواعد الأصول- تحقيق- د. محمدشريف مصطفى - دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠ /٢٦.

282 - ذُكر الكتاب في /ابن النديم - الفهرست /٣٠٧ ، ورجال النجاشي / ٤٣٣ ، وابن الشهيد الثاني - معالم الدين /٤ . وأشار البحث في صفحات سابقة إليه أيضاً .

283 - الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة - ط٥- لجنة التحقيق ١٩٩٢ ٢٠ /٢٩٩ .

284 - المصدر نفسه ٢٠ /٢٩٨ .

285 - الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ) - الكافي - تحقيق - علي أكبر غفاري - ط٣- دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٨٨ هـ ١ /١١٤ .

286 - رجال النجاشي /٤٣٣ .

ثانياً – الإمام الشافعي(ت ٢٠٤ هـ) [٢٨٧] .

هو محمد بن إدريس الشافعي ، ورعٌ تقيٌ حفظ القرآن الكريم ، وتعلّم اللغة، وخبر الفصاحة ، فـ ((برز مجال العلم في وقت ظهرت فيه ثمار الحديث وجمعه وثمار الفقه ومدارسه ...)) [٢٨٨]، وهو أول من قال بمصطلح (الأصول) إذ ذكر ذلك الرازي قال : ((أتفق الناس على أنّ أول مَنْ صنّف في هذا العلم الشافعي...)) [٢٨٩] ، كما قال بذلك ابن خلدون في مقدمته [٢٩٠] . وقد ضمّن الشافعي رسالته التي بعثها لعبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ) أواخر القرن الثاني الهجري [٢٩١] . آراءه في هذا العلم ، وأصوله ومبادئه ، وذكر شروط مَنْ يتصدى للفقه، والعمل بكتاب الله أنْ يكون عالماً بالعربية وعلومها ، ولم يكن النحو بمفهومه المعروف متداولاً بين الناس ، لذا نجده في كثير من عباراته يشير إلى القول بالعربية ، أو علم لسان العرب [٢٩٢] . والعالِم عند الشافعي مَنْ كان عاقلاً غير مقصِّر عن الفهم ، كثير الحفظ ، ومن كان دون ذلك ليس له أنْ يكون فقيهاً أو مجتهداً . قال في رسالته : ((ومَنْ كان عالماً بما وصفنا بالحفظ ، لا بحقيقة المعرفة ، فليس له أنْ يقول أيضاً بقياس ، لأنّه قد يذهب عليه عقل المعاني ، كذلك لو كان حافظاً مقصِّر العقل ، أو مقصِّراً عن علم لسان العرب، لم يكن له أنْ يقيس ، من قبل نقص عقله عن الآلة التي يجوز بها القياس))[٢٩٣] . من أشهر مؤلفاته ((كتاب الأم))[٢٩٤] . وهو كتاب في الأحكام الشرعية ، من عبادات ومعاملات . وكتاب (الرسالة) الذي ضمّنه آراءً

---

[287] - ينظر ترجمته / الذهبي - سير أعلام النبلاء ١٠ /٥ ، وابن شهبة - طبقات النحاة واللغويين / ٦٢ ، و النمر: د . عبد المنعم حمد - علم الفقه - بغداد ١٩٩٠ / ١١٨ .

[288] - النمر: علم الفقه / ١١٨ .

[289] - الرازي - المعالم في علم أصول الفقه / ١٧ .

[290] - سبقت الإشارة إليه وناقش الباحث قضية تأسيس الأصول ص٦٩.

[291] - ينظر / د. جمال الدين - البحث النحوي عند الأصوليين /٤٥ .

[292] - ينظر/ المصدر نفسه / ٤٥ .

[293] - الشافعي (ت ٢٠٤هـ)- الرسالة - تحقيق - أحمد محمد شاكر . المكتبة العلمية- بيروت - ب ت / ٥١١ .

[294] - الشافعي - كتاب الأم- ط٢- دار الفكر - بيروت - ١٩٨٣ في ثمانية أجزاء .

مهمة في الأصول ، ومبادئ الفقه . وذكر له حاجي خليفة ((أحكام القرآن ، والإملاء)) [٢٩٥].

وللشافعي آراء في القياس ، إذ يرى القياس على (الأكثر) أقوى وأفضل منه في (الأقل) ، وهو ٱستدلال من القرآن الكريم : ((أما القياس فإنما أخذناه استدلالاً بالكتاب .. والقياس على الأكثر أولى أنْ يقاس عليه من الأقل)) [٢٩٦] .

ثالثاً - ابن السراج .

أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي (ت ٣١٦ هـ) [٢٩٧].

رابعاً – الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) [٢٩٨].

هو علي بن الحسين بن موسى الشريف الموسوي الملقب بالمرتضى. وهو شاعرٌ وفقيهٌ لغويّ ، يُعَدّ أول مَنْ ألّف في علم الأصول صراحة من الشيعة، فحدّد الأصول بمفهومها المعروف اليوم ، لذا قيل هو : ((أول مَنْ كتب مِن الّشيعة في علم الأصول كتابه (الذريعة) وظلت آراؤه الأصولية متداولة ...))[٢٩٩] . ولم يكن كتاب الذريعة الوحيد الذي جمع أصول الفقه الشيعي ، بل جاءت بعد للمرتضى كتب أخرى ، ضمّنها آراء مهمة في الأصول واللغة من مثل (رسائل المرتضى) التي أوضح فيها للفقيه ومفسِّر القرآن ، سُبلاً تهديه إلى الطريق الصحيح لإتمام عمله ، إذ يرى في مخالطة الفقهاء والمفسِّرين أهل اللغة منجاة من الزلل والشطحات ، فيعرف دقائق اللغة، المعلوم منها ، والمظنون والمشتبه ، فإنّ خبر

---

295 - خليفة - كشف الظنون ١ / ٢٠ ،١٦٩ .

296 - الشافعي - الرسالة /٢١٨ .

297 - ينظر ترجمته / الفصل الأول من البحث ص ٤١.

298 - ينظر ترجمته / القفطي - أنباه الرواة ٢٤٩/٢ ، وابن كثير- البداية والنهاية ٥٣/١٢ ، والشريف المرتضى - الامالي - تحقيق- محمد أبو الفضل إبراهيم - ط١- دار إحياء الكتب ٣/١٩٥٤١ وما بعدها .

299 - مطهري - الأصول - الفقه / ١٨ . لم يتسن للباحث الاطلاع على كتاب (الذريعة الى أصول الشيعة).

اللغة من أهلها ، تجنب الوقوع في الشبهات [٣٠٠] ، لأنّه ((بالمخالطة يعلم منها ضرورة ما لايعلم كذلك مع عدم المخالطة)). [٣٠١]

ويتتبع الشريف المرتضي مسألة الاستثناء ،لأن الاستثناء يقطع بأحد أمرين بدليل ، قال: ((إذا أعترض معترض على ما نقوله من أنّ الاستثناء إنما يُخرِج من الجمل ما صلح دخوله فيها ، وليس بواجب أنْ يُخرج منها ما وجب دخوله ، بأنْ يقول : هذا يقتضي حسن أن يقول القائل : جَاءَني رَجُلٌ إلاّ زيداً إلاّ عَمْراً ، لفظ رجل أنْ يقع على زيد وعمرو . يقال له : من حق الاستثناء في اللغة العربية أنْ يدخل على الجمل، فيخرج فيها مايصلح دخوله فيها ، أو ما يجب دخوله على مذهب مخالفينا . ولايصلح دخول الاستثناء على الألفاظ الموحدة ، ورجل لفظ واحد ، و إنْ وقع في المعنى الطويل ، والقصير وزيد ، وعمرو)) [٣٠٢] .

صنّف الشريف المرتضى مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة منها (تنزيه الأنبياء) وهوكتاب تحدَّث فيه عن عصمة الأنبياء [٣٠٣] . و(المقنع في الغيبة)[٣٠٤] تحدَّث فيه عن الإمام الحجة المنتظر(عجل الله فرجه) . وكتاب (الانتصار)[٣٠٥] في الفقه ، وكتاب (مسائل الناصريات) [٣٠٦]، وكتاب (الأمالي) و (رسائل المرتضى) ، كما أشار محقق الأمالي إلى وجود كتاب نحوي للمرتضى اسمه ((شرح مسائل الخلاف)) [٣٠٧] .

خامساً ـ ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)

---

300 - ينظر / الشريف المرتضى - رسائل المرتضى - تحقيق - السيد مهدي رجائي - دار القرآن الكريم - قم ١٤٠٥ ١/٧٠ ـ٧٣ .

301 - المصدر نفسه ١/٧٢ . يقصد بالمخالطة : مخالطة أهل التفسير وعلماء اللغة والقرّاء.

302 - المصدر نفسه ٢/٧٩ - ٨٠ .

303 - الشريف المرتضى- تنزيه الأنبياء - دار الأضواء - بيروت ١٩٨٩ .

304 - الشريف المرتضى - المقنع في الغيبة - تحقيق- محمد علي الحكيم - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم - ط ١ ١٩٩٥ .

305 - الشريف المرتضى - الانتصار- تحقيق - مؤسسة النشرالإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم – إيران ١٩٩٥ .

306 - الشريف المرتضى - مسائل الناصريات - تحقيق - مركزالبحوث والدراسات العلمية - مطبعة الهدى – إيران - ١٩٩٧ .

307 - الشريف المرتضى - الأمالي ١/١٢، لم أستطيع العثورعليه .

هو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب .[٣٠٨]

سادساً ـ جهود (آل كاشف الغطاء) مثالاً

تابع علماء الأصول جيلاً بعد آخر الاهتمام بالنحو العربي ، لكونه كما أسلفنا له أهمية كبيرة في الاستدلال والاستنباط ، فبرزت مدرسة النجف ـ الحوزة العلمية ـ حاملة علم الريادة في هذا الجانب ، وكان من أعلامها الذين اتضح في آرائهم أهمية العربية وعلومها في دعم الدراسة الحوزوية الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ) ، فأنكروا دلالة الفعل على الزمن في جميع صيغه[٣٠٩]. والمولى محمد كاظم الخراساني الشهير بالآخوند صاحب(كفاية الأصول) ، ومحمد باقر الصدر ، وسيُعنى البحث بدور(آل كاشف الغطاء) لما لمستُه من عنايتهم الفائقة بالدرس النحوي، إذ أظهرت دراسة عنوانها (الدراسات النحوية عند آل كاشف الغطاء) [٣١٠] ، ما لهذه الأسرة النجفية الحوزوية من ريادة في النحو العربي ، وقد أرشدتني هذه الدراسة إلى رجال ، ومؤلفات هذه الأسرة العريقة التي تمثل جانباً مهماً من جوانب العلم الحوزوي، فجزى الله صاحبها ألف خير .

ظهرت أسرة (آل كاشف الغطاء) عَلَماً من أعلام الحوزة العلمية النجفية المباركة منذ وقت طويل ـ أواسط القرن الثامن عشر ـ فظهر رجال من هذه الأسرة ممن أعتنوا بالنحو العربي ، لكونه يمثل رافداً مهماً من روافد العلوم الدينية الأخرى، فأنبرى مجموعة خيرة من أعلام هذه الأسرة إلى دراسته والتأليف فيه منهم:

١ـ الشيخ هادي بن الشيخ عباس ابن الشيخ علي كاشف الغطاء (ت١٣٦١هـ) [٣١١].

٢ـ الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء (ت ١٣٦٦ هـ) [٣١٢].

---

308 ـ ينظر ترجمته في الفصل الأول من البحث ص ٥١ .

309 ـ ينظر / الظالمي : د . صالح ـ تطور دراسة الجملة العربية ـ بين النحويين والأصوليين ـ النجف الأشرف ٢٠٠٥ /٣٥ .

310 ـ خضير: باسم خيري ـ الدراسات النحوية عند آل كاشف الغطاء ـ رسالة ماجستير ـ كلية الآداب جامعة القادسية ـ ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٦ .

311 ـ ترجمة في / الخاقاني : علي ـ شعراء الغري ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ ١٩٥٦ ١٢ / ٣٥٥ .

٣- الشيخ محمد حسين ابن الشيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣ هـ) [٣١٣].

٤- الشيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٤١١ هـ) [٣١٤].

٥- الشيخ الدكتور عباس كاشف الغطاء ،(حي يرزق من مواليد ١٩٦١)[٣١٥].

وقد اخترتُ هؤلاء الأعلام من آل كاشف الغطاء لكونهم ألفوا في النحو العربي خاصة ، وقد ظهر في مؤلفاتهم جانب التقليد للنحاة القدماء ، من أمثال ابن معط ، وابن مالك أبرز منظوماتهم الآتي :

١- الفائقة في النحو للشيخ وغيرهم ، لأنّهم نظموا في النحو لغرض تعليمي، فكان من عباس كاشف الغطاء [٣١٦] . وهي تساعد الطالب على فهم الكتاب (الأجرومية) [٣١٧] بصورة أوضح ، وسميت (الفائقة) برأي الناظم لكونها فاقت سابقاتها لكونها من المنظومات ، وهذا توهم واضح من الناظم ، وأؤيد ما ذهب إليه السيد باسم خيري من رأي [٣١٨] ، وتزيد على (ثلاثة مئة بيتٍ) من بحر الرجز، وعدد أبوابها النحوية يجاوز الأربعين باباً ، منها على سبيل المثال ما جاء في باب الندبة :

((وَنُدْبَةٍ بِوَاو ياء لمْ تَلتَبس مُقتصراً عَلَيْها وَلا تَقِسْ

وَزِيْدَ هَاءِ بَعْدَ ألفِ النُدْبَة وَقْفاً لِوا زَيْدَاهُ أوْ وَاهٍ عُتيهْ)) [٣١٩].

٢- نظم الزهر من نثر القطر - للشيخ هادي كاشف الغطاء [٣٢٠] ، نظمها في كتاب ابن هشام (شرح قطر الندى وبل الصدى) ، وتقع هذه المنظومة في (عشرين وخمسة مئة بيتٍ) من بحر الرجز.

---

312 - ترجمته في / الخاقاني - شعراء الغري ٨ / ٤١٨ .

313 - ترجمته في / الخاقاني - شعراء الغري ٨ / ١٠١ .

314 - مخطوط – مؤسسة آل كاشف الغطاء – الإصدار الثالث- ٢٠٠٦ ، وينظر/خضير- الدراسات النحوية / ١١ .

315 - الأمين العام لمؤسسة آل كاشف الغطاء . حاصل على دكتوراه في الفقه الإسلامي .

316 - كاشف الغطاء : الشيخ عباس - الفائقة في النحو- مؤسسة كاشف الغطاء - النجف الأشرف ١٩٩٠ .

317 - عرفت باسم مؤلفها : محمد بن حمد بن داوود الصهناجي المعروف بابن اجروم (ت ٧٢٣ هـ) ترجمته في / خليفة: حاجي- كشف الظنون ١٧٩٦/٢.

318 - ينظر/كاشف الغطاء - الفائقة / ٧ ،وخضير: باسم- الدراسات النحوية / ٧٦ الهامش.

319 - كاشف الغطاء - الفائقة / ١٦ .

320 - المنظومة - مخطوط - بخط المؤلف - محفوظ في مؤسسة آل كاشف الغطاء تحت رقم ٦٦١.

أما المتون النحوية ، فلها أهميتها في طرحها وأسلوبها ، وهي ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الشروح النحوية التقليدية منها :

نهج الصواب في حل مشكلات الإعراب - للشيخ علي كاشف الغطاء. [٣٢١] والكتاب يحتوي بين دفتيه ما جمعه المؤلف من ((المحاورات والمحاضرات التي أثمرتها عقول راجحة ، ومعارف ناضجة ، غير ما أوصلني إليه رأي قاصر ...))[٣٢٢] ، ومادة الكتاب غنية بالشواهد القرآنية والشعرية فضلاً عن اهتمامه بالقراءات القرآنية ،وقد وضح الكتاب في مقدمة و ثلاثة أبواب،وخاتمة،والأبواب هي:

((الباب الأول:فيما يصح إعرابه بوجهين وثلاثة وجوه.

الباب الثاني :فيما أشكل إعرابه من أبيات شعرية وكلمات نثرية.

الباب الثالث :في إعراب بعض الكلمات المأثورة الجارية مجرى الأمثال الكثيرة الدوران في الكلام التي يصعب حلها ويعسر فلها)).[٣٢٣]

٢- بلغة النحاة في شرح الفائقة للشيخ هادي كاشف الغطاء .[٣٢٤] تناول فيه المؤلف شرحاً مفصلاً لما جاء في (المنظومة الفائقة)من أبواب نحوية ،وتميز الشرح بالاختصار والوضوح ،وغلبت عليه الصفة التعليمية ،على الرغم من التفصيل في بعض المسائل النحوية.[٣٢٥]

القسم الثاني :كتب التيسير منها:

١- نقد الاقتراحات المصرية - للشيخ محمد رضا كاشف الغطاء[٣٢٦].

---

321 - كاشف الغطاء: الشيخ علي - نهج الصواب في حل مشكلات الإعراب - مؤسسة كاشف الغطاء - النجف الاشرف ١٩٩٦ ط٢ .

322 - المصدر نفسه / ٩ .

323 - المصدر نفسه/٩.

324 - ينظر /خضير: باسم - الدراسات النحوية عند آل كاشف الغطاء /٣٠، وما بعدها.

325 - ينظر/ المصدر نفسه / ٣٠ .

326 - كاشف الغطاء : الشيخ محمد رضا - نقد الاقتراحات المصرية - مؤسسة كاشف الغطاء- النجف الأشرف-١٩٩٩

٢- نظرات وتأملات - للشيخ علي كاشف الغطاء[٣٢٧] . لم يقتصر هذا الكتاب على التيسير في النحو فقط بل فيه موضوعات أخرى في الفقه وغيرها.

وضع الكتابان رداً على مقترحات لجنة وزارة المعارف المصرية عام ١٩٣٨ في تيسير علوم العربية[٣٢٨] .

٣- الكواكب الدرية في الأحكام النحوية - للشيخ علي كاشف الغطاء[٣٢٩]. وهو كتاب مختصر في النحو يتضمن ما يقارب (ثمانية عشر باباً) من أبواب النحو،ويبدو عليه المنهج التعليمي ،واقترابه من (متن الأجرومية)[٣٣٠] في أسلوبه المختصر ، وقلة شواهده النحوية القرآنية والشعرية ، ففيه من القرآن الكريم آيتان [٣٣١] فقط ، ومن الشعر شطران كل شطر من بيت دون أنْ ينسبها إلى أحد[٣٣٢]. ابتعد فيه المؤلف عن التفصيلات ، والآراء المتزاحمة ،وقد نعت باليسر والسهولة ، والابتعاد عن التعقيد السائد في كتب النحو[٣٣٣]. ولا أتفق مع صاحب هذا الرأي ، إذْ يرى في مادة الكتاب تراكم المادة النحوية ، وتداخلها،وأنَّه وُضِع لفئة مطلعة على النحو عارفة بأصوله ،فحين تطلع على الكتاب تجد فيه يُسراً بادئ الأمر ، لكنك لا تستطيع التمييز بين القواعد التفصيلية للمسألة النحوية الواحدة إنْ لم تكن على معرفة سابقة بها ، وهذا الرأي لا يشكل طعناً بالكتاب ، بل يعد من الكتب الجيدة التي رسمت لنا أهمية النحو ، وأرخت لمرحلة مهمة من مراحله.

---

[327] - كاشف الغطاء: الشيخ علي - نظرات وتأملات- مؤسسة كاشف الغطاء- النجف الأشرف- ٢٠٠٢.

ملاحظة مهمة / ومما يذكر في هذا الباب أنَّ الشيخ محمد جواد الجزائري قد ألف كتاباً في الرد على المقترحات المصرية عنوانه (نقد الاقتراحات المصرية في تيسير علوم العربية) طبع في النجف الأشرف عام ١٩٥١.وسيفرد البحث دراسة تفصيلية عن هذا الموضوع في الباب الثاني منه ص ٢٤٨ وما بعدها).

[328] الصعيدي : عبد المتعال - النحو الجديد- دار الفكر العربي - مصر ٨٤/١٩٤٧-

[329] - كاشف الغطاء : الشيخ علي - الكواكب الدرية في الأحكام النحوية - مؤسسة كاشف الغطاء- ١٩٩٨.

[330] -ينظر / العاملي : الشيخ أحمد قصير - متن الاجرومية ودرو س في النحو - دار الهلال بغداد ١٩٨٥.

[331] - ينظر/كاشف الغطاء - الكواكب الدرية /١١ ، ٤٣.

[332] - ينظر/ المصدر نفسه/١١،٩.

[333] ينظر / خضير:باسم - الدراسات النحوية عند آل كاشف الغطاء/١٦٦.-

القسم الثالث:دراسة الصوت .

ولـ (آل كاشف الغطاء) كتاب مهم في الصوت هو:(الفرق بين الضاد والظاء)-للشيخ محمد رضا كاشف الغطاء [٣٣٤]- تناول فيه ماهية الصوت. وأداء الأعضاء الصوتية، والفرق بين الضاد المصرية ، والشامية والضاد الحجازية ، والعراقية. ولم يقتصر بحث هذه الأسرة العلمي على هذه الكتب أشار إليها البحث،بل توجد مؤلفات أخرى يحيل عليها الباحث [٣٣٥].

وقد أشار البحث إلى جهود هذه الأسرة الحوزية بكونها مثالاً عن رجال الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، وما قدّمته في دراسة النحو ، ولا تعني هذه الإشارة إهمال دور الأجلاء والأعلام من رجال الحوزة الخالدة ،بل يوجد تدريس لقواعد النحو ،وأصول اللغة بكونها مقررات أساس ، ليس هذا فحسب،بل كل تقريرات علماء الأصول ، تضمنت مباحث لغوية كثيرة،فأهتمت بمسائل الاشتقاق ، والاستثناء،والأمر والنهي،وغيرها من الأبواب النحوية المؤثرة في القاعدة الشرعية.

وأكتفي هنا بالإشارة إلى أهمية علم الأصول ،وأثر بعض علمائه، ومدى علاقتهم بالنحو ،وعلاقة النحو بهم ؛لأنَّ الحديث عن هذا العلم وأصوله ، وعلاقته بمادة بحثنا واسعة لا يحدها مبحث واحد ، نكتفي بما أشرنا إليه .

---

334 - كاشف الغطاء : الشيخ محمد رضا- الصوت وماهيته في كتاب (الفرق بين الضاد والظاء)- تحقيق- خليل إبراهيم المشايخي - مؤسسة كاشف الغطاء - النجف الأشرف-٢٠٠٢.

335 - للاطلاع ينظر/ دليل مخطوطات مؤسسة كاشف الغطاء العامة - النجف الاشرف-٢٠٠٥.

المبحث الثالث

أثر الأصوليين في النحو وعلمائه

لايخفى على أحد أمر احتياج أصول الفقه إلى علم النحو ، لكون الأصول تتناول القرآن الكريم ،والسُّنة النبوية مجالاً ، وميداناً في استنباط الأحكام . والقرآن والسُّنة عربيان ، ويحتاج دارسها إلى التبصُّر باللغة العربية نحوها وصرفها ، ليعرف مكان الفاعل من المفعول به ، ويفرِّق بين المثنى والجمع وأنواعه ، وبين الحال وصاحبه ...وقد أوصى أئمتنا الكرام (عليهم السلام) بهذا ، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام :((العلوم أربعة :الفقه للأديان ، والطب للأبدان ، والنجوم لمعرفة الزمان ، والنحو للسان))[336] . ويحتاج الأصولي إلى ((دراسة النحو، والصرف ، والبلاغة ، والمعاني ، والبيان من أجل معرفة قواعد اللغة العربية وأصولها وإعرابها،ومفرداتها وجملها،أسمائها وأفعالها ، والحروف ، والمعاني الحقيقية ،

336 - الديلمي : الشيخ الجليل الحسن بن أبي الحسن - أعلام الدين في صفات أمير المؤمنين - مؤسسة أهل البيت لأحياء التراث- ط ٢ - بيروت ١٩٨٨/٨٣.

والمجازية ،الاستعارة وأقسامها الخبر منه والإنشاء ، الكناية وأقسامها إلى غير ذلك كلها من أجل معرفة مقصود المشرع في كتابه المجيد حينما يبين حكماً أو يحرم عملاً، ومن أجل أنْ يعرف المقصود الواقعي . من قول الرسول الكريم (ص) في بيانه والأئمة المعصومين (ع) في أحاديثهم والصحابة المنتجبين في أقوالهم ونقلهم))[٣٣٧]. لهذا صار لازماً على الفقيه ، والمتصدي لدراسته تعلم اللغة العربية والإلمام بها ، وليس القول مقصوداً على طلبة الفقه العرب بل حتى الأجانب منهم. فـ((أنى كانت لغة طالب العلم الديني ، فإنَّ عليه أنْ يتعلم اللغة العربية التي نزلت بها الشريعة الغَّراء كتاباً وسُّنةً وتأريخاً وحضارةً، بذلك يكون الطالب أكثر قرباً إلى معاني الشريعة واستجابة لإشاراتها))[٣٣٨] . ويتوقف تحقيق غرض علم الأصول على الإلمام بمبادئ بعض العلوم هي ((علم الكلام وعلوم العربية والأحكام الشرعية))[٣٣٩] لأنَّه ((لا يستطيع الأصولي تحقيق غرضه من علم الأصول إلاّ بعد الإلمام بمبادئ هذه العلوم))[٣٤٠]. وقد رافق النحو العربي مسيرة تدرُّج الفقه الإسلامي في تطوره حتى صار للفقه علم مخصص به يمثل القيمة العليا لمنطق الفقه هو (علم أصول الفقه). وأصبح هذا العلم يستند كما أشار البحث إلى النحو العربي ، لكونه من العلوم التي يستند إليها في تحديد مساراته. ولما كان النحو سابقاً الأصول في منهجه ، وأسلوبه فلابُدَّ أنْ يتأثر فيه الأصولي ، حينما يتفاعل مع قوانينه التي هي قوانين الأصول نفسها ، بل تقابل أصول النحو ، ما للأصول في أدلتها وتنوُّع موضوعاتها .

نقل السيوطي في الاقتراح عن ابن الأنباري قوله : ((أصول النحو أدلة النحو التي تفرَّعت منها فروعه وفصوله ، كما أنَّ أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوَّعت عنها جملته وتفصيله ، وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل ، والارتفاع

---

337 - الشهرستاني : د. محمد علي - مدخل إلى علم الفقه - ط ١- بيروت-١٩٩٦/٠٦.

338 - المدرسي : محمد تقي - تلخيص التشريع الإسلامي – توضيح- عبد العظيم المهتدي البحراني - قم -٢٠٠٠-١/٥٩.

339 - الرازي - المعالم في علم الأصول/١٣.

340 - العلامة الحلي - تهذيب الوصول إلى علم الأصول - تحقيق الشيخ محمد باقر الناصري- ط ١ - إيران ٢٨/٢٠٠٥ الهامش.

عن حضيض التقليد الى يَفَاعَ الاطلاع على الدليل ، فإنَّ المُخَلَّد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب ، ولا ينفكُّ في أكثر الأمر عن عوارض الشَّكِّ والارتياب)) [٣٤١].

فالنحو والأصول جدولان يصبان في نهر واحد، من حيث الوضع ، ومن حيث الأدلة والفروع ، فكلاهما وضع حماية للقرآن الكريم والسُّنة النبوية . فالنحو يحفظ اللغة ، ويُعدِّل اعوجاج الألسنة ، ويُبْعدها عن اللحن ، وأصول الفقه تحفظ التشريعات بقوانين مأخوذة في أساسها من المنبع ــ الكتاب المجيد والسُّنة المقدسة ــ محدد الأحكام ومفصلاً حتى لا يتيه المرء باحثاً عن الحكم والدليل . فالتقارب كبير وواضح لأنَّه ((بينهما من المناسبة ما لا خفاء به لأنَّ النحو معقول من منقول ، كما أنَّ الفقه معقول من منقول)) [٣٤٢].

ومن خلال تتبعي المسيرة العلمية لأصول الفقه ــ في حدود مصادر البحث ــ وجدتُ ، أنَّ جُلَّ اهتمام علماء الأصول بدراسة مباحث الألفاظ ، والدليل اللفظي والمعنوي ، ما يتعلق به من الأمر والنهي ، بموضوع التشريع . من ذلك مثلاً في الأوامر الواردة في القرآن الكريم وكيفية الإفادة فيها جاء في الوصول إلى كفاية الأصول : ((أنَّه قد ذكر للفظ الأمر معانٍ متعددة : منها الطلب كما يُقال أمَرَهُ بكذا ، ومنها الشأن كما يُقال شَغله أمْرٌ كذا ، ومنها الفصل كما في قوله تعالى : ((وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ برَشِيْدٍ))[٣٤٣]، ومنها الفعل العجيب كما في قوله تعالى ((فَلمَّا جَاءَ أَمْرُنَا))[٣٤٤] ، ومنها الشيء كما تقول : رأيْتُ اليَوْمَ أمْراً عَجِيْباً ...))[٣٤٥] . وجاء في الكفاية ((أنَّ النهي بمادته وصيغته في الدلالة على الطلب ، مثل الأمر بمادته وصيغته ، غير أنَّ متعلق الطلب في أحدهما الوجود ، وفي الآخر العدم ، فيعتبر فيه ما آستظهرنا اعتباره فيه بلا تفاوت أصلاً ، نعم يختص النهي بخلاف ، وهو : إنَّ متعلق الطلب فيه هل هو الكفُّ ، أو مجرد الترك وأنْ لا يفعل ؟ . والظاهر هو الثاني ، وتوهَّم

---

341. - السيوطي - الاقتراح /١٤ .
342. - السيوطي - الاقتراح /١١ .
343. - هود - من الآية /٩٧ .
344. - هود - من الآية / ٦٦ .
345. - الشيرازي : محمد الحسيني - الوصول إلى كفاية الأصول - ط٣- إيران ٢٦٩/١ .

أنَّ الترك ومجرد (أنْ لا تفعل) خارج عن تحت الاختيار، فلا يصبح أنْ يتعلق به البعث والطلب ، فاسد ، فإنَّ الترك أيضاً يكون مقدورًا ، وإلاَّ لمَّا كان الفعل مقدوراً وصادراً بالإرادة والاختيار ، وكون العدم الأزلي لا بالاختيار، لا يوجب أنْ يكون بحسب البقاء والاستمرار الذي يكون بحسبه محلاً للتكليف ...))[٣٤٦]. ويفرد الأصوليون أبواباً لدراسة هذه المباحث ، معللين لعلاقة الكلمة بتقسيمها وبصورة لفظها ومعناها ، ولا يتعمق إلى ما دون ذلك ؛ لأنَّ ((موضوع الأصول ليس مثل موضوع النحو مركباً ... بل هو العنوان الواحد المقيَّد وهو الدليل في الفقه)) [٣٤٧] ، وليس الأصولي أو الفقيه بالمُسْتَغني عن النحو ، فهو يندرج في مباحثه لذا ((يلزم إدراج مباحث اللغة ، والنحو والصرف أيضاً التي ربما يحتاج إليها الأصولي في تحرير مسائله)) [٣٤٨] . ونظراً لهذه الحاجة فإنَّ علم النحو ((هو أول العلوم التي يدرسها طالب العلوم الدينية ، ولا غنى له عنه ؛ لأنَّ من أهم مدارك الفقه الكتاب العزيز والسُّنة النبوية المقدسة ، ولابُدَّ من معرفة جملها والإحاطة بما فيها من المبتدأ والخبر، والفاعل ، والمفعول ، وما آشتملت عليه من الحال ، والتمييز وغير ذلك ، ومما لا ريب فيه أنَّ الطالب إذا لم تكن له دراية بهذه الصناعة فإنَّه لا يستطيع استنباط الحكم الشرعي ، ولا يشترط التخصص ، والتمرس في هذا العلم والإحاطة بجميع شؤونه وعلله ، بل يكفي معرفة إعراب مفردات الجمل))[٣٤٩].

والأصوليون حينما درسوا مباحث الألفاظ ، أفادوا من ذلك معرفة الحقيقة الشرعية في وضع اللفظ لمعنى يَتوَاءَم مع هذه الحقيقة التي يريدونها ، ويتوصل إلى هذه الحقيقة بوساطة رسم حقائق أخرى هي حقيقة لغوية وأخرى عرفيه وشرعية ، ليتصوَّر من خلالها مفهوم الحقيقة ، ((ومن القضايا البالغة الأهمية التي يتناولها الأصوليون في مباحثهم ، قضية الحقيقة الشرعية ومدى ثبوتها ، وقد قسَّموا الحقيقة إلى ثلاثة أقسام : لغوية ، وعرفية ، وشرعية . ولا خلاف بينهم في ثبوت اللغوية

---

346 - الآخوند - كفاية الأصول / ١٤٩ .

347 - الخميني : مصطفى - تحريرات في الأصول - تحقيق - السيد محمد السجادي - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - ط١ إيران ١٤٠٧ هـ ١/٣٥ .

348 - المصدر نفسه ١/٣٦ .

349 - القرشي : باقر شريف - الفقه الإسلامي تأسيسه وأصالة مداركه - ط١- قم ١٤٢٤هـ /٢١ .

والعرفية))[٣٥٠] . والحديث المهم هو ما تركه الأصوليون من لمسة أثرتْ في مسيرة النحو العربي ، فجعلت لهذا العلم خيارات تدخل في علم الفقه استعملها النحاة أكثر مما هي من علم النحو نفسه . وهذا الخلط بين النحو وأصول الفقه ، ما هو إلاّ نوع من التجديد في قواعد النحو . بل فتح آفاقاً جديدة في المسيرة العلمية للنحو العربي . أو كان التأثير الفقهي بالعالِم النحوي أولاً أو بالعلم نفسه ؟ . وما الصورة التي يتضح بها هذا التأثير ؟ .

أتضح تأثر علماء النحو بما نسجوه في كتبهم على منوال الفقهاء ، فهذا ابن جني الذي يحدد موضوعات كتابه (الخصائص) على نمطٍ ينسجم مع أصول الفقه : ((واضعاً نصب عينيه تطبيق مسائل النحو وقواعده على أصول الفقه وما تفرَّع عنه))[٣٥١] ، وقد وصف ذلك بنفسه في الخصائص فقال : ((وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين ، والفقهاء ، والمتفلسفين ، والنحاة ، والكتّاب ، والمتأدبين التأمل له ، والبحث عن مستودعه ...))[٣٥٢] .

وتأثر ابن الحاجب كثيراً بطريقة الجدل الفقهي ، إذْ يُعَلِّل على طريقة المتكلمين ، فكان ((من هذا الانجذاب نحو معالجة مسائل النحو ، بأسلوب الفقهاء الأصوليين))[٣٥٣] . ومن المتأثرين بمنهج الأصوليين أيضاً أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) . الذي وضع كتابيين متشابهين لهذا المنهج الجدلي ، هما كتاب في أصول النحو هو (لُمَع الأدلة) والآخر (الإغراب في جدل الإعراب) [٣٥٤] . ومن المتأثرين أيضاً بالمنهج الأصولي في عملية الطرح والاستنباط ، واستخراج الحكم ، ابن السَّراج في كتابه (الأصول في النحو) . هذه إشارة لتأثر النحاة بعلماء الأصول .

أما عن تأثر النحو بالأصول ، فهو كثير سيشير البحث الى بعضه ، إذْ عرف الأصولي النحو بقوله : ((علم النحو يدرس الجملة من حيث تركيبها ووظيفة كل

---

350 - زوين : د. علي - منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - ط ١ - بغداد ١٩٨٦ /١٣٤ .

351 - الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /٢٣٩ .

352 - ابن جني - الخصائص ١ /٦٧ .

353 - الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /٢٤٥ .

354 - ينظر /الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي /٢٤٠ .

كلمة في التركيب ، أو هو العلم الذي يبحث في قواعد تركيب الجملة ووظائف عناصرها))[٣٥٥] .

أدخل الأصوليون نقاشهم في كل شيء ، ففي تقسيم الكلمة المعروف إلى : اسمٌ ، وفعلٌ ، وحرفٌ ، وهذا ما يلاحظ على محمد باقر الصدر الذي أرجع الفعل في هيأته إلى الاسم ، لكون الفعل موضوعاً لمعنى معين ، ويعلل ذلك بالقول : ((المادة في الفعل فهي لا تختلف عن أي آسم من الأسماء فكلمة (تشتعل) مادتها الاشتعال وهذا له مدلول اسمي ، ولكنّ الفعل لا يساوي مدلول مادته بل يزيد عليها بدليل عدم جواز وضع كلمة (اشتعال) موضع كلمة (تشتعل)))[٣٥٦]. ويقول في موضع آخر بأنَّ ((الفعل مركب من اسم ، وحرف فمادته آسم وهيئته حرف ومن هنا صحَّ القول بأنَّ اللغة تنقسم على قسمين : الأسماء والحروف))[٣٥٧] . وفي الألفاظ التي يشكل درسها عند الأصوليين أمراً مهماً، حين يفردون لها مباحث مستقلة في أصولهم ، تراهم يعللون فيها وفي تركيبها ، عدد حروفها ، ومجانستها المعنى . قال الرازي : ((لا يجب أنْ يكون لكل معنى لفظ ، لأنَّ المعاني التي يمكن أنْ تفعل لا تتناهى ، والألفاظ متناهية ، لأنَّها مركبة من الحروف ، والحروف متناهية ، والمركب من المتناهي متناهٍ ، والمتناهي لا يضبط ما لا يتناهى ، وإلاّ لزم تناهي المدلولات...)) [٣٥٨] . لذا نجد تنوعاً واضحاً في آراء الأصوليين من تراكيب العربية ، فكانت لهم وقفة مع الجملة أيضاً ، فآعتنوا بها عنايةً فائقةً، وقسَّموها جملة ناقصة ، وأخرى تامة بحسب تركيبها ، ثُمَّ قسَّموها جملة اسمية ، وجملة فعلية بحسب أركانها الاسنادية ، وإلى جملة خبرية وجملة إنشائية بالعودة إلى أساليبها وموارداها[٣٥٩] . واهتموا بـ (الفعل) فأنكروا زمان الصيغة ، وعَدّوا زمان الفعل مدلولاً نحوياً ، لا صرفياً . وهو عند الأصوليين دلالة نسبية .

---

355. - الفضلي عبد الهادي - مجلة رسالة الثقلين /٩٣ .
356. - الصدر - دروس في علم الأصول ٧٢/١ .
357. - المصدر نفسه ٧٣/١ .
358. - السيوطي - المزهر ٤١/١ .
359. - ينظر / د. جمال الدين - البحث النحوي عند الأصوليين /٢٤٣ـ ٢٧٥ .

جاء في الكفاية : ((قد اشتهر في ألسنة النحاة دلالة الفعل على الزمان حتى أخذوا الاقتران بها في تعريفه ، وهو اشتباه ، ضرورة عدم دلالة الأمر والنهي عليه ... نعم لا يبعد أنْ يكون لكل من الماضي والمضارع ــ بحسب المعنى ــ خصوصية أخرى موجبة الدلالة على وقوع النسبة في الزمان الماضي في الماضي ، وفي الحال أو الاستقبال في المضارع ، فيما كان الفاعل من الزمانيات ...))[٣٦٠]. كما يرى الغزالي عدم دلالة الأفعال على العموم قال:((لايمكن دعوى العموم في الأفعال ؛ لأنَّ الفعل لا يقع إلاَّ على وجه معين، فلا يجوز أنْ يُحْمَل على كل وجه يمكن أنْ يقع عليه ؛ لأنَّ سائر الوجوه متساوية بالنسبة إلى محتملاتها ،والعموم ما يتساوى بالنسبة إلى دلالة اللفظ عليه))[٣٦١]. وقد اٌهْتمَّ الأصوليون قبل غيرهم بما يسمى اليوم بـ (علم الدلالة) دون أنْ يقصدوه بمفهومه الغربي الحديث ،لأنَّهم تناولوا دلالة اللفظ على المعنى، فجعلوا لذلك مدلولاً لغوياً وآخر تصديقياً ، قال محمد باقر الصدر : ((إنَّ دلالة اللفظ على المعنى هي أنْ يؤدي تصوُّر اللفظ إلى تصوُّر المعنى، ويسمى اللفظ دالاً، والمعنى الذي نتصوّره عند سماع اللفظ مدلولاً، وهذه الدلالة اللغوية، ونقصد بذلك أيَّها تنشأ عن طريق وضع اللفظ للمعنى ؛لأنَّ الوضع يُوجِد علاقة السببية بين تصوُّر اللفظ للمعنى وتصوُّر المعنى ،وعلى أساس هذه العلاقة تنشأ تلك الدلالة اللغوية ومدلولها هو المعنى اللغوي للفظ))[٣٦٢]. وقد حصر الغزالي دلالة اللفظ على المعنى في ثلاثة أوجه هي: ((المطابقة والتضمُّن والالتزام ، فإنَّ لفظ البيت يدل على معنى البيت بطريق المطابقة، ويدل على السقف وحده بطريق التضمُّن ؛لأنَّ البيت يتضمَّن السقف...))[٣٦٣]، والالتزام هو ثبات اللفظ على المعنى ، وعليه فعلماء الأصول وضعوا لبنة علم الدلالة في تعاملهم مع اللغة،لذا قيل : ((إنَّ علماء الأصول قدَّموا نماذج متقدَّمة جداً في تعاملهم مع اللغة كمنظومة من العلاقات اللسانية الدالة تخضع في حركتها الخطابية إلى نواميس متحكمة في أداء وظائفها الدلالية . وساهموا

---

360 - الآخوند - كفاية الأصول /٤٠، ٤١.

361 - الغزالي - المستصفى/٢٣٧.

362 - الصدر - دروس في علم الأصول ١/٧٥.

363 - الغزالي - المستصفى/٢٥.

منذ أول الآماد المبكرة في معالجة مشكلات لغوية ،وما أضفى على نتاجهم المعرفي طابع الدقة والموضوعية ، هو اتخاذهم القرآن الكريم منطلقاً لأستنباط أحكامهم الفقهية العامة بالاستناد على الأحكام اللغوية من أظهر خصوصياتها الدلالة))[٣٦٤].

كما درس علماء الأصول الجملة دراسة متأنية حتى أصبح لهم مفهوم له خصوصيته يختلف عن مفهوم النحاة في أغلب الأحيان ، لذا ((يتحدث الأصوليون عن مفهوم الجملة ، ويريدون به المعنى الذي يتحقق وراء المنطوق، فما يفهم من الجملة عند التلفظ بها يُسمَّى (المنطوق) وما يفهم من وراء المنطوق يُسمَّى (المفهوم) فللجملة وجهتان ،الأولى المنطوق والثانية المفهوم ، وهذا ما لاحظه علماء الأصول دون غيرهم))[٣٦٥].

وقد ظهر لعلماء الأصول في النجف الأشرف دورٌ كبيرٌ في تيسير النحو العربي ، تجسَّد في رَدّ الشيخ محمد جواد الشيخ أحمد الجزائري على مقترحات لجنة وزارة المعارف المصرية عام (١٩٣٨)[٣٦٦] . وكذلك رد الشيخ علي كاشف الغطاء على المقترحات أيضاً[٣٦٧]. ومن أهم آراء الشيخ علي كاشف الغطاء النقدية في أمور لخصَّها الباحث باسم خيري خضير وهي:

((١- وجوب استئصال اللغة العامية في كافة الأقطار العربية ، لتماسك الأقطار العربية فأنَّ اختلاف اللهجات سبب في تفككها .

٢- يجب أنْ تنتخب المعاجم العربية ألفاظاً رقيقة بعيدة عن الوحشية في شتى أنواع المسميات المستخدمة في الحياة اليومية .

٣- تتمثل أهم أسباب ضعف الطالب في اللغة العربية في رأي الشيخ:

أولاً : إنَّ الطالب لا يجد للغة العربية تلك الأهمية كباقي العلوم ...

ثانياً : ضعف المنهج في تدريس قواعد اللغة العربية قلة التطبيق .

---

364 - عبد الجليل : منقور- علم الدلالة - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٧/٢٠٠١.

365 - الظالمي - تطور دراسة الجملة العربية بين النحويين والأصوليين/١٠١ .

366 - ينظر / الجزائري : محمد جواد - نقد الاقتراحات المصرية في تيسير علوم العربية- النجف الأشرف - ط١ -١٩٥١. وسيفرد البحث دراسة وافية عنه في الفصل الثالث من الباب الثاني من البحث ص ٢٤٨.

367 - كشفت عن ذلك دراسة السيد باسم خيري خضير (الدراسات النحوية لآل كاشف الغطاء)/ينظر/١٤٥ وما بعدها.

٤- تأسيس نوادٍ عامة تلقى فيها الخطب والمحاضرات في اللغة العربية الفصحى))[٣٦٨].

وخلاصة القول إنَّ علماء الأصول ، فتحوا آفاقاً جديدة في دراستهم اللغة العربية ، فأضافوا إليها أموراً جديدة لم ينتبه إليها النحاة من قبل ، أشرتُ إلى بعضها بما يسمح به مجال البحث .

الفصل الثالث

تطور النحو

[368] - خضير: باسم - الدراسات النحوية عند آل كاشف الغطاء/١٤٦.

تطـــــــور النـحو

بعد عرض موجز لأساسيات النحو العربي ، من حيث نشأته ، وعلماؤه ، والأسباب الموجبة لظهوره ، ومدى ارتباط النحو العربي بعلوم الدين ، يصل البحث إلى نقطة أهم في طريق رقيّ النحو العربي ، أو تطوره. وهذا التطور لم يأتِ دفعة واحدةً بل سار بخطوات متأنية تارةً ، ومسرعةً أخرى ، حتى وصل إلى أرقى المستويات ؛ لأنّ ((النحو متطورٌ أبداً))[٣٦٩]. وتطوره كما أتصوّره آبتدأ مع تعدد الآراء النحوية والأقيسة ، ثُمّ ظهور الخلافات بشأن مسائل معينة في النحو ، وأنتجت هذه الخلافات مذاهب نحوية ــ أو مدارس ــ كما يسميها بعض النحاة المحدثين ، مثل الدكتور المخزومي والدكتور شوقي ضيف وغيرهم[٣٧٠].

وتَطَوُّر النحو لم يتوقف بل ظلّ مستمراً إلى يومنا هذا ، فما زالت الدراسات النحوية ، والبحوث في النحو العربي ، ومحاولات تيسيره تزداد يوماً بعد آخر من خلال الجامعات ، والمجامع العلمية ، وفي هذا البحث جانب مهم ، هو دراسة النحو في صميمه مع الإشارة إلى المسائل التركيبية للجملة من إعراب الفعل ، والفاعل ، والمبتدأ ، والخبر ، من دون التعمق فيها ، وقد عُني البحث بما جاءت به المجامع العلمية ، ومحاولات التيسير والتجديد ــ سيعرض لها البحث في الفصول القادمة ــ من مقررات بزيادة بعض الأمور، وحذف بعضها الآخر. ولا ينسى البحث ، ما قدّمه الرواد الذين حاولوا تيسير النحو وتهيئته لنا ، لنعرف طريق الإبحار فيه ، ولاسيما الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، والدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور ابراهيم

---

369 - المخزومي - في النحو العربي نقد وتوجيه / ١٩.

370 - سيتناول البحث هذا الأمر في ص ١١٢من هذا الفصل .

السامرائي ، ولهذا عنون البحث هذا الفصل بـ (تطور النحو) متخذين أسلوباً واضحاً في عرض مادته ، دفعاً لتوهّم بعض القائلين بجمود النحو العربي .

المبحث الأول

تعريف الخلاف في اللغة :

جاء في العين : ((خَلْف الإبل : حَدا يَحْدُو حَدْوَاً ، إذا تبع شيئاً . والحِديا من التحدي ، يقال يتحدى فلاناً أي : يباريه وينازعه الغلبة))[371]. وأيضاً ((خِلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) مخالفته في القرآن ، ورجلٌ خَالِفٌ وَخَالِفَة ٌ، أي : يُخالِفُ ، ذو خِلافٍ، وخَلَفَهُ ، وٱختلفت ٱختلافةً واحدةً))[372].

وقال الزجاجي : ((أي فيما وقع من الاختلاف في الخصومات حتى ٱشتجروا وتشاجروا، أي : تشابكوا))[373]. ((والفرق بين الاختلاف في المذاهب والاختلاف في الأجناس ، أنَّ الاختلاف في المذاهب هو ذهاب أحد الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر ، والاختلاف في الأجناس : ٱمتناع أحد الشيئين من أنْ يسدّ مسد الآخر))[374].

تعريفه في الاصطلاح :

عرّفه الشريف الجرجاني بأنَّه : ((منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقّ أو لإبطال باطل))[375]. والخلاف في مسائل النحو : هو ٱختلاف أئمة النحو البصريين ، وأئمة النحو الكوفيين في المنهج المتبع ، لتحديد قواعد النحو ، فتنازعوا ، وتناظروا في هذه المسائل حتى دار بينهم جدالٌ ومناقشات، بشأن مسائل نحوية كثيرة ، وكلّ منهم ٱعتدّ برأيه ، وتمسّك به ، فصار لكلِّ فريق أنصاره ودُعاته .

ويُعّد ((الخوض في دراسة الخلاف بين علماء النحو من الأمور المحفوفة بالمخاطر إذ إنّ الدارس لهذا الجانب يصعب عليه تلمس الحقيقة وسط هذا التراث

---

371 - الخليل - العين ٢٧٩/٣ مادة (خلف) .
372 - المصدرنفسه ٤/ ٢٦٥ .
373 - ابن منظور - لسان العرب ٤/ ٣٩٦ ، وينظر/ الزَبيدي - تاج العروس ٢٩٢/١.
374 - العسكري : أبو هلال - الفروق اللغوية / ٣٨.
375 - الجرجاني - التعريفات / ٩٠.

النحوي الكثير البالغ التعقيد ، بآعتبار أن دارس الخلاف لا بدّ له من دراسة جميع أبواب النحو ، لأنّ الخلاف آتسع وتغلغل في جميع الأبواب النحوية))[٣٧٦].

وليس خافياً على دارسي علوم اللغة ، موضوع الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين ، إذ تناولته جميع الكتب التي أرخت للنحو العربي ، بالتفصيل أحياناً كما فعل أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف)، وبالإشارة أخرى ، لأنّ الخلاف النحوي ، بات يشكل جزءاً مهماً في تأريخ النحو العربي ، لكونه يدُلّك على مرحلة دقيقة من مراحل تطور النحو ، فكيف دار مجال البحث فيه ؟ ، وما الذي أفاده القائلون بالخلاف من خلافاتهم ؟ ، وما نتيجة الخلاف ؟، وما أهمية هذه النتيجة إنْ وجدت ؟.

أسئلة كثيرة تطرح نفسها ، ولها إجابات واضحة داخلة في صميم ذلك الزمن الذي ظهر فيه الخلاف ، بين المذهبين الكبيرين . فكلّ مهتمٍ بأصول النحو ، وتأريخه يجد هذه المفاهيم مرسومة أمامه ، فيرى باطلاعه على مسائل الخلاف ، إجابةً وافيةً تبيّن أموراً كثيرةً ولاسيما (أهمية الخلاف) ، لأنّ : ((الخلاف ظاهرة ملازمة للنحو العربي لايمكن تجنبه أو استبعاده))[٣٧٧]. ومجال البحث في الخلاف النحوي كبير جداً ، لأنَّه يشكل مرحلة مهمة ، ذات وقع واضح في نفوس دارسي النحو ، هوآستعراض لمسائل الخلاف في النحو، أو المقارنة بين تلك المسألة وغيرها مما لها صلة بها ، أو النظر في رأي البصريين ونقيضه عند الكوفيين ، ومنهم مَنْ وقف أو تناول هذه المسائل أو تلك بالمقارنة والتحليل ، وصولاً إلى الرأي الصائب فيها . فيأخذ منه ما يريد لإثبات رأيه ، ودعم فكرته ، ومنهم ـــ أي الدارسين ـــ مَنْ يتناول طرفاً من الخلاف النحوي كالإشارة مثلاً إلى موضوع القياس في النحو ، وكيف تناوله الفريقان وغير ذلك ؟ ، وهذه الأمور فرضتها طبيعة الخلاف النحوي نفسه ؛ لأنّ ((دراسة الخلاف بين علماء النحو من الأمور المحفوفة بالمخاطر))[٣٧٨]. وعلى الرغم

---

376 - الحمد : كريم سلمان - مسائل الخلاف النحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري - رسالة ماجستير مخطوطة - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ١٩٨٠/١٦.

377 - المصدر نفسه / ٢٦١.

378 - الحمد : كريم سلمان - مسائل الخلاف النحوية / ١٦.

من هذا لم يُعْنَ أحد من الدارسين بتعريفه ، وتعليل ظاهرته ، التي تبدو أمراً طبيعياً ، ومرتبطاً أرتباطاً متيناً بتطور النحو العربي .

كتب الخلاف النحوي

من أقدم الكتب التي تناولت خلاف البصريين والكوفيين ،هو الذي وضعه أبو الحسن بن كيسان (ت ٢٩٩ هـ)[٣٧٩]. ثُمّ جاء أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) في كتابه الشهير (الإنصاف في مسائل الخلاف)، ثُمّ العكبري (ت ٦١٦ هـ)[٣٨٠] ، وبعده عبداللطيف بن أبي بكرالشرجي الزبيدي (ت ٨٠٢هـ)[٣٨١]، ثُمّ السيوطي في كتابه (الأشباه والنظائر).

أما المحدثون فقد تعرضوا لهذه الظاهرة المهمة في تأريخ النحو العربي في مؤلفاتهم ، فأفردوا لها فصولاً في كتبهم ، تحدثوا في مسائل مهمة أختلف فيها البصريون والكوفيون ، منها مثلاً ، كتاب مدرسة الكوفة للدكتور المخزومي ، ومدرسة البصرة للدكتور عبد الرحمن السيد ، وغيرها . ثُمّ ظهرت دراسات أختصت بمسائل الخلاف منها دراسة الأستاذ كريم سلمان الحمد الموسومة بـ (مسائل الخلاف النحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري) عام ١٩٨٠، وأيضاً دراسة الدكتور مهدي صالح سلطان الموسومة بـ (الخلاف النحوي بين الكوفيين)[٣٨٢]، ودراسة الأستاذ هاشم محمد مصطفى الموسومة بـ (الخلاف النحوي في معاني الأدوات والأساليب في ضوء كتاب الانصاف)[٣٨٣]، وأيضاً دراسة آخرى

---

379 - ابن الندم : الفهرست / ١٢٠. ذكر ابن النديم كتابه (المسائل على مذهب النحويين فيما اختلف فيه الكوفيون والبصريون).

380 - العكبري : أبوالبقاء (ت٦١٦ هـ) - مسائل خلافية في النحو - تحقيق - محمد خيرالحلواني - دار الشهباء - بيروت - ب ت .

381 - الزبيدي : عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي (ت ٨٠٢) - ائتلاف النُصْرة في آختلاف نحاة الكوفة والبصرة - تحقيق- د. طارق الجنابي - بيروت ١٩٨٧.

382 - سلطان : مهدي صالح - الخلاف النحوي بين الكوفيين - أطروحة دكتوراه - مخطوطة - جامعة بغداد - ١٩٩٥.

383 - مصطفى : هاشم محمد - الخلاف النحوي في معاني الأدوات والأساليب في ضوء كتاب الانصاف - رسالة ماجستير مخطوطة - جامعة بغداد - ١٩٩٨.

نال فيها الباحث درجة الماجستير عنوانها (مسائل الخلاف المأثورة بين البصريين والكوفيين)[٣٨٤].

نشـــأة الخــلاف

من الأمور المسّلم بها أنْ يكون الخلاف في النحو العربي أمراً طبيعياً ، ومؤشر آنعكاسٍ صحيّ لتطور النحو العربي ، الذي بدأ بصرياً في طوره الأول ، طور النشأة والتكوين ، ثُمّ نَما وآنتشر بين البصرة والكوفة ، وطبيعي جداً أنْ ينضج ويكتمل بهذا الانتشار ، وتبدأ معه مرحلة جديدة من النقاش والمناظرات بين علماء المصرين ، حتى وصل هذا النقاش أوجه[٣٨٥]، وأصبح يعرف عند النحويين بـ (الخلاف) ، فكان هذا التطور الزمني ، وكثرة دارسي النحو على يد زعماء النحو ، الخليل وسيبويه ، والكسائي (ت ١٨٩هـ) ، صار شيء من تنوع القضايا وتشعُب المسائل ، وحينئذٍ اختلاف في وجهات النظر . وقد يحصل أنْ يلتقي العلماء في بعض المجالس في المسجد أو في مجالس الأمراء أحياناً ، فتثار مسألة فيعطي كُلّ رأياً مختلفاً ، لتصبح مدعاة للجدل كأن تُقرأ آية بقراءتين مختلفتين ، ويرى كُلّ رأيه أصحّ من الآخر ، فيحتدم الصراع والجدل بشأنها ، وقد حفظت لنا المصادر كثيراً من هذه المناظرات ــ سيأتي ذكرها لاحقاً ــ وقد أجمعت الروايات أنّ الخلاف بدأ بين أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ، وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ)[٣٨٦] . ويرى الدكتور محمد حسني أنّ الخلاف بدأ بين الخليل البصري والرواسي (ت ١٨٧ هـ) الكوفي[٣٨٧].

وأرى أنَّ الخلاف آبتدأ مع أول تلميذ أخذ النحو عن الخليل ، لأنَّه بشكلٍ أو بآخر صار له رأيٌ مخالفٌ أستاذه جزئياً أو كُلياً ، وصاحب الرأي لابُدَّ له من دفاع

---

384 - قدّمها السيد (خالد بن عبد الرحمن بن ابراهيم العجيمي) إلى جامعة الملك فهد عام ١٩٩٤، ولم يفلح الباحث في الاطلاع عليها لكونها مخطوطة في تلك الجامعة في العربية السعودية.

385 - ينظر / الطنطاوي - نشأة النحو / ٢٧ أطوار النحو العربي ، إذ قسّم الطنطاوي تاريخ النحو أربعة أطوار.

386 - ينظر / الزجاجي (ت٣٤٠هـ) - مجالس العلماء - تحقيق - عبد السلام محمد هارون - الكويت - ب ت / ٢٤١،٢٤٢.

387 - ينظر/ حسني : د. محمود- المدرسة البغدادية / ٥٦.

عن رأيه ، فيكون الجدل والاختلاف ، وبعد ظهور علماء من الكوفة أصبح الخلاف يأخذ جانباً آخر، هو جانب المنافسة ، وصارت ((مشكلة الخلاف من أبرز مشاكل النحو العربي بعد أن تعددت الآراء وتشابكت واختلفت في المسألة الواحدة فكانت أحكامهم مختلفة))[٣٨٨].

طريقة عرض المسائل الخلافية

مما يجب الإشارة إليه أنّ مسائل الخلاف جمعت بطريقة وأسلوب الفقهاء المسلمين ، ذكر ذلك ابن الأنباري بقوله : ((سألوني أن أُلَخص لهم كتاباً لطيفاً ، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويّ البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة))[٣٨٩].

دواعي الخـــلاف وأســبابــه

إنّ الخلاف في مسائل النحو لم يأتِ عفوياً ، بل فرضته طبيعة الدرس النحوي ، وٱجتمعت عوامل متعددة أدت إلى بروز هذه الظاهرة الحسنة ، على الرغم من أنّ مسائل الخلاف موجودة في نحو المذهبين البصري ، والكوفي بوضوح من خلال منهج الطرفين ، فالكوفيون ((أخذوا عن البصريين وخالفوهم فيما أخذوا عنهم ، والذي ينظر وجوه الخلاف يجد أنّها ترجع إلى خلافهم في المنهج الذي آتبعه كلّ منهم))[٣٩٠]. والبصريون يقيسون صحة ما يذهبون إليه بدقّة وتَمَعُّن في كلام العرب ، ما كان مشهوراً وشائعاً ليكون الحكم قوياً . أما الكوفيون فعكس هذا تماماً ، إذ يأخذون بالرأي الواحد في معظم الأحيان ، قال السيوطي : ((ٱتفقوا على أنّ البصريين أصحّ قياساً لأنهم لايلتفتون إلى كلّ مسموع ، ولا يقيسون على الشاذ ،

---

388 - الحمد: كريم سلمان - مسائل الخلاف النحوية / ١٩.

389 - ينظر/ابن الأنباري - الإنصاف ٦/١. وقال بذلك عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي في كتابه آئتلاف النُصْرة/ ٢٤، قال : ((قصدي أن أذكر فيه ، اختلاف النحويين ، الكوفيين والبصريين، سيبويه وأشياعه ، والكسائي وأتباعه ، وجعلته نظير ما صنفّه الفقهاء الثقاة في الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة)).

390 - السامرائي : د. إبراهيم - النحو العربي نقد وبناء - دار الصادق - بيروت - ط ١ ٣٦/١٩٦٨.

والكوفيون أوسع رواية))[٣٩١]. لهذا آفتخرالبصريون على الكوفيين بقولهم : ((نحن نأخذ اللغة من حَرَشَة الضباب ، وأكَلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكَلة الشوازيز وباعة الكواميخ))[٣٩٢]. فيصرّ ُ كلّ طرفٍ على رأيه ومنهجه ، فيصبح لكلّ مذهبٍ أنصاره الذين يدعون إليه ، ويسيرون برأيه، ولم يكن الاختلاف في الأمور الثابتة القواعد بل آختلفوا في منهجهم المتبع في القياس ، والسماع ، والإجماع، إذ ((إنّ اختلاف المدرستين النحويتين الكبيرتين : البصرة والكوفة يبرز خلال موقفهما من القياس والسماع والإجماع ، وتشدّ ُدهما أو تساهلهما في هذه الأمور أدى إلى اختلاف في المصطلح والغرض ...))[٣٩٣]. وعلى الرغم من ((أنّ الحديث عن أسباب الخلاف أمر بالغ التعقيد محفوف بمخاطر الانزلاق وراء الأفكار الكثيرة والآراء المتشابكة التي دارت حوله عبر قرون كثيرة ، وقدمت أسباب متنوعة لتعليل الاختلاف بين النحاة منذ نشأته))[٣٩٤].

إلاّ أنّني سأعرض للأسباب برأيي ، مع تعزيز فكرتي بما أراه ملائماً من مصادر ، فأرى أنّ أموراً مَهّدت لظهور الخلافات النحوية وجعلتها مشهورة بهذا الشكل ، تنجلي بوضوح من خلال المناظرات التي جرت بين نحويّ المذهبين ، ولعلّها ظهرت عام (١٧٠ هـ)[٣٩٥]، على أثر المناظرة الشهيرة بين سيبويه والكسائي المعروفة بالمسألة الزُنبورية . إذْ يروى أنّه ((ورد سيبويه بغداد على يحيى البرمكي ، فجمع بينه وبين الكسائي للمناظرة، فقال له : كيف تقول : قَدْ كُنْتُ أظُنّ ُ أنّ العَقْرَبَ أشَدّ ُ لسعةً من الزُنبور ؛فإذا هو هي ، أو هو إيّاها ؟ .

فقال سيبويه : فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب ، فقال الكسائيّ : أخطأتَ ، العرب ترفع ذلك وتنصبه ؛ وجعل يورد عليه أمثلة ، من ذلك : خرجت فإذا زيدٌ قائمٌ

---

391 - السيوطي - الاقتراح / ١١٤.

392 - المصدر نفسه /١١٤- حرشة الضباب : صَيّادوها / ينظر / الجوهري - الصحاح ١٠٠٠/٣ مادة (حرش)، وأكلة اليرابيع : يقصد بهم البدو. والشوارِيز: جمع شِيراز وهو اللين الرائب. الكوميخ : جمع الكامخ وهو نوع من المخللات المشهية ، وهو نوع من الإِدام /ابن منظور - لسان العرب ٤٩/٣ (مادة شرز).

393 - الجنابي طارق - ابن الحاجب النحوي / ١٨.

394 - الحمد : كريم سلمان - مسائل الخلاف النحوية /٢١.

395 - سيبويه - الكتاب ١٧/١.

أو قائماً ، وسيبويه يمنع النصب ؛ فقال يحيى : قد آختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمنْ يحكم بينكما ؟ .

قال الكسائيّ : هذه العرب ببابك قد وفدوا عليك ؛ وهم فصحاء الناس ، فآسألهم . فقال يحيى : أنصفتَ ، وأُحضِروا فسُئلوا ، فآتبعوا الكسائي ، فآستكان سيبويه ، وقال : أيّها الوزير ، سألتك إلاَّ ما أمرتهم أنْ ينطقوا بذلك ، فإنّ ألسنتهم لا تجري عليه ، وكانوا إنما قالوا : الصواب ما قاله هذا الشيخ : فقال الكسائيّ ليحيى : أصلح الله الوزير! ، إنّه قد وفد إليك من بلده مؤمّلاً ، فإنْ رأيتَ ألاّ تردّه خائباً ! فأمر له بعشرة آلاف درهم))[٣٩٦] . هذه المناظرة التي زُعِمَ أنّ سيبويه أخفق فيها ، والحقيقة غير ذلك إذْ كان إخفاقاً مفتعلاً على ما يبدو من ظاهر القصة .

إذن يمكن عَدّ ُ هذه المناظرة تأريخاً نشأ فيه الخلاف النحوي بين المذهبين ، أي في حدود عام (١٧٠ هـ) . ولم تكن هي المناظرة الوحيدة بين نحاة المذهبين ، بل يوجد الكثير منها ، فقد ضمّ كتاب مجالس العلماء ، أمثلة كثيرة من المناظرات بين النحاة القدماء ، وهذه المناظرات تؤشر مدى الوعي الحقيقي لمسائل النحو بل تُعدّ ُ مهمة في تحديد تأريخ تطور النحو ، من هذه المناظرات :

مناظرة يونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) الكسائي[٣٩٧]، ومناظرة الأصمعي (ت٢١٦هـ) الكسائي[٣٩٨]، ومناظرة المبرِّد ثعلباً (ت ٢٩١ هـ) إذ قال السيرافي: ((كان بينه وبين ثعلب من المنافرة ما لا خفاء به))[٣٩٩] . ويشير البحث إلى تلك المناظرات دون الخوض في غمارها إتماماً للحجة ، ومع هذا كلّه آجتمعت عوامل متعددة تشكل في مجموعها أسباباً لهذه الخلافات يجملها البحث بالآتي:

الأول : العامل السياسي

---

396 - السيوطي - بغية الوعاة ٢٣٠/٢ ، وينظر /ابن الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٠٢/٢- المسألة ٩٩، والسيوطي - الأشباه والنظائر ١٥/٣.

397 - الزجاجي - مجالس العلماء / ٢١.

398 - المصدر نفسه / ٢٢ ، وينظر / الزجاجي - الأمالي / ٥١ .

399 - السيرافي - أخبار النحويين البصريين / ١٠٢.

يرجح بعض الباحثين العامل السياسي سبباً مهماً من أسباب قيام الخلافات النحوية ، لآتجاه الكوفيين وتقربهم إلى الخلفاء والأمراء ، ويذهب إلى هذا الرأي الطنطاوي[400] ، وعبد الرحمن السيد[401] ، إذْ إنَّ الحوادث المتلاحقة في المصرين ، جعلت الغلبة بادئ الأمر للكوفة على البصرة لكونها مقراً للخلافة ، وتحملت البصرة حرب الجمل المعروفة ، ثُمّ جاءت دولة الأمويين، فنصرت البصرة لمناصرتها بني أمية ، وذلّت الكوفة ، ثُمّ تغيّرت الحال لصالح الكوفة بعد مجيء العباسيين ، وقرّب الخلفاء كثير من علماء النحو لتأديب أولادهم مثل تأديب الكسائي ولدي الرشيد .

الثاني : العـــامل الدينيّ

لايبتعد هذا العامل عن سابقه كثيراً ، لكون الأهتمام بالدين في ذينك الوقت كان أمراً أقرب إلى السياسة منه إلى الدين ؛ لأنّ الإسلام ما زال فتيّاً ، فأثرّ هذا في المنهج الذي أتبعه علماء الفريقين ، إذ أخذ الكوفيون بالقراءات القرآنية ، والنقل والتواتر. وهذا متأثر بأسلوب القرّاء والمحدِّثين ، إذ شغل جُلّ اهتمامهم ، وهو يختلف كثيراً عن منهج البصريين . وليس معناه أنّهم لايهتمون بالدين الإسلامي والقرآن الكريم ،لكنهم ــ أي البصريين ــ يأخذون جذور مسائلهم على الرأي المعقول، أي أعتماد المنهج العقلي لأصحاب المنطق الفقهي ، مع أنّ القراءات أقرب إلى الدراسات الصوتية الحديثة منها إلى النحو .

الثالث : العـــامل النفسي

إنّ الاتجاه البصري في دراسة النحو قديماً ، إذ وضعوا النحو بإشارة من أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ــ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ــ ورسخّوا اللبنة الأولى لهذا العلم الخالد ، بما فيه من أصول ، وأساليب مستخلصة من كلام العرب . ثُمّ جاء الكوفيون في منتصف القرن الثاني الهجري فأخذوا النحو عن البصريين بكلِّ أُصوله ، ودقائقه . حتى أنّ الكسائيّ، الخصم الأول للبصريين دفع للأخفش سعيد بن

---

400 - ينظر / الطنطاوي - نشأة النحو / ١٠٦.

401 - ينظر / السيد : عبد الرحمن - مدرسة البصرة النحوية / ٢٥٦.

مسعدة ، مئة دينارٍ، ليقرأ عليه كتاب سيبويه البصري [٤٠٢] . وكذلك الفرّاء وُجِدَ الكتاب ــ كتاب سيبويه ــ تحت وسادته بعد موته [٤٠٣]. وهذا الأمر يدلل على أنّ الكوفيين ، آستقوا منابع علمهم من البصريين . وأمر طبيعي تأثر التلميذ بأستاذه ، فأخذ هذا التأثير جانباً آخراً مبنيّاً على التحدي المنعكس على أثر نفسي في داخل نفسية الكوفيّ ، نتيجة التفوّق العلمي عند نحاة البصرة كالخليل ، وسيبويه ، والتردّد الذي آعترى الكسائي فجعله مضطرباً من مناظرة سيبويه حتى يحتال في سبيل الانتصار عليه[٤٠٤].

الرابع : عــامل الأنانية والحســد

يمكن القول بهذا الرأي آستنتاجاً من قصة المسألة الزُنبورية ــ المشار إليها سابقاً ــ إذ دفع الحسد العلمي ، والأنانية الفردية في الاستئثار المادي ، وآمتلاك المرتبة الأولى في التقرّب من الأمراء ، فهذا الكسائيّ يظهر حسده وأنانيته ، قال الزُبيدي : ((لمّا ورد سيبويه إلى العراق شقّ أمره على الكسائيّ فأتى جعفر بن خالد بن برمك ، والفضل بن يحيى قال : أنا وليكما وصاحبكما ، وهذا إنّما تقدّم ليُذهِب محلي ، قال : فآحتل لنفسك فإنّا سنجمع بينكما))[٤٠٥] . والأمر واضح بجلاء من هذه الرواية . ولم يكن الحسد العلمي والأنانية مقصوراً على النحويين ، بل هو موجود عند الشعراء واللغويين أيضاً.

فمن حسد الشعراء بعضهم بعضاً ، ما ترويه الكتب عن حسد كثير من الشعراء والأدباء للشاعر أحمد بن الحسين المتنبيّ (ت ٣٥٤ هـ) لما كان له من الحِظوة والجاه عند سيف الدولة الحمدانيّ ((فشقّ هذا على من بحضرته من العلماء والأدباء والشعراء وصاروا يحسدون الشاعر على مكانه من الأمير ويكيدون له ....))[٤٠٦]، وقد أوقع بالمتنبي في بغداد ، فبلغ الأمر رجلاً يحقد على المتنبي ولا يريد له الخير

---

402 - ينظر / السيرافي - أخبار النحويين البصريين / ٤٠ .

403 - ينظر/ الزُبيدي - طبقات النحويين / ٧٣.

404 - ينظر / المصدر نفسه / ٦٨ وما بعدها.

405 - المصدر نفسه / ٦٨- ٦٩.

406 - البصير: د. محمد مهدي - في الأدب العباسي - مطبعة النعمان - النجف الأشرف - ط ٣ ١٩٧٠ /٣٣٢.

أبداً ، إنّه أبو الحسن بن لكنك في البصرة[٤٠٧] . قال صاحب اليتيمة : ((وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إيّاه زاعماً أنّ أباه كان سقّاءً بالكوفة ، فشمت به وقال :

قَوْلاً لأهْلِ زَمَانٍ لا خَلاقَ لَهم ضلّوا عَنِ الرّشْدِ مِن جَهْلٍ بهم وَعَمُوا

أعْطَيْتَم المُتَنَبيّ فَوْقَ مُنْيَتِهِ فَزَوّجُوه بِرَغمٍ أُمَّهاتَكُمُ

لَكنّ بَغْدادَ جَادَ الغَيْثُ سَاكنَها فُعالُهم في قَفا السّقّاءِ تَزْدَحِمُ))[٤٠٨].

فما كان من المتنبي إلاّ أن قال في حاسديه :

((إنْ كانَ سَرَّكَمُ ما قالَ حَاسِدُنا فَما لِجُرْحٍ ــ إذا أرْضَاكُمُ ــ أَلَمُ

وبَيْنَنا ، لَوْ رَعَيْتُم ذَاكَ، مَعْرِفَةٌ إنّ المَعَارِفَ في أهْلِ النُّهى ذِمَمُ))[٤٠٩]

وله قصيدة أخرى في الأمر نفسه :

((أزِلْ حَسَدَ الحُسّادِ عَنّي بِكبْتِهِمْ فأنْتَ الذي صَيّرْتَهُمْ لِيَ حُسّدَا))[٤١٠].

أما حسد اللغويين بعضهم فمنه ما ورد في المزهرمن حسد أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) الخليل بن أحمد ، ونفيه كون العين له ، وزعم أنّ في العين خطأ وخللاً قال : ((إنّ فيه من الخطأ ما لا يذهب على من شدّا شيئاً من النحو أو طالع باباً من الاشتقاق والتصريف))[٤١١]، وأيضاً ما جاء عن الدكتور عبد الله درويش ، من أنّ الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) صاحب كتاب (تهذيب اللغة) كان يتجنّب ذكر الخليل حتى لا يتعرض لذكر العين تحت ٱسمه ، ومثله ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، لكونهما يحسدانه على تفوّقه العلمي وعلى كتابه (العين)[٤١٢] . فلا غرابة إذن في حسد الكسائيّ الكوفيّ وأنصاره ، سيبويه والبصريين ، وما ٱفتعال هزيمة سيبويه إلاّ دليل واضح على ما ذهب إليه الباحث من حسد هؤلاء إيّاه ، وذلك

---

407 - ينظر / الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - تحقيق - محمد محيي الدين عبد الحميد - ط ٢ - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٥٦ ١/ ١٣٧.

408 - المصدر نفسه ١/ ١٣٧.

409 - المصدرنفسه ٢٠٨/١. وينظر/ المتنبي - الديوان - دار صادر - بيروت - ب ت / ٣٣٣ وقبله قوله :

ما كانَ أخْلَقَنا مِنْكُمْ بِتَكرِمَةٍ لَوْ أنّ أمْرَكُمْ مِنْ أمرِنا أمَمُ .

410 - المتنبي - الديوان / ٣٧٢.

411 - السيوطي - المزهر ٨٦/١.

412 - ينظر/درويش : د.عبد الله - المعاجم العربية - مطبعة الرسالة - القاهرة -١٩٥٦ /٥٦.

لتفوّقه العلمي وسعة ثقافته . وحتى لايقبل عليه دارسو العلم في بغداد ، ويشتهر فيها اشتهاراً أكثر وأوسع ، فيذهب بمكانة الكسائيّ وأصحابه لأن مكانة سيبويه العلمية ((لم ترق لبعض خصومه أو حاسديه ممن عاصروه أو جاءوا بعده))[٤١٣]، فدفعهم ذلك إلى مخالفته في المنهج الذي يتبعه .

الخامس :العــامل الاقتصادي

إذ يرى بعض الباحثين ، أن سبب الخلاف دفاع عن أسباب العيش ، وهو أمر قريب إلى الصحة كثيراً ، وبداً ذلك من قصة الكسائيّ مع سيبويه أيضاً ، ولمثل هذا الرأي ذهب الأستاذ سعيد الأفغاني[٤١٤]. ورجّحه السيد كريم سلمان الحمد بقوله: ((الرغبة في تحسين ظروف معيشتهم كان للتقرّب من الحكام منافع أخرى ، فمن حظي بالرضا ينال النعمة ويبتعد عن الفاقة ويحيا حياة مترفة هانئة))[٤١٥]، وما رحيل سيبويه إلى بغداد إلاّ طلباً للجاه والمال في رأي أغلب الباحثين المحدثين ، ومنهم الدكتور المخزومي[٤١٦] والسيد كريم سلمان إذ قال الأخير: ((نجد سيبويه يشخص إلى بغداد طلباً للمنصب والمال فقد كان يرى نفسه أحقّ ُ من غيره ممن ينعمون بتلك الحياة الرغيدة))[٤١٧] .

ولا أنفي أنّ لكلّ إنسانٍ طموحاً في الوصول إلى أعلى الرتب ، والحصول على الثروة والجاه ، لكنّ عاملاً مهماً يجب ذكره هنا ، وهو ثقة سيبويه بنفسه وبالعلم الذي يحمله ، لأنّه عالي الهمّة ، واثق النفس ، وأعلم أهل زمانه[٤١٨]، وصاحب طموح كبير ، أما الكسائي فقد خاف تفوّق سيبويه العلمي ، ولعدم ثقته بنفسه ، لذا فكر في الاحتيال

413- أبو جناح: د. صاحب - من أعلام البصرة سيبويه - دار الحرية للطباعة - بغداد - ٥٧/١٩٧٤.

414- الأفغاني : سعيد - في أصول النحو - ط ٣ - دمشق - ١٩٦٤/ ١٧٦ ، ١٧٧.

415- الحمد : كريم سلمان - مسائل الخلاف النحوية /٨٠.

416- ينظر/ المخزومي : د. مهدي - أعلام في النحو العربي - الموسوعة الصغيرة - بغداد ٢٥/١٩٨٠.

417- الحمد: كريم سلمان- مسائل الخلاف النحوية /٨٠

418- ينظر/ المقري - نفح الطيب ٥/ ٢٢٥.

للتخلص من خصمه القوي ــ وهذا واضح من القصة ــ وليس ممكناً مناقشة هذه القصة بتفصيلاتها ، بقدر ما يهمنا وجود الخلاف النحوي بين العالمينِ .

وقد توصل باحثون آخرون إلى أسباب أخر يرونها أولى بالاهتمام ، من ذلك ما أثبته السيد كريم سلمان، وعزاها إلى أسباب تتعلق بالمادة المدروسة ، وأخرى تتعلق بالبيئة، وثالثة تتعلق بالأسلوب ، ورابعة ذاتية[٤١٩] .

ومن الفروق الواضحة بين المذهبين ، التي أنجلت من خلال التدقيق في مسائل[٤٢٠] الخلاف هي :

١. يؤكد البصريون في أصولهم ومناقشاتهم على الأسلوب المنطقي في معالجة النص اللغوي متأثرين بالفقهاء في إشراكهم العقل والمنطق ، لإثبات آرائهم . أما الكوفيون فيبتعدون عن ذلك كثيراً ، فيأخذون بالرواية والنقل آعتماداً على أسلوبهم في القراءات لأنّ معظمهم من القرّاء .

٢. يقوم منهج البصريين على وضع قواعد لضبط اللغة على وفق نظام دقيق، فأكثروا من القواعد العامة مبتعدين عن الشذوذ إلاّ ما ندر، وليس الأمر كذلك مع الكوفيين ، الذين تسامحوا في وضع قواعدهم ، ولم يعبؤوا بالشاذ المطرد، من ذلك عنايتهم بالآحاد من الأخبار ما ذهب إليه الكسائيّ في منع (جوارٍ) من الصرف فيجرّها بالفتحة ، ودليله قول الفرزدق :

فَلَوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلكِنّ عَبْدَ الله مَوْلَى مَوَالِيا

الشاهد هنا (موالِيا) ، وهذا مخالف للأصول البصرية ، فـ (جوارٍ) منقوص والكسائيّ لا يراها كذلك[٤٢١] .

٣. لايحتج البصريون إلاّ بالشواهد المعروفة والمتداولة كثيراً على الألسنة ، دون النظر في الشواهد مجهولة القائل . أما الكوفيون فيأخذون بكلّ ما يقع بين أيديهم دون تدقيق أو نظر أو عودة إلى رأي العرب المشهور .

---

419 - لمعرفة المزيد ينظر/الحمد - مسائل الخلاف النحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري / ٢١ــ ٨٦.

420 - ينظر / ابن الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف لتلمس هذه الفروق بوضوح .

421 - ينظر/ الأستربادي - شرحه على الكافية ٥٨/١، وينظرالشاهد /البغدادي - خزانة الأدب ٢٣٥/١، وينظر/ سيبويه- الكتاب ٣١٣/٣. ولم أقف على البيت في ديوان الشاعر.

٤. نحاة البصرة يعتمدون على الرأي والعقل ، لتأثرهم بمنهج الفقهاء والفلاسفة في الجدل والوصول إلى الحقيقة عن طريق العقل . أما الكوفيون فأصحاب رواية معتمدين على النقل ، ومن أمثلة اهتمام الكوفيين بالرواية ، اهتمام الفرّاء بسلاسل الإسناد ٱهتماماً كبيراً حتى إنّها شغلت حيّزاً كبيراً في كتابه إذ قال : ((وقد حدثني أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها سُئِلَتْ عن قوله ((إنْ هَذانِ لَسَاحِرانِ))[٤٢٢] ..... فقالت : يا بن أخي هذا كان خطأ من الكاتب))[٤٢٣]. ولا يؤيد الباحث هذه الرواية لأنّ كلام الله محفوظ عند عزيز جليل ، وأيضاً محفوظ في صدور الثقاة .

٥-اعتماد الكوفيين على القراءات في تأصيل منهجهم ، وتسجيل أفكارهم ، وهذا منهج جديد لكونه يعتمد على التقسيم الصوتي ، من ذلك حذف الكسائيّ (الهاء) في الوصل وإثباته إيّاها في الوقف عند قراءته قوله تعالى ((فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ))[٤٢٤] ، وقرأها ابن عامر بكسر الهاء مشبعة وغيره بالسكون[٤٢٥] . أما البصريون فلا يعتمدون كُليّاً على القراءات .

وبعد هذا العرض الموجز للفرق بين المذهبين الكبيرين برزت فوائد من خلال مسائل الخلاف أيضاً ، التي أدت إلى تطور النحو ، وهي مهمة لكونها تشكل مرحلة واضحة في طريق تطور النحو العربي ، ومن هذه الفوائد :

١- نقلت الخلافات النحو العربي من محيط الآراء ، والرواية والنقل إلى محيط جديد يقوم على المناقشة والجدل ، ورد هذا الرأي برأي آخر غيره ، وهذا يشكل علامة واضحة من علامات تطور النحو . قال الدكتور فتحي الدجني : ((إنّنا نجد في هذه

---

422 - طه - من الآية / ٦٣.

423 - الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) - معاني القرآن - تحقيق - د. محمد علي النجار وآخرين - القاهرة ١٩٨٠ ١/ ١٠٦.

424 - الأنعام - من الآية / ٩٠.

425 - ينظر / الطبرسي - مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٣١/٤. والأنصاري : د. أحمد مكي - نظرية النحو القرآني - ط ١ ١٤٠٥ هـ / ١١٩.

الدائرة ـ يقصد دائرة الخلاف ـ دليلاً جديداً على تطور النحو العربي وٱنتقاله من باب الرواية والنقل إلى باب المناقشة وإبداء الرأي))[٤٢٦].

٢- أخرجت مسائل الخلاف النحو العربي من الاتفاق على منهج ثابت في الأخذ عن المشهور من كلام العرب إلى الأخذ بالقليل النادر من كلامهم . ومناقشة هذا المنقول، فٱنتقل النحو من خلال ذلك إلى أساس جديد جعل التفكير يتحول إلى نقاش ، ومقابلة الرأي بنقيضه في سبيل إثبات الصائب منها لصياغة قاعدة نحوية صحيحة .

٣- قال الدكتور مصطفى السقا : ((لقد كسبت العربية من وراء ذلك الحجاج والنقاش ٱحتجاجات لطيفة ودراسات حفية ٱنتفع بها المؤلفون في كتبهم لتبيّن الفروق بين المذهبين))[٤٢٧]. والباحث يؤيد هذا الرأي ، إذ كسبت العربية ـ فعلاً ـ دراسات حفية ، وقيمة أرخت لمرحلة مهمة من مراحل تطور النحو العربي.

٤- أفاد الخلاف بين المذهبين الدراسات الحديثة كثيراً ، ولا سيما في مجال تيسير النحو ، إذ ((بدأ بعض الباحثين ممن صنفوا في النحو حديثاً ، الأخذ ببعض آراء الكوفيين في بعض المسائل تيسيراً للنحو ، وتخليصاً له من التقديرات والتأويلات والآراء التي لا طائل تحتها))[٤٢٨] .

---

426 - الدجني : د. فتحي عبد الفتاح - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي - ط ١- الكويت ١٣٣/١٩٧٤.

427 - المخزومي - في النحو العربي نقد وتوجيه / ٦ أثناء تقديمه للكتاب .

428 - إبراهيم : د. محيي الدين توفيق - ابن الأنباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين - الموصل - ٢٩٧/١٩٧٩.

المبحث الثاني

ظهور المذاهب النحوية

بعدما عرض البحث للنحو من جوانبه المهمة من حيث (تعريفه ، ونشأته ، وعلماؤه .... ألخ) واجهتني مصطلحات أثناء البحث ، كالمذاهب النحوية ، والمذهب البصري ، والمذهب الكوفي ، والمدرسة البصرية ، أو المدرسة الكوفية ... لذا صار لازماً عليَّ، أن أعطي أهمية لتعرّ ُف هذه المصطلحات من خلال تتبع ما ورد عن أقدم المصادر ، التي ترجمت ، أو أرخت للنحو والنحاة ، ثمّ المعاصر من المراجع التي تناولت هذا الأمر.

مذهب أم مدرسة ؟

من خلال متابعة جليّ الأمر عند مؤرخي العربية ، وجد تُ أن أكثرهم يقول بنسبة هذا العالم أو ذاك إلى بلد النشأة أو الولادة . أو يذكر فضل أهل البلد في القِدَم ، فهذا ابن سلام الجمحي يعطي القدم بمعرفة النحو لأهل البصرة ، قال : ((وكان لأهل البصرة في العربية قِدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية))[٤٢٩]. ولم يقل

[429] - الجمحي - طبقات فحول الشعراء ١٢/١.

بكلمة (مذهب أو مدرسة) إنما نسب إلى البلد فقال : (لأهل البصرة) . ومثله أبو نصر الفارابي (ت ٣٥٠ هـ) ، كان ينسب لأهل البصرة قال : ((والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علماً وصناعة هم أهل البصرة ....))[٤٣٠]. ويعني الفارابي ، أنّ أهل البصرة أخذوا اللغة عن الأعراب في البادية ، وصيروها عِلماً وصناعة ويقصد النحو . وهو ينسب هذا العمل للبلد أيضاً . ثُمّ جاء أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ولم يصرح بكلمة (مذهب أو مدرسة) إنما نسب إلى البصرة ، والى الكوفة مبتدئاً بالبصريين لكون النحو نشأ أولاً في البصرة ، قال : ((وأما من ذكرنا من علماء البصرة فرؤوساء علماء معظمون ..... وإنما أهل الكوفة يكابرون .....))[٤٣١]. أما أبو سعيد السيرافي في كتابه (أخبار النحويين البصريين)[٤٣٢] فقد جعله عن نحاة البصرة دون غيرهم، ناسباً إيّاهم إلى البلد (البصرة) كما يتضح من العنوان. وذهب الزّ ُبيديّ (ت ٣٧٩ هـ) في طبقاته في الاتجاه نفسه في نسبة النحاة إلى بلد النشأة ، وٱبتدأ طبقاته بالبصريين ، إلا أنه قال بكلمة (مذهب) في ترجمته لأبي موسى الحامض (ت ٣٠٥ هـ)[٤٣٣] ، إذْ قال : ((كان بارعاً في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين))[٤٣٤] . وقسّم ابن النديم (ت ٣٨٠هـ) النحويين واللغويين ثلاثة فنون ، مبتدئاً بأهل البصرة ، ثُمّ الكوفة ، وقد صرّح بكلمة (مذهب) حينما أرّخ في الفن الثالث من المقالة الثانية : ((أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلطوا المذهبين))[٤٣٥]. وقال في موضع آخر : ((إنما قدّمنا البصريين أولاً ، لأنّ علم العربية عنهم أخذ ، ولأنّ البصرة أقدم بناءً من الكوفة))[٤٣٦]. فكان باديء الأمر يُنسب العلماء إلى بلدانهم التي ولدوا فيها ، أو نشأوا ، ثُمّ

---

430 - نقلاً عن / حسن : عباس - صريح الرأي في النحو العربي - مجلة رسالة الإسلام- دار التقريب الإسلامي - القاهرة - السنة التاسعة - العدد الرابع - ١٩٥٧ / ٣٩١.

431 - أبوالطيب اللغوي - مراتب النحويين / ٢٦.

432 - أشار إليه البحث في هوامشه ص ١٧ .

433 - أبو موسى سليمان بن محمد الحامض . من أصحاب ثعلب ، أخذ النحو عن البصريين له كتاب مختصر في النحو ، ويوصف بحسن المذهب . ينظر /ابن النديم - الفهرست /١٢٦.

434 - الزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين /١٧٠.

435 - ابن النديم - الفهرست /١٢٣.

436 - المصدر نفسه / ١٠٢

ظهرت تسمية (مذهب) عرضاً ، وليس تأكيد القول بها. حتى تصبح لفظة توازي غيرها ، كالتيمن بالمذاهب الإسلامية مثلاً . لكنّ أبا البركات الأنبا ري في الانصاف ، آنطلق مُصرّحاً بهذا المصطلح على غرار المذاهب الفقهية المعروفة . إذْ قال : ((وذكرتُ من مذهب كلّ فريق ما آعتمَدَ عليه أهل التحقيق ، وآعتمَدْتُ في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الانصاف ، لا التعصب والإسراف ....))[٤٣٧]. ومما تقدّم يتضح أنّ مؤرخي النحو العربي ، وكتّاب الطبقات كانوا في بداية الأمر ينسبون النحويين إلى البلد ، وظهرت كلمة (مذهب) باديء الأمر عند الزّ ُبيدي ـ كما مرت الإشارة إليه ـ ثُمّ ابن النديم ، عرضاً .

أما الأنبا ري في الانصاف ، فجعلها لفظة توازي لفظة (مذهب) الفقهية المعروفة ، كالمذهب المالكي ، والمذهب الحنفي ... وقد تبعهم من المحدثين الدكتور عبده الراجحي في كتابه (المذاهب النحوية)[٤٣٨] إذْ أسس الموازنة بين المذاهب النحوية على غرار المذاهب الفقهية . حتى جاء أخيراً مصطلح (المدرسة النحوية أو المدارس النحوية) . وأغلب الظّنّ أن الدكتور مهدي المخزومي (رحمه الله) قد تبنى هذه التسمية في أطروحته ، كما تقول الدكتورة خديجة الحديثي : ((ولعلّ الدكتور مهدي المخزومي أول من تبنى هذه التسمية فَسمّى أحد كتبه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)))[٤٣٩] وقد آنطلقت الدكتورة الحديثي في الرأي آعتماداً على قول الدكتور المخزومي بلفظ (مدرسة) عند كلامه على الكسائي ، إذْ قال : ((إنَّ الكسائي بمنهجه وأساليب دراسته مدرسة لها خصائصها ومميزاتها ، فليست المدرسة إلا أستاذا مؤثراً وتلاميذ متأثرين وقد اجتمعوا على تحقيق غرض واحد ونهجوا للوصول إليه منهجاً واحداً))[٤٤٠]. ثُمّ توالت بعده الأقوال بهذا المصطلح فكثيرون مَنْ سمّوا كتبهم بآسم (مدرسة أو مدارس) . فهذا الدكتور شوقي ضيف

---

437 - الأنباري - الإنصاف ١/٥.

438 - الراجحي : د. عبده - المذاهب النحوية - القاهرة - ١٩٨٠.

439 - الحديثي : د. خديجة - المدارس النحوية - بغداد - ١٩٨١/ ١٥.

440 - المخزومي : د. مهدي - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو- القاهرة ١٩٥٨/١٢٩.

سمّى أحد كتبه (المدارس النحوية)[٤٤١] ، والدكتور عبد الرحمن السيد في كتابه (مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطوّرها)[٤٤٢]، والدكتور عبد المتعال سالم مكرم في كتابه (المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة)[٤٤٣]، والدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (المدارس النحوية)[٤٤٤] ، ثُمّ جاء الدكتور محمود حسني في كتابه الموسوم (المدرسة البغدادية)[٤٤٥]. وقد آستقصت الدكتورة الحديثي في كتابها (المدارس النحوية) تأريخ ظهور مصطلح (مدرسة) حتى أوفت الموضوع حقّه ، وأشبعته دراسة وتعمقاً[٤٤٦].

وأرى الأوْلى بنا القول بمصطلح (المذهب النحوي) مقابلاً لـ (المذهب الفقهي)، والقول بـ (مذهب) يجعل التسمية أكثر هيبة ، وأشد قوة ، لكون المذهب هو الطريقة المتبعة في القول والعمل ، وهذا ديدن النحاة، يأخذون النحو واحداً عن الآخر مُقلّداً المنهج نفسه ، وقد يخالف في الرأي بعض المسائل أحياناً ، أو يأتي بجديد، أو إيراد حجة قائمة [٤٤٧].

أما مصطلح (مدرسة) فيعني ((مجموعة النحاة الذين كونوا درساً نحوياً في بيئة معينة ، سواء أضمهم منهج موحد خاص بهم له أسسه وأصوله وقواعده المعروفة المستقلة أم كان مبنياً على منهج مَنْ سبقهم إلاّ أنهم استقروا في بيئة أخرى وتأثروا بظروف البيئة الجديدة بعض التأثير))[٤٤٨] . ويوجب وجود هذه التسمية ممارسة مجموعة من الأفكار والمفاهيم المتفق عليها ، فيأخذها طلاب العلم على وفق قوانين ثابتة ومنهج معين .

عـدد المدارس النحوية

---

441 - طبعة دار المعارف - مصر ١٩٦٨.
442 - طبعة دار المعارف - مصر ١٩٦٨ .
443 - طبعة دار الشروق - القاهرة - ط ١ ١٩٨٠ .
444 - طبعة بغداد ١٩٨١.
445 - أشار إليه البحث في هوامشه ص ٩٧ .
446 - ينظر/ الحديثي - المدارس النحوية /١٥ـ ٣٠.
447 - ينظر/ الجرجاني - التعريفات / ١٨٣. ورد تعريف (المذهب الكلامي) بأنه ((يورد الحجة للمطلوب.....)).
448 - الحديثي - المدارس النحوية / ١٥، ١٦.

اختلف الباحثون في عدد هذه المدارس فمنهم من قال ، إنها مدرستانِ ، ومنهم من قال إنّها ثلاث مدارس ، ومنهم من قال إنّها خمسة مدارس نحوية .

إذ أثبت الدكتور المخزومي وجود مدرستين نحويتين هما (البصرية والكوفية)[٤٤٩]، أما كارل بروكلمان فقد أشار إلى وجود ثلاث مدارس نحوية حين قال : ((وقد قسّم علماء العربية مذاهب النحاة إلى ثلاث مدارس : البصريون والكوفيون ومن مزجوا بين المذهبين من علماء بغداد))[٤٥٠] . وقد جعلها الدكتور شوقي ضيف خمس مدارس في كتابه (المدارس النحوية) إذ قسّم كتابه ثلاثة أقسام الأول خص المدرسة البصرية ، والثاني تناول المدرسة الكوفية ، أما القسم الثالث فتناول فيه مدارس بغداد ، والأندلس ، ومصر[٤٥١] . ولا أودُ الدخول في عدد المدارس ، والجدل بشأن هذا الأمر بقدر ما يهم البحث ، نشوؤها وأهمية ذلك في إثبات تطور النحو العربي .

نبذة عن المدارس النحوية

سيقف البحث عند أهم المذاهب النحوية (البصرة والكوفة) لكونهما أكثر المذاهب شهرة ، ويعود لهما الفضل في تأسيس أصول النحو العربي ، ثُمّ يشير إلى النحو في بغداد ، ومصر ، والأندلس ، من دون التعمق فيه لكونه انبثق عن النحو البصري والكوفي . إذ لا يستطيع دارس أو مؤرخ تجاهل ، أو تخطي دورهاتين المدينتين ، فكلتاهما تسيران معاً في هذا الأمر لأنَّه ((من العجيب في أمر البصرة إنها ما تكاد تذكر حتى تذكر إلى جانبها مدينة تكاد تكون توأماً لها ... تلك هي مدينة الكوفة))[٤٥٢] . لهذا سيعطي البحث أهمية لنحو هاتين المدينتين .

النحو البصري

449 - ينظر/ المخزومي - مدرسة الكوفة / ٨٩ـ ٩٠ ، والمخزومي - الدرس النحوي في بغداد - ط١ - بغداد - ١٩٧٤ / ٥ .

450 - بروكلمان - تاريخ الأدب العربي - ترجمة - د . عبد الحليم النجار - دار المعارف - مصر - ١٩٦١ ٢/ ١٢٤ .

3 - ينظر/ ضيف - المدارس النحوية / ٩، ١٥١ ، ٢٤٥ ، ٢٨٨ ، ٣٢٧ .

452 - السعيدي : د. جاسم محسن - الدراسات النحوية واللغوية في البصرة ومنهجها التعليمي - بغداد – ١٩٧٣/ ١٥.

نشأ النحو بصرياً لأسباب غايتها تقويم اللسان العربي ، الذي أفسده الاختلاط العربي بالأقوام الأخرى . إذ ((لم يكن الخطر كبيراً في أيّة بيئة إسلامية جديدة ، كما كان في البصرة حيث السواد من سكانها نبط ، وعجم، وهنود ، وحيث صراع اللغات عنيف بها ، حيث تكاد تكون لكل قبيلة عربية لهجة خاصة))[٤٥٣] . فأدى هذا الامتزاج لأمر حميد ، جعل العرب ينتبهون إلى لغتهم ويحرصون عليها ، فكان النحو أداة لتقويم اللسان أول ظهوره ، ثُمّ ما لبث حتى تحوّل في مدة وجيزة إلى مادة علمية دقيقة تقوم على القياس والتعليل . قال الدكتور إبراهيم السامرائي : ((في هذه الفترة القصيرة انتقل النحو من مادة كان الغرض منها تقويم اللسان والقلم إلى علم آخر يفيد من القياس ويستعمل التعليل))[٤٥٤]. وهذا التطور في النحو لم يأتِ من جمود بل تواكب على ترسيخه ، وتأصيل قواعده رجال آمنوا بهذا العلم وأهميته بعد عصر أبي الأسود الدؤلي منهم ، نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ) : ((كان أستاذاً في القراءة والنحو))[٤٥٥]، وعنبسة بن معدان (ت ١٠٠ هـ) ، ثُم جاءت مهمة المُطَوّرين بعد هؤلاء النخبة من تلاميذهم . فقد برز صاحب القياس، ورائده عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) ، الذي قال فيه ابن سلاّم : ((أول من بعج النحو ومَدّ القياس وشرح العلل عبد الله بن أبي إسحاق...))[٤٥٦] ، ومن قياسه اعتراضه على رفع الفرزدق (ت ١١٠هـ) كلمة (مجلّف) في البيت :

((وعَضَّ زَمَانٍ يا بنَ مَرْوانَ لَمْ يَدَعْ
مِنَ المَالِ إلاّ مُسْحَتاً أوْ مُجَلَّفُ))[٤٥٧]

---

453 - زكي : د. أحمد كمال - الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري - دار المعرف – مصر – ١٩٧١ / ١٦٢.

454 - السامرائي - النحو العربي نقد وبناء / ١٦ .

455 - السيوطي - بغية الوعاة ٢/ ٣١٣.

456 - الجمحي - طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤ .

457 - الفرزدق : شرح ديوان الفرزدق - جمع وتعليق - عبد الله إسماعيل الصاوي - القاهرة – ١٩٣٦ – ٢٦/٢ .

وكذلك على جرّه كلمة (مُخَّها رِيرُ) في البيت :

((على عَمائِمِنا يُلْقى ، وَأرْحُلِنا

على زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخّها رِيرِ))[٤٥٨]

والقياس الذي يراه الحضرمي من ملاحظة كلام العرب ، رفع كلمة (رِيرُ) على أنّها خبر لمبتدأ قبلها[٤٥٩]. وتعليله الرفع في كلمة (مُجَلّف) بأنه أراد المعنى دون اللفظ[٤٦٠] . ومن علمائها أيضاً عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، وأبوعمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ثُمّ الخليل بن أحمد الذي ((فاق مَنْ قبله ولم يدركه أحد بعده ...))[٤٦١]، وأخذ النحو عنه سيبويه ، الذي جمع علوم شيوخه وآرائهم النحوية ، ونسّقها في كتابه المعروف ، وزاد فيها آراءه ، مقتفياً أثر السابقين له في الأصول ، وكثير من المسائل النحوية [٤٦٢] .

من هنا يبدو أنّ سلسلة النحاة مرتبطة مع بعضها يأخذ بعضها عن بعضها الآخر ، حتى صار لها منهج واضح ، ومعروف يشار إليه .

وقد تميَّز النحو في البصرة بميزات نابعة من مراحل التدرج التي مَرّ بها ، التي برزت من خلال منهج النحاة البصريين ، الذين بذلوا جهوداً كبيرة في تأصيل النحو ، وتقعيده ، فآتضحت خصائص النحو البصري في ضوء ما يأتي :

١. اعتمادهم على السماع ، فقد تفانى علماء النحو واللغة الأوائل في سبيل سماع كلام العرب ، وتدوين ما يسمعون ، وقد تجسّد ذلك بالخروج إلى البادية في تهامة والحجاز ، والمناطق المجاورة للبصرة ، ولاسيما المناطق الآهلة بالعرب ، أو القبائل العربية المعروفة بلغتها . ولهذا آفتخر البصريون إذ قالوا : ((نحن نأخذ اللغة عن حُرَشَة الضباب ، وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء، أخذوا اللغة عن أهل السواد....))[٤٦٣]،

---

458 - المصدر نفسه ٢١٣/١ .

459 - ينظر /السيرافي - أخبار النحويين البصريين /٢٦ ، والزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين / ٣١ ، و الحديثي - المدارس النحوية / ٦٨ .

460 - ينظر الجمحي - طبقات فحول الشعراء ١٢/١ ، والحديثي - المدارس النحوية / ٦٩ .

461 - السيوطي - الاقتراح / ١١٥ .

462 - ينظر/ البكاء - منهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه / ٥٤ وما بعدها .

463 - السيرافي - أخبار النحويين البصريين / ٩٠ ، وينظر/ السيوطي - الاقتراح / ١١٤ .

شُرِحت معانيه في ص ٩٨ من هذا الفصل .

وقد كان السماع لكلام العرب ، وتقصيه ديدن أوائل النحاة ، فرحلوا في طلبه وتدوينه ، ولهذا ((كان السعي إلى الاستدلال بكلام العرب هو الداعي الذي دعا رواة اللغة للرحلة إلى الصحراء، ويقولون إنّ الاستماع إلى العرب الوافدين على الحاضرة قد بدأ في وقت مبكر عن بدء الرحلة إلى الصحراء ، وينسبون قوماً إلى هذا الاستماع منهم الشعبي (ت ١٠٥ هـ) ، والحضرمي (ت ١١٧ هـ) .... وعيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) ، وأبوعمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وسائر متقدمي الرواة))[٤٦٤]. وأنّ ((جُلّ ما عُني به البصريون في الأخذ عن الأعراب في الحواضر أو حين رحلوا إليهم في بواديهم كان اللغة ، واستعمال الكلمة ودلالة الكلمة ...))[٤٦٥]، وكذلك فعل الخليل .فكان آشتراط البصريين في المسموع الكثرة حتى يستحق الاهتمام والإجلال . فيأخذون ، ويستندون في أحكامهم إليه ((قالوا : إنّ كلام العرب نوعان : نوع مؤتلف متشابه بينهم في معظم قبائلهم يجري على ألسنتهم موحّداً في مفرداته ، وتراكيبه ، واستعمالاته ، وهو كثير : كضم أول المضارع الرباعي ، ورفع الفاعل ، وجرّ المضاف إليه ، وصوغ فَعّال للمبالغة ، وبناء مَفْعَل للزمان أو المكان ، وصوغ المصدر وباقي المشتقات وغيرها ، وكحاجة الفعل إلى فاعل ، والمبتدأ إلى خبر ، والناسخ إلى معمولين ، والظرف إلى متعلق ، وكآصطناع أسلوب خاص في التعجب ، وآخر في المدح ، أو الذم ، أو التفضيل ، أو الاستثناء ، أو الاستغاثة ، أو.... أو ...

ونوع آخر قليل يخالف ما سبق ، ولا يأتلف معه ، بل يخرج عليه في ناحية أو أكثر من النواحي السابقة ، كأن يحالفه في صوغ مفرده ، أو ضبط آخره ، أو في تكوين تركيبه ، أو في طريقة استعماله ... فإذا كان النوع الأول يضم فاتحة المضارع ، ويبني مَفْعَلاً للزمان والمكان ، ويصطنع نحو : (أنتَ أعْدَلُ النّاسِ) للتفضيل ، فإنّ النوع الثاني قد يخالفه فيكسر أول المضارع ويجعل (مَفْعَلاً) للآلة ، ويُخْرِجُ (أفْعَل) التفضيل عن ميدان التفضيل .

---

464 - حسان - الأصول / ١٠٢.

465 - السامرائي : د. إبراهيم - العربية بين أمسها وحاضرها - بغداد - ١٩٧٨/ ٢٣.

والأول عندهم هو الذي تجوز محاكاته ، واتباع طرائقه بأتفاق النحاة ، والثاني لاتجوز في رأي الكثير منهم))[٤٦٦] .

٢- اعتمادهم على القياس على ما سمعوه من كلام العرب ، بعد أن أستقصى النحاة واللغويون ما سمعوه من الكلام العربي ، فضلاً عن كلام الله المسموع من رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يُعَدّ في القوة والرصانة مما لا يدانيه غيره ، فهو الذي نزل ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبَيْنٍ))[٤٦٧] ، وكلام العرب الذي دونوه عن طريق السماع . وصار عندهم الأساس الأول في قياسهم للقواعد النحوية التي أصّلوها ، لذلك قيل : ((إنّما النحو قياس يتبع))[٤٦٨] . ووضعوا القواعد والقوانين التي لاخروج عنها ، التي وصلوا إليها عن طريق القياس .

فالنحو أساسه القياس ، وربطوا إثبات النحو بثبات القياس وبقائه . قال ابن الأنباري : ((اعلم أنّ إنكار القياس في النحو لايتحقق لأن النحو كُلّه قياس ، ولهذا قيل في حدّه ، النحو علم بالمقاييس المستنبطة من أستقراء كلام العرب ، فمَنْ أنكر القياس فقد أنكر النحو .....))[٤٦٩] .

وقد اعتقد النحويون أنّ قوة القياس ، ربما كان مَقيساً على كلام العرب ، قال ابن جني : ((وأعلم أنّ من قوة القياس عندهم اعتقاد النحويين أنّ ما قيس على كلام العرب ، فهو عندهم من كلام العرب ، نحو قولك في قوله : كيف تبني مِنْ ضَرَبَ مثل جَعْفَرَ ، ضَرْبٍ من كلام العرب ....))[٤٧٠] . والقياس ((هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه))[٤٧١] . ويجعل البصريون القياس ركناً مهماً في استخراج أحكامهم ، وبناء عللهم . ومن أشهر البصريين في القياس عبد الله بن أبي

---

466 - حسن : عباس - صريح الرأي في النحو العربي (داؤه ودواؤه) - مجلة رسالة الإسلام - العدد الثالث - السنة العاشرة - ١٩٥٨ / ٢٧٤.

467 - الشعراء- الآية / ١٩٥.

468 - السيوطي - الاقتراح / ٥٩.

469 - السيوطي - الاقتراح / ٥٩.

470 - ابن جني - الخصائص ١١٥/١.

471 - االسيوطي - الاقتراح / ٥٩ .

إسحاق الحضرمي ، والخليل ومن تبعهم وسار على منهجهم ، كأبي العباس المبرد ، وأبي الفتح ابن جني الذي أشبع هذا الموضوع عناية وتفصيلاً[٤٧٢] .

ومما ورد من القياس والتعليل عند سيبويه في اتباعه كلام العرب في مجيء (أيّ) و(خمسة عشر) مبنيين ، قال : ((وأرى قولهم : اضْرِبْ أيُّهم أفضلُ على أنهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في خمسة عشر ، وبمنزلة الفتحة في الآن ، حتى قالوا من الآن إلى غدٍ))[٤٧٣] ، وقال في موضع آخر : ((اعلم أنّ العرب تدع خمسة عشر في الإضافة والألف واللام على حال واحدة كما تقول : اضْرِب أيُّهم أفْضَلُ ، وكالآن ، وذلك لكثرتها في الكلام وأنّها نكرة فلا تتغير))[٤٧٤] .

ومن القياس ما رواه ابن حني من فتح آخر المضارع بعد (لم) الجازمة في قول الشاعر:

((مِنْ أيِّ يَوْمَيَّ مِنَ المَوْتِ أفِرّْ أيَوْمَ لم يُقْدَرَ أمْ يَوْمَ قُدِرْ))[٤٧٥]

وقد رفض ابن جني رأي البصريين الذين يقولون بضرورة الفتح لمناسبة نون التوكيد الخفيفة ، أما ابن جني فيرى أنّ الفتحة جاءت هنا و ظهرت بسبب مجاورة الراء في (يقدر) للهمزة في (أم)[٤٧٦] . وروى أبو زيد (ت ٢١٥هـ) أيضاً من فتح آخر المضارع بعد الجزم في رأي أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) في قول الشاعر:

((وَيْهاً فِدَاءً لَكَ يا فُضَالَهْ أجِرِّهِ الرّْمْحَ ولا تُهالَهْ

إذ جاء المضارع (تهاله) مفتوح اللام ، وقد أراد النون الخفيفة فحذفها))[٤٧٧] .

النحو الكوفي

---

472 - ينظر/ ابن جني - الخصائص ٤٨/١ ، ١٦٦. وهناك صفحات أُخر .

473 - سيبويه - الكتاب ٤٠٠/٢ .

474 - المصدر نفسه ٤٠٤/٢.

475 - ورد البيت في / الأنصاري : أبي زيد (ت٢١٥هـ) - النوادر في اللغة - تحقيق- د. محمد عبد القادر أحمد - دار الشروق - بيروت ١٩٨١/ ١٦٤، وقيل إنّ البيت لأمير المؤمنين علي(ع) في/ البغدادي - خزانة الأدب ٥٨٩/٤.

476 - ينظرالتفصيلات في/ ابن جني - الخصائص٩٦/٣، وابن جني - سر صناعة الإعراب ٨٥/١ .

477 - الأنصاري - النوادر في اللغة / ١٦٣،١٦٤، وينظر/ ابن جني - سر صناعة الإعراب ١/ ٩٢.

بعد أن آستقر النحو بأركانه الثابتة ، وأقيسته الواسعة ، كثر طلابه ، ودارسوه لكونه يمسّ صلب حياتهم ، ويدخل في جوهر دينهم ، لهذا انتشر في الحواضر الإسلامية ، وأُولى هذه الحواضر تلقفاً إيّاه الكوفة ، التي عَرَفته منتصف القرن الثاني الهجري بإجماع المصادر العربية [٤٧٨] .

ومن خلال حياة أئمة النحو الكوفي أنفسهم ، يجد المتتبع النحو الكوفي متأخراً عن النحو البصري كثيراً بل أن النحو وفد إليها من البصرة . قال الدكتور المخزومي : ((فالنحو إذن لم ينشأ في الكوفة ، إنما وفد عليها من البصرة ، ونشره فيها البصريون جاءوا إلى الكوفة ، وآستوطنوها ، والكوفيون رجعوا من البصرة بعدما تتلمذوا لشيوخها لينشروا بين الدارسين ما تعلموه هناك ....))[٤٧٩] . ويقال إنّ أبا جعفر الرواسي (ت ١٨٧ هـ) أخذ النحو عن البصريين ونقله إلى الكوفة [٤٨٠] . وقال السيوطي ((وممن أخذ عن أبي عمرو أبو جعفر الرواسي عالم أهل الكوفة ولم يُناظر هؤلاء الذين ذكرنا ولا قريباً منهم))[٤٨١] . فتتلمذ على يده الكسائي الذي يَعِدّهُ أصحاب المدارس النحوية مؤسس النحو الكوفي المخالف البصريين[٤٨٢] . وتعزيزاً لموقف البحث ، أرى ضرورة الإشارة إلى حياة بعض نحاة الكوفة ومنهم :

أولاً : الكســـــــائي (ت ١٨٩ هـ)[٤٨٣]

هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، من قرّاء الكوفة ، والمهتمين بعلوم اللغة والقرآن الكريم ((كانت عناية الكسائي بالقرآن ، وآعتداده بالقراءات منطلقاً للآراء التي صدرت عنه مخالفاً البصريين الذين أرجعوا القراءات إلى النحو ، وحكّموا قواعدهم الموضوعة فيها))[٤٨٤] . أخذ علمه عن الرواسي ، وحضر مجالس

---

478 - ينظر/ الطنطاوي - نشأة النحو / ٢٧ أطوار نشأة النحو ، والمخزومي - مدرسة الكوفة / ٣٩.

479 - المخزومي - مدرسة الكوفة / ٥٧، ٥٨ .

480 - ينظر/الزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين / ١٣٥ ، وابن النديم - الفهرست/١٠٢ .

481 - السيوطي - المزهر ٤٠٠/٢ .

482 - ينظر/ المخزومي - مدرسة الكوفة /٩٥،و ضيف - المدارس النحوية/٥٤ ، والحديثي المدارس النحوية / ١٨١ ، والمخزومي - الدرس النحوي في بغداد / ١٦ .

483 ترجمته في/ أبوالطيب اللغوي - مراتب النحويين/٧٤، وابن النديم - الفهرست/ ١٠٣.

484 - المخزومي - الدرس النحوي في بغداد / ١٨ .

الدرس في البصرة عند الخليل ، وقرأ الكتاب على الأخفش (ت ١٧٧ هـ). واهتم الكسائي بتتبع اللغة من الأعراب ، فرحل إلى البادية في نجد والحجاز ، ومكث بين أبنائها يسمع منهم ويشافههم، ويدون ما يسمع منهم ، حتى حفظ عنهم الكثير[٤٨٥] .

آبتكر الكسائي منهجاً خالف به منهج البصريين ، اعتمد فيه على إيحاءاته من القراءات المستندة للرواية ، والمبتعدة عن تحكُّم العقل والمنطق في إيراد الحكم كما يفعل البصريون .

أخذ النحو عنه علي بن المبارك الأحمر (ت ١٩٤ هـ)، والفرّاء (ت ٢٠٧ هـ). فأصبح للنحو منهج جديد يختلف عمّا عُرِف عليه أول مرة سُمي فيما بعد بالدرس الكوفي ـ أي المذهب الكوفي ـ ، وأشهر مخالفاته البصريين، ما برز أثناء المسألة الزُنبورية الشهيرة بينه وبين سيبويه البصري ، وما جرى بعدها [٤٨٦].

ومن آرائه مجيء (لا) النافية زائدة بعد (إذا) كما في قوله تعالى : ((ومَا يُشْعِرُكم أنّها إذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُوْنَ))[٤٨٧]. قال الكسائي (((لا) هنا زائدة والمعنى وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون))[٤٨٨] و(لا) عند البصريين لا تكون زائدة .

وللكسائي رأي في إعمال (اسم الفاعل) خالف فيه البصريين ، إذ أجاز اعماله إنْ كان بمعنى الماضي ، وآستدل بقوله تعالى : ((وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيْد))[٤٨٩] ، والبصريون يقولون بإعماله إذا دَلّ على الحال والآستقبال ، وما مجيئه هنا إلاّ على حكاية الحال [٤٩٠]. وهذا أكثر قبولاً من رأي الكسائي .

ثانياً : الفـــــــرّاء (ت ٢٠٧ هـ)[٤٩١]

---

485 - المصدر نفسه / ١٦ وما بعدها .

486 - ينظر/ الزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين / ٦٨ ، ٦٩ . أشار البحث للمسألة الزنبورية في ص ٩٩.

487 - الأنعام - من الآية /١٠٩ .

488 - النحاس (ت ٣٣٨ هـ)- معاني القرآن - تحقيق- الشيخ محمد علي الصابوني - مكة المكرمة ١٩٨٨ ٢/ ٤٧٣.

489 - الكهف- من الآية /١٨.

490 - ينظر / ابن هشام - شرح قطر الندى وبل الصدى / ٢٩٦ ــ ٢٩٨ .

491 - ينظرترجمته / السيوطي - بغية الوعاة ٣٣٣/٢ ، وابن النديم - الفهرست /١٠٥ ، والزُبيدي - طبقات النحويين واللغويين /١٤٣.

هو أبو زكريا الفرّاء يحيى بن زياد بن عبد الله ، أخذ النحو عن الكسائي ، كما أخذه عن البصريين أيضاً . إذ اتصل بيونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) ، لكونه يعلم أنّ النحو أساسه البصريون ، ((ولم يكن الفرّاء ليجهل ما كان الدارسون يخوضون فيه في الكوفة والبصرة ، وكان فيه ما في الدارسين النابهين من طموح إلى الوقوف على ما كان في البصرة والأخذ عن أعلام الدرس فيها ... واتصل بيونس بن حبيب وأخذ عنه ....))[٤٩٢]. وعلى الرغم من هذا ، فقد خالف البصريين في منهجهم متبعاً شيخه الكسائي ، معتمداً على الرواية والقراءات في دراسة النحو. وعلى الرغم من مخالفته منهج البصريين إلا أن أثرهم كان واضحاً فيه أكثر مما تركه الكسائي فيه ، وقد أشار الدكتور الأنصاري إلى ذلك في دراسته عنه ، ثُمّ جعله مؤسساً لمذهب جديد في النحو[٤٩٣]. ومن أهم آثاره (معاني القرآن) الذي تواكب على دراسته وتحقيقه نخبة خيرة من المحققين ، لأهمية الكتاب وغزارة مادته[٤٩٤].

وقد تزعّم رياسة النحو بعد الكسائي ، وأصبحت له منزلة مهمة بين النحاة ، وقيل : ((وما نحو الكوفيين إلاّ نحو الفرّاء))[٤٩٥]. أخذ عنه النحو سَلَمة بن عاصم (ت ٢٧٠ هـ) ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ). كان يعتمد على لغات العرب في تفسير بعض المعاني من ذلك مثلاً ، في معنى (ٱشتروا) في قوله تعالى : ((بِئْسَمَا ٱشْتَرُوا به أَنْفُسَهُمْ))[٤٩٦]، قال الفرّاء: ((وللعرب في شَرَوا وٱشْتَرُوا مذهبان ، فالأكثر منهما أن يكون شَرُوا : باعوا وٱشتروا : ٱبْتَاعُوا ، وربما جعلوهما جميعاً في معنى باعوا وكذلك البيع، يقال : بِعْتُ الثَّوْبَ ، على معنى أَخْرَجْتُهُ من يدي وبِعْتُهُ : ٱشْتَرَيْتُهُ وهذه اللغة في تميم وربيعة ...))[٤٩٧].

---

492 - المخزومي - الدرس النحوي في بغداد / ٢٦ .

493 - ينظر / الأنصاري : د. أحمد مكي - أبو زكريا الفرّاء - القاهرة - ١٩٦٤/٣٧٢.

494 - ينظر / الفرّاء - معاني القرآن - ثلاثة أجزاء - تحقيق - د. محمد علي النجار ومحمد يوسف نجاتي وعبد الفتاح إسماعيل وعلي النجدي - القاهرة – ١٩٨٠ .

495 - الحديثي - المدارس النحوية /٢٢٤ .

496 - سورة البقرة - الآية / ٩٠ .

497 - الفرّاء - معاني القرآن ١/ ٥٦ .

أما في النحو فيرى إثبات نون النسوة في الفعل المنصوب أو المجزوم لتتضح دلالته على التأنيث ، قال : ((وإنما قال ((إلاّ أنْ يَعْفُونَ))[٤٩٨]بالنون لأنّه فعل النسوة ، وفعل النسوة بالنون في كُلّ حال ، يقال : هُنَ يَضْرِبْنَ ، ولم يَضْرِبْنَ ، ولن يَضْرِبْنَ ، لأنك لو أسقطت النون منهن للنصب أو الجزم لم يستبن لهن تأنيث ..))[٤٩٩] .

ثالثاً : ثعلب (ت ٢٩١ هـ)[٥٠٠]

هو أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس الملقب بثعلب ((يمثل طرازاً كوفياً أصيلاً ، بآعتماده على الرواية ...))[٥٠١]. كثير الميل إلى السماع عن العرب ، دأبه دأب النحاة الآخرين ، لكنه غير ميّال إلى التفلسف والجدل . آمتاز بمجالسه التي عُرِفت بـ (مجالس ثعلب)[٥٠٢] ، وكان فيها ((كثير الرواية عن الفرّاء ... يميل إلى رأي الفرّاء غالباً))[٥٠٣]. وقد عاصر ثعلب نحويّاً بصريّاً كبيراً هو أبو العباس المبرّد ، وله مناظرات معه[٥٠٤].

من تلاميذه أبو موسى سليمان بن محمد الحامض (ت ٣٠٥ هـ) . ومن آرائه ما نسبه إليه ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) : القول بأنّ (عسى) حرف لا فعل[٥٠٥]. وقد تابع ثعلب الكسائي في أنّ : ((العامل في المفعول النصب الفعل والفاعل))[٥٠٦]، واحتجاج الكوفيين بأنّه لا يكون المفعول إلاّ إذا تقدّمه فعل وفاعل باللفظ أو التقدير ، لكون الفعل والفاعل بمنزلة الشيء الواحد ، فأوجبوا إعمالهما فيه[٥٠٧] .

---

498 - سورة البقرة - من الآية / ٢٣٧.
499 - الفرّاء - معاني القرآن ١٥٥/١. - ينظر ترجمته / أبو الطيب اللغوي - مراتب النحويين / ٩٥، وابن النديم - الفهرست/ ١١٧ ، و السيوطي - بغية الوعاة ٣٩٦/١ .
500 - المخزومي - مدرسة الكوفة / ١٨٠ .
501 - ثعلب : أبي العباس (ت٢٩١هـ) - مجالس ثعلب - تحقيق - عبد السلام محمد هارون- ط ٢ - دار المعارف - مصر - ١٩٦٠ .
502 - المصدر نفسه / ١٨٦.
503 - القفطي - أنباه الرواة ١٤٠/١ ، وينظر/السيوطي - بغية الوعاة ١/ ٦٩ و ٣٩٧.
504 - ينظر / ابن هشام - مغني اللبيب ١٥١/١ .
505 - الزبيدي - آئتلاف النُصْرة / ٣٤.
506 - ينظر / الزبيدي - آئتلاف النُصْرة/ ٣٤.
507

وعُرِفَ عن (مجالس ثعلب) أنّها ضمّت جوانب مختلفة من علوم العربية ، لغوية ، ونحوية ، وأدبية ، كما تضمّنت مسائل نحوية على مذهب الكوفيين منها على سبيل المثال . ((قال أبو العباس في قوله تعالى : ((قالَ فَالْحَقَّ وَالْحَقّ ُ أقْوُلُ))[508]. أراد فأقولُ الحقَّ حَقّاً ، ومن رَفَعَ قال فأنَا الحقّ ُ والحقّ ُ قولي ، وأقولُ في صلة الحقّ ِ والحقّ ُ يمين ، ومن قال (فألحقّ ُ والحقَّ) قال فأنا الحقّ ُ وأقول الحقَّ))[509]. وقد ٱختلف القرّاء فيها كثيراً فمنهم مَنْ رفع ، ومنهم مَنْ نصب ، قال الطبري (ت ٣١٠ هـ) : ((ٱختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى ((قَالَ فَالحَقّ َ وَالحَقّ ُ أقوُلُ))... فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع (الحق) الأول ، ونصب الثاني ، وفي رفع الأول إذا قُريْ كذلك وجهان : أحدهما رفعه بضمير الله الحقّ ُ ، أو أنا الحقّ ُ وأقول الحقَّ ، والثاني ؛ مرفوعاً بتأويل قوله : (لأملأنَ) فيكون معنى الكلام حينئذ : فالحقّ ُ أنّ أملأ جهنم منك ....))[510] .

وكما تميز البصريون بمنهج خاص في النحو ، كذلك الكوفيون كان لنحوهم منهج ابتعد عن المنهج البصري وخالفه في الآتي :

أ - يختلف الكوفيون في أقيستهم عن البصريين ، فهم يأخذون بالقياس لكنهم، لا يتشددون فيه بل يقيسون حتى على المثال الواحد ، من ذلك ما أجازه الكسائي في تقديم المستثنى في أول الكلام اعتماداً على قول الشاعر :

((خَلا اللهُ لا أرْجُو سِوَاكَ وإنّما أعِدّ ُ عِيَالِي شُــعْبَةً من عِيالِكا))[511]

ب - يعتمد الكوفيون على القراءات القرآنية ولا سيما الشاذة في كثير من آرائهم النحوية ، لكون معظمهم من القرّاء ، وهذا خلاف البصريين ، الذين لم يعتمدوا كثيراً على القراءات الشاذة في وضع قواعدهم النحوية ، ومن أمثلة اهتمامهم بالقراءات ما

---

508 - سورة ص - الآية / ٨٤.

509 - ثعلب - المجالس - القسم الأول ٣١٦/٧ .

510 - الطبري (ت ٣١٠ هـ) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ضبط وتوثيق - صدقي جميل العطار - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥ ٢٢/ ٢٢٢ومابعدها ، وينظر/ ابن خالويه - الحجة في القراءات السبع / ٣٠٧.

511 - الأنباري - الإنصاف ١/ ٢٧٣ مسألة ٣٦، وينظر/ الصبّان - حاشية الصبّان - تحقيق - محمود بن الجميل- ط ١ - القاهرة ٢٠٠٢ ٢/ ٢٧٠ ،و الحديثي - المدارس النحوية/ ١٩٢.

جاء في معاني القرآن للفرّاء ، في تفسير قوله تعالى : ((وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ))[٥١٢]، إذ قرأها يحيى بن وثّاب والأعمش (ولا يُجْرِمَنَّكُمْ) بضم الياء ، وقد قرأها آخرون بفتح الياء[٥١٣]. والكتاب يزخر بالكثير من القراءات التي تدل على اهتمام الكوفيين بها .

جـ - ميل البصريين إلى التأويل والتعليل المتأثر بالمنطق ، وقواعد علم الكلام، فحكّموا المقاييس العقلية قال ابن جني : ((اعلم أنّ علل النحويين ــ وأعني بذلك حذّاقهم المتقنين ، لا ألفافهم المستضعفين ــ أقرب إلى علل المتكلمين ، منها إلى علل المتفقهين ، وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس))[٥١٤]، أما الكوفيون فقد آعتمدوا على الرواية، والشواهد حجةً ،ودليلاً على إثبات آرائهم دون تقيّد بالزمان ، لذا ازداد ((توسعهم في الرواية والشواهد والسماع زماناً ومكاناً فلم يحددوا لشواهدهم زماناً معيناً يقف عنده فجاوزوا به عصر الكسائي والفرّاء وأجازوا الاحتجاج باللغة والشعر من أية بيئة كان المتكلمون بهما بلا تحديد لحواضر أو بوادٍ))[٥١٥] .

النحو في المناطق الأخرى

ظهر في بغداد مذهب ثالث على رأي ابن النديم خلط بين المذهبين البصري والكوفي[٥١٦] . الذي اصطلح عليه بعض الباحثين بـ ((المدرسة البغدادية)) ، وعلى الرغم من الجدل في أمر وجود مدرسة بغداد النحوية ، بين رافضٍ وجودها، ومؤيدٍ إلاّ أنّني أرى أنّ الواقع الموجود الذي برز في نحو هذا المذهب الجديد ممن خلط المذهبين ، إنما جاء بإسلوبٍ مبتكر يبتعد فيه عن أسلوب المذهبين مع أنّ نحاته تتلمذوا على يد نحاة البصرة والكوفة معاً ، كالمبرّد البصري ، وثعلب الكوفي ،

---

512. - المائدة - من الآية /٢.
513. - ينظر / الفرّاء - معاني القرآن ٢٩٩/١.
514. - ابن جني - الخصائص ١ /٤٩ .
515. - الحديثي - المدارس النحوية / ١٨٠ .
516. - ينظر / ابن النديم - الفهرست / ١٢٣ .

وأشهر البغداديين الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) ، وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٠ هـ) ، وابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ) الذي يَعُدّه شوقي ضيف أول أئمة المدرسة البغدادية[٥١٧]، والزجاجي (ت ٣٤٧ هـ) ، وابن جني وغيرهم . وقد جمع هؤلاء النحاة بين ميزات المذهبين ، وآتخذوا مذهباً وسطاً بينهما ، فلا ترى تميزاً في لغات العرب إلاّ بقدر الفصاحة فيها ، وأخذوا يقيسون على القليل ، والكثير بما يطابق رأيهم ، وما يذهبون إليه[٥١٨].

ثُمّ انطلق النحو ليصل إلى مصر ، فيلقى من الحفاوة بقدر ما كان في البصرة والكوفة ، وبغداد . فأخذ يتلقفه الدارسون الذين قدم منهم للعراق . ومن علمائها أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨ هـ) ، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) صاحب المؤلفات الكثيرة ، والزاخرة بنوادرها . ثُمّ المغرب ، والأندلس ، حيث لقي النحو رواجاً كبيراً ، ومن أشهر نحاته ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) ، وابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) ، وابن مالك وغيرهم .

على أنّه لم يقف عند هذا الحدّ بل شمل بقاع الحواضر الإسلامية جميعها . وهذا الامتداد في الدرس النحوي ، يعطي تصوّراً واضحاً على تطور النحو وتدرجه في الرقي .

وأن كانت عناية البحث بالمذهبين البصري ، والكوفي ، واكتفى بالإشارة إلى النحو في بغداد ، ومصر ، والأندلس وغيرها ، لكون النحو العربي أينما ذهب ، وتمركز يبقى بصريّاً أو كوفيّاً ، لأنّ هذين المذهبين هما أساس انطلاقة النحو العربي، وتثبيت مصطلحا ته وإنضاجها إذ ((اشترك في تطويرها مجموعة من النحويين على مرّ العصور ، فالبصريون أشادوا البناء، ثُمَّ جاء الكوفيون

---

517. ينظر / ضيف ـ المدارس النحوية / ٢٤٨ .

518. ينظر /حسني : د.محمود ـ المدرسة البغدادية / ١٣١ وما بعدها .

ليضيفوا...))[٥١٩] إليه من قواعدهم وأساليبهم ، وتبعهم بعد ذلك الآخرون من ((نحاة بغداد والأندلس ومصر والشام ليكملوا البناء))[٥٢٠].

ولا أؤيدُ القول بمصطلح (مدرسة) الذي آتفق على وضعه المحدثون من كبار أساتذة هذا العلم ، إلاّ أنّني أُؤمن بأنّ (المذهب النحوي) أقوى أثراً من (المدرسة) لأرتباط التسمية بالمذاهب الإسلامية التي تعطي الأمر هيبة وقوة .

وبعد هذا أدركتُ أنّ النحو العربي بمذاهبه المختلفة البصري ، والكوفي، والبغدادي ، أو المصري ، أو الأندلسي ، قد آنطوى على ما يأتي:

أ. وجود هذه المذاهب النحوية ، أعطى النحو أهمية كبيرة ، بكونه علماً يسعى إليه الدارسون ، يُجددون ويطوّرون فيه ، غايتهم الأولى خدمة لغة القرآن ، والأمة الإسلامية .

ب. إنّ النحو العربي بهذا الانتشار الواسع في أرجاء البلاد ، أثبت قدرته على التطور والتجدد ، من خلال آستيعابه آراء العلماء الجديدة التي كانت تظهر بين الحين والآخر.

ت. إنّ تعدد المذاهب النحوية دليل على سمو النحو ، ورفعة قدره بين العلوم الأخرى.

ث. تدل كثرة الدارسين هذا العلم ، وما تمخّض عنهم من آراء سديدة على سعة النحو لكلّ لغة العرب ، وكلامهم بما فيها من لهجات ، ليقف أمام التحديات التي تواجه لغة القرآن ، شامخاً وقوياً .

---

519 - الزوبعي : صبيحه حسن طعيس - المصطلح النحوي عند أبي بكر بن الأنباري (ت٣٢٨ هـ) - رسالة ماجستير - كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - ٢٠٠٣ / ٤ .

520 - المصدر نفسه / ٤ .

الفصل الرابع

أنماط التأليف النحوي

المبحث الأول

بداية التأليف

إنَّ التأليف في النحو العربي ميدانٌ واسعٌ ، سعته سعة النحو العربي نفسه، والوقوف على أنماط هذا التأليف ، يتصل بالبيئة التي نشأ فيها النحو مباشرة . ومن المفيد بيان أهمية هذا التأليف ، والأنماط التي ٱتخذها .

لقد آتخذ التأليف بداية الأمر طوراً قائماً على الجمع ، والترتيب غير المتخصص والدقيق في مادته المجموعة . إذ قد يجمع الكتاب الواحد مجموعة موضوعات بين دفتيه ، كالنحو ، والصرف ، والبلاغة . أو قد يجمع بين النحو والصرف . وقد يخلط بين اللغة والنحو فقد ((تميَّزت المرحلة الأولى في كتب اللغة بالجمع في صور شتَّى ....))[٥٢١] . فظهرت أمثلة متعددة للتأليف النحوي ، فكانت البداية وبحسب تقدير معظم الباحثين في القرن الثاني الهجري ، من ذلك ((كتاب سيبويه من القرن الثاني الهجري الذي يمثل أول كتابٍ وصل إلينا))[٥٢٢]، الذي يجعل ظهوره مُميَّزاً أنَّه ظهر في عصر كان مستعداً لآستيعاب هذه الظاهرة الجديدة ((ويمتاز القرن الثاني بظاهرة التأليف ، وبآتخاذ الكتب المؤلفة من مناهج خاصة منظمة ، من ذلك كتاب سيبويه في النحو))[٥٢٣] . ويُعَدّ كتاب سيبويه أول كتابٍ في النحو العربي ، وصل إلى أيدي الدارسين ، جمع فيه مؤلفه آراء شيوخه الخليل ، ويونس بن حبيب ، وضمَّنه آراءه في كثير من المسائل ، وهو القمة في الدراسات التي وصلت إلينا ، فهو ((أعظم ما يصنع عالم لموضوعه ، إذ آتاه حَقَّهُ من التقصي ، والآستيعاب ، ومن الدرس والنقد . وجهد ما أسعفه الجهد الكبير والعقل المستنير لتحرير المسائل وترتيب الموضوعات حتى آستحق كتابه في النحو والصرف أنْ يكون (الكتاب) ، وآستحق هو أنْ يكون في النحويين (الإمام)))[٥٢٤] .

و(الكتاب) من الكتب التي سار فيه مؤلفه على وفق منهج آستدلالي ، علمي ، واسع ، إذْ لم يترك سيبويه مجالاً في مسألة نحوية إلاّ وذكره مناقشاً الأقوال فيها ، وموازناً ثُمَّ حاكماً بنتيجة الأمر بنفسه فهو ((يذكر المسألة العلمية ، ويعرض الأقوال فيها ، وأدلة تلكم الأقوال ثُمَّ يوازن ويناقش ويحاكم وينتهي بعد ذلك إلى

---

521 - سلاّم : د. محمد زغلول - أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي - ط ٢- دار المعارف - مصر - ١٩٦١ / ١٥٣ .

522 - التوحيدي : أبو حيّان - المقابسات - تحقيق - محمد توفيق حسين - مطبعة الإرشاد - بغداد - ١٩٧٠ /١٧٢ .

523 - زكي : أحمد كمال - الحياة الأدبية في البصرة / ١٥٠ .

524 - ناصيف : علي النجدي - سيبويه إمام النحاة - مصر ١٩٥٣ /١٨٦ . وينظر/البكاء - منهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه / ٦١ .

النتيجة ، ويتمثل هذا بوضوح في كتاب سيبويه))[٥٢٥]. وقد جعل سيبويه منهج كتابه واسعاً ليشمل مسائل النحو ، فيكون أساس علم النحو لهذا ((قد يعود مجيء كتاب سيبويه على هذا الشكل إلى أنَّ مؤلفه ٱستهدف منه تدوين علم النحو تدويناً شمولياً يستوعب الفكرة النحوية رأياً وبرهاناً. ولكي يأتي البناء للفكر النحوي متكامل الوحدات والعناصر في التأسيس والإنشاد ، وقد تَمَّ لسيبويه هذا في حدود ما كان متوفراً للعلماء آنذاك من وسائل ومعدات ومواد بناء))[٥٢٦]. وقد وضع سيبويه كتابه على ما يبدو لفئة معينة وإلاَّ لما كثرت شروحه ، تقول الدكتورة الحديثي : ((والكتاب موضوع للعلماء ومن أجل ذلك كان موجزاً حتى كأنَّ كل نقطة فيه وضعت لمعنى واسع بحيث ٱحتاج الناس إلى وضع شروح عليه لفك معانيه وبسطها))[٥٢٧] . فصار كتاب سيبويه سبيلاً لكثير من النحاة يشرحونه ، ويعلقون عليه ، فمنهم من شرحه كما هو بما فيه من مسائل ، ومنهم من ٱقتصر على شرح شواهده الشعرية ، أو إعرابها وغير ذلك . وبقي الأسلوب المتبع في معظم مسائل النحو ، ووعورة المسلك المؤدي إلى الوهن عن تأدية الغاية ، لٱرتباط هذه الشروح بالجدل المنطقي الذي أقحم كثير من النحاة أنفسهم فيه . فزادت ثمرة هذا الجدل ، أو الخلاف في نصوص النحو تعقيداً ، ومشقةً على طلاب العربية والنحو بالذات . فطالت الكتب وتوسعت أنماطها ، وصعب التفريق بين القاعدة الأساس ، ومادة الجدل في القاعدة ، فأشار بعض المتقولين بكون النحو صعب المراس ، وقد كان هذا ((حين أضافوا هذا الجدل إلى النصوص النحوية شقّوا على أنفسهم وعلى طلاب النحو من بعدهم فطالت بذلك كتب النحو ..... ولم يستطع أنْ يفرقوا بين القاعدة والجدل حول القاعدة))[٥٢٨]، وهذا الأمر يعود في كثير من الأحيان إلى تأثير العالم النحوي بثقافته وما يمتلكه من علوم ؛ لأنَّ ((كثيراً منهم برزوا في علوم أخرى ــ غير النحو ــ فمنهم القُرَّاء ، ومنهم المحدِّثون ، ومنهم المفسِّرون ،

---

525. - الفضلي : عبد الهادي - فهرست الكتب النحوية المطبوعة / ٥ .
526. - المصدر نفسه / ٥ .
527. - الحديثي - كتاب سيبويه وشروحه / ١٤٩ .
528. - حسان : تمام - الأصول / ٢١٨ .

ومنهم المتكلمون ، ومنهم الفقهاء ، وهم في تآليفهم إنَّما يخضعون بقصدٍ أو بغير قصد لتأثير هذه العلوم في عباراتهم ومصطلحاتهم وجدلهم ونقاشهم))[٥٢٩] وهذا التأثير واضح عند ابن الحاجب الذي كانت ثقافته خليطاً من العلوم الدينية وعلوم العربية[٥٣٠] . وهو واضح من تأثر الفرَّاء بالقراءات والتفسير في كتابه (معاني القرآن).

وعلى دارس مستويات التأليف النحوي تلمّسُ كثيرٍ من الأمور التي تجعل المراجع النحوية يعوزها التتبع الدقيق لمسائل النحو ، قال عبد السلام محمد هارون : ((إنَّ الدراسة النحوية في مختلف المراجع النحوية يعوزها ضرورة تتبع المسائل النحوية ، وكيف تُصوَّر في كل مرجع ، ويعوزها كذلك التتبع التاريخي والتدرُّج الحكمي لكل مسألة من تلك المسائل))[٥٣١]، وبعد هذا نجد أنَّ أنماطاً من التأليف في النحو العربي وضِعت لغايات مختلفة إذْ ((إنَّ بعضها كان تعليمياً وضع للمتعلمين المبتدئين ، أو متوسطي الثقافة ، أو المتقدمين فيها وكان بعضها الآخر يخاطب العلماء والمتفقهين في علوم اللغة))[٥٣٢] . ومن الأنماط المخصصة بالعلماء والمتفقهين باللغة ، كتاب سيبويه ، وكتاب الأصول لأبن السراج وغيرهما . قال ابن السراج ((هذا الكتاب للعالم دون المتعلِّم ، أحتجت إلى أنْ أذكر ما يُقرِّب على المتعلِّم))[٥٣٣]، أما الأنماط الأخرى ، التي أمتازت بالاختصار الشديد للمادة مع السعة في كل القواعد النحوية المطروحة ، فغلبت سمة الاختصار حتى على أسماء كثير من المؤلفات ، التي منها ما وصلنا أسماؤها فقط مثل (كتاب مختصر النحو الكسائي)[٥٣٤] ، و (مختصر نحو المتعلمين للجرمي (ت ٢٢٥ هـ))[٥٣٥]، و (

---

529 - ناصح : كريم حسين - مناهج التأليف النحوي من سيبويه إلى ابن هشام - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٨٦ / ٣١٤ .

530 - ينظر / الجنابي : طارق - ابن الحاجب النحوي / ٩٢ .

531 - هارون : عبد السلام - الأساليب الإنشائية في النحو العربي - مطبعة السنة المحمدية مصر ١٩٥٩ / ٤ .

532 - ناصح : كريم حسين - مناهج التأليف النحوي / ٣٠٨ .

533 - ابن السراج - الأصول في النحو ١/ ٣٩ .

534 - ذكره ابن النديم في الفهرست / ١٠٤ .

535 - المصدر نفسه /٨٩ .

المختصر في النحو لأبن سعدان (ت ٢٣١ هـ))[٥٣٦]، و(مختصر في النحو لثعلب)[٥٣٧]، و (كتاب مختصر النحو لأبي موسى الحامض)[٥٣٨] ، و (كتاب الموجز الصغير لأبن السراج)[٥٣٩] ، و (مختصر النحو لأبن شقير (ت ٣١٧ هـ))[٥٤٠]، و (الإيجاز في النحو للرماني (ت ٣٨٤ هـ))[٥٤١].

وقد ازدادت حركة التأليف في النحو العربي ، وتطوَّرت في القرنين السادس والسابع الهجريين في مصر وبلاد الشام ، فقد تميَّز هذان القرنان بـ ((النشاط الدائب في تأليف المصنفات اللغوية والنحوية إضافة إلى ما كانت عليه في القرون السابقة عليهما ، ففي هذين القرنين صَنَّف النحويون واللغويون كثيراً من المصنفات المهمة منها شرح المفصل لأبن يعيش ، ولسان العرب لأبن منظور))[٥٤٢]. وقد أسهم الدعم المادي ، والمعنوي من السلاطين والأمراء بأزدياد حركة التأليف ، وهذه ((الرعاية لدراسة النحو والإسهام في التأليف فيه من الأيوبيين ، أثرت في كثرة دارسيه وكانوا في عنايتهم بالعربية يحكمون أسلافهم السلاجقة الذين أظهروا عناية فائقة في الحفاظ على العربية وعلومها))[٥٤٣] لذا ظهرت أنماط جديدة من التأليف في النحو العربي ، لم تكن مألوفة كالمتون النثرية ، والمقدمات ، والشروح والمنظومات الشعرية .

وتُعَدّ المقدمات النحوية من أقدم أنماط التأليف في النحو نثراً إذ ((إنَّ وضع المقدمات في النحو كان قديماً ، قدم التأليف في النحو من ذلك المقدمة المنسوبة إلى خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) ومقدمة ابن الجرمي (ت ٢٢٥ هـ) ....))[٥٤٤]. وقد أُلِّفت هذه المقدمات للمتعلمين المبتدئين في دراسة النحو لذا قال خلف الأحمر : ((لّما

---

536. - المصدر نفسه /١٢٦
537. - المصدر نفسه / ١١٨
538. - ابن النديم - الفهرست / ١٢٦
539. - مطبوع بتحقيق - مصطفى الشويمي - بيروت ١٩٦٥
540. - ابن النديم - الفهرست / ١٣٣
541. - المصدرنفسه / ١٠١
542. - سعيد : محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي /١٧
543. - المصدر نفسه / ١٨
544. - سعيد: محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي / ٢٣

رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلِّم المتبلغ في النحو من المختصر، والطرق العربية والمأخذ الذي يخفُّ على المبتدئ حفظه ويعمل في عقله ويحيط به فهمه ، فأمعنت النظر والفكر في كتاب أولفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلِّم عن التطويل فعملت هذه الأوراق))[٥٤٥].

وأَعدّ ُ المنظومات النحوية أقدم من المقدمات بالاستناد إلى منظومة الخليل بن أحمد في النحو [٥٤٦]، وقد ذكرها خلف الأحمر في مقدمته [٥٤٧]. قال الدكتور أحمد عفيفي : ((من المنظومات التي لم تأخذ حظها من الظهور، تلك المنظومة التي كتبها الخليل بن أحمد، والتي كتبت في القرن الثاني الهجري ؛ أي في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ النحو العربي))[٥٤٨] . ومن المنظومات أيضاً منظومة ((محمد بن يحيى القلفاطي من نحاة القرن الهجري الثالث ، ثم جاء الحريري (ت ٥١٦ هـ) ونظم منظومته المعروفة بـ (ملحمة الإعراب) وشرحها ..))[٥٤٩] ، وكذلك منظومة ابن معط يحيى الزواوي المغربي (ت ٦٢٨ هـ) ،ومنظومة ابن مالك[٥٥٠]. اللاتي حظين بعناية الدارسين والشُّرَّاح زمناً طويلاً ، واهتمام الدارسين حتى وقتنا هذا .

المبحث الثاني
من أنماط التأليف النحوي

آمتازت حركة التأليف في النحو بظهوره أنماط متعددة من التأليف سيذكر البحث منها (المقدمات ، والشروح ، والحواشي ، والمنظومات) وكانت عناية الله محيطة

---

545 - الأحمر - مقدمة في النحو /٣٣ ، ٣٤.

546 - الخليل - المنظومة النحوية - تحقيق- د. أحمد عفيفي - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ١٩٩٥. سيتحدث عنها البحث بالتفصيل في موضوع المنظومات النحوية .

547 - الأحمر - مقدمة في النحو / ٨٥ ، ٨٦ في باب النسق .

548 - الخليل - منظومة النحوية /١١.

549 - سعيد : محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي / ٢٢هامش رقم ٨٩.

550 - المصدر نفسه / ٢٣ .

بنا في آستقصاء هذا الأمر ، وسيشير البحث إلى أمور مهمة تشكل بناء هذه الأنماط الأساس ، من حيث سبب التأليف والمنهج المعتمد دون توسع في ذلك لمحدودية موضعها .

أ- المقدمات :

تمثل المقدمات في رأي كثير من الباحثين أقدم أنماط التأليف لكون مقدمة خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) أولى هذه المؤلفات التي وصلت إلينا نهاية القرن الثاني[٥٥١]. وقد ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ما يقارب الأربع عشرة مقدمة في النحو نذكر منها :

أ- مقدمة الجرمي : أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي البصري (ت ٢٢٥ هـ) وهي في النحو ، شرحها أبو الحسن محمد بن عبد الله المعروف بآبن الوراق النحوي (ت ٣٨١ هـ)[٥٥٢].

ب- مقدمة ابن هبيرة في علم العربية : شرحها ابن الخشاب (ت ٥٦٧ هـ)[٥٥٣].

جـ - المقدمة الأزهرية في علم العربية : الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ)[٥٥٤].

ومن هذه المقدمات :

١- مقدمة في النحو

مؤلفها

أبو الحسن خلف ابن حيان المعروف بخلف الأحمر [٥٥٥].عالمٌ بالشعر واللغة، ((وهو أول من أحدث السماع بالبصرة))[٥٥٦] ، عُرِف عنه كثرة الرواية

---

551 - ينظر / الأحمر- مقدمة في النحو - تحقيق عزالدين التنوخي - دمشق ١٩٦١ .

552 - خليفة : حاجي - كشف الظنون ٢/ ١٧٩٩ .

553 - المصدر نفسه ١٧٩٥/٢ .

554 - خليفة : حاجي - كشف الظنون ٢/ ١٧٩٧. وينظر/ الأزهري : خالد (ت ٩٠٥هـ) - الأزهرية - القاهرة ١٣٤٤هـ .

لشعر عصر ما قبل الإسلام حتى أجمع على صدقه في رواية الشعر وفراسته فيه كثير من العلماء ، قال ابن سلام ((اجتمع أصحابنا أنَّه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدق لساناً ، وكُنَّا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أنْ لا نسمعه من صاحبه))[٥٥٧] . توفي خلف الأحمر سنة (١٨٠ هـ)[٥٥٨] ، عُرِف عنه حضور مجلس أبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة في البصرة[٥٥٩] .

سبب التأليف

صرَّح خلف الأحمر عن سبب تأليفه هذه المقدمة ، فبعد أنْ ٱزداد إغفال النحاة للمتعلِّمين ، ولم يفكروا في تيسير النحو لهم ، وأخذوا ينشغلون بالعلل والمطولات . أصبح لازماً عليه إخراج هذه المقدمة في النحو.إذ قال : ((لما رأيت النحويين ، وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل ، وكثرة العلل ، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلِّم المتبلِّغ في النحو من المختصر والطرق))[٥٦٠].

وَيُعَدّ ُ تأليفه هذا لغرض تعليمي بالدرجة الأولى ، إذ قال : ((فأمعنت النظر والفكر في كتاب أُولِّفه ، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل فعَمِلْتُ هذه الأوراق))[٥٦١] .

أهمية المقدمة

جاء في مقدمة المحقق نقلاً عن الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد قوله: ((إنَّ هذه المقدمة النحوية النادرة لمِنْ أسهل ما صنف كالأجرومية للمبتدئين))[٥٦٢] .

وأرى أنَّ لهذه المقدمة أهمية كبيرة لكونها من أقدم ما أُلِّف في النحو العربي نثراً ، وتمثل شاهداً حيّاً لتفكير النحاة القدماء بإبعاد التعقيد والصعوبة عن النحو العربي ،

---

555 - ينظر ترجمته/ ابن النديم - الفهرست / ٧٨ ،وابن الأنباري - نزهة الالباء/ ٥٣،والقفطي - أنباه الرواة ٢/ ٣٢٩.

556 - ابن الأنباري - نزهة الالباء /٥٣ .

557 - الجمحي - طبقات فحول الشعراء / ٢١.وينظر/ ابن الأنباري - نزهة الالباء / ٥٣ .

558 - ابن الأنباري - نزهة الالباء / ٥٣

559 - ينظر / السيوطي - المزهر ٢/ ٢٧٨ .

560 -الأحمر - مقدمة في النحو / ٣٠ .

561 - المصدر نفسه / ٣٤ .

562 -المصدر نفسه /٦ .

وهي من السهولة واليُسْر ما يعطي المبتدئ قدرة على حفظها ، وتساعده على فهم النحو بوضوح وسرعة .

أما وصفها ، فهي كتاب صغير مختصر جمع فيه خلف الأحمر النحو بشكل مُكَّثف دون تكلف مبتعداً عن فلسفة العصر ومنطقته .

منهج المقدمة

تميزت مقدمة النحو هذه بمنهج مختصر عالج فيه المؤلف أبواب النحو بيُسْرٍ وسهولةٍ لم يسبقه غيره فيها . لكونه وضع هذه المقدمة للمبتدئين ، وهذا واضح من سبب تأليفها .

وتضمَّن منهجها : مقدمة عرض فيها المؤلف أسباب التأليف وشيء عن العربية وأقسام الكلام ، ثم بدأ بوضع أبواب النحو ، وهي عنده ثلاثة وثلاثون باباً بضمنها ثلاثة أبواب في الصرف ومن هذه الأبواب :

- باب الحروف التي ترفع كل آسم بعدها ، ولا يقصد بها التأثير في غيرها ، بل على آعتبار أنَّ الاسم الذي بعدها جاء مرفوعاً ومنها : ((إنَّما ، وكأنَّما ، وهل ، وبل ، وإنْ ...))[٥٦٣].
- باب حروف الجزم ، وهي : ((لم ، ولمَّا ، وألَمْ ،وألمَّا...))[٥٦٤] .
- باب كان وأخواتها وهي : ((ترفع الأسماء والنعوت ، وتنصب الأخبار،كان ، وأمسى ، وأصبح ، وظل ، وبات ، وزال ، ومازال...))[٥٦٥] وغيرها من الأبواب النحوية المذكورة في المقدمة .

أما الأبواب الصرفية فهي ثلاثة :

- باب ما كان على وزن فِعْلان مثل : عِمْران ....[٥٦٦].
- باب ما كان على وزن مَفَاعِيل مثل : ((مَصَابيح ، و مَفَاتيح ...)) يقصد صيغة منتهى الجموع [٥٦٧].

---

563. - ينظر / الأحمر - مقدمة في النحو / ٣٦، ٣٧ .
564. - ينظر المصدر نفسه / ٤٨ وما بعدها .
565. - ينظر/ المصدر نفسه / ٦٤ .
566. - المصدر نفسه / ٨٩ .

- باب ما كان على وزن فَعْلاء مثل : حَمْراء ، و صَفْراء [٥٦٨]....

ثُمَّ ختمها بقوله ((فقد آختصرنا الأبواب وبيَّنا العلل و الأسباب ، وجمعنا لك الأصول كلها في هذا الكتاب فآستعمله وقَسْ عليه))[٥٦٩].

وبالرغم من قُصر المقدمة فقد أكثر خلف الأحمر من الشواهد القرآنية من دون غيرها ، إذ بلغت الآيات المستشهد بها ثلاثاً و ثلاثين آيةً من دون تكرار .

أما الشعر العربي فبلغ عدد الأبيات أربعة عشر بيتاً ، ومن أمثلة شواهده ما يأتي :

- آستشهد بقوله تعالى : ((حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ))[٥٧٠]. على أنَّ (حتى) حرف نصب تدخل على الفعل المضارع فتنصبه [٥٧١].
- آستشهد بقوله تعالى : ((وَقِيْلَ يَا أَرْضُ آبْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَا سَمَاءُ آقْلِعِي، وَغِيْضَ المَاءُ))[٥٧٢] ، على رفع الاسم المفرد في محل نصب بعد أداة النداء [٥٧٣].
- آستشهد بقول حسان بن ثابت :

((للهِ دَرّ ُ عِصَابَةٍ نَا دَمْتُهُمْ

يَوْماً بِجِلَّقَ في الزَّمَانِ الأوْل .

بنصب (جلَّق) لمَّا كان اسم مكان)) [٥٧٤].

ومما يمكن أنْ يؤخذ على هذه المقدمة النحوية من أمور الآتي :

١- تسمية أسماء الإشارة بـ (حروف الإشارة) مما يُشْكِلُ في بعض الأحيان على المتعلِّم ، إذ يجدها عند آخرين أسماء، وعند (خلف) حروفاً [٥٧٥] .

---

567 - ينظر/ المصدر نفسه / ٨٩ .

568 - ينظر/ المصدر نفسه / ٩١ .

569 - المصدر نفسه / ١٠٠ .

570 - سورة البقرة - من الآية / ٢١٤.

571 - ينظر / الأحمر - مقدمة في النحو / ٧١ . باب الحروف التي تنصب الأفعال ..

572 - هود - من الآية / ٤٤ .

573 - ينظر / الأحمر - مقدمة في النحو / ٧٤ . باب النداء المفرد.

574 - الأحمر- مقدمة في النحو/ ٩٣،وينظر/ بن ثابت : حسان- الديوان - تحقيق سيد حنفي - القاهرة ١٩٧٤ / ١٢٣ والبيت يمدح فيه الغساسنة قبل الإسلام .(جُلَّق) اسم لمكان يقع في الشام (دمشق) .

٢- جعل الضمائر في باب الإشارة ، وهي ليست كذلك[٥٧٦] .

٣- ذكر (تاء الفاعل) تحت باب (الحروف التي تنصب كل شي أتى بعدها) [٥٧٧] دون أنْ يشير إلى تأثير الفعل المرتبطة به (تاء الفاعل) على الرغم من أنَّه أحصى الأفعال المتعدية في هذا الباب ، دون تحديد كونها متعدية .

٤- ذكر (نعم ، وبئس) وهما فعلان للمدح والذم جامدان ، في باب الحروف التي ترفع كل آسم بعدها)[٥٧٨] .

وهذه الأمور قد تحرِف المُتعلَّم عن المسار الدقيق الذي تسير عليه كتب النحاة، وما تقوله القواعد النحوية ، وعلى الرغم من هذا الاختصار الدقيق للمادة النحوية الذي قد يكون سائدا في عصر خلف الأحمر ، تبقى هذه المقدمة خير ما يمثل عصر المؤلف من أفكار وصلت إلينا ، وأنَّ المؤلف آنتبه للتعقيد والعلل الكثيرة عند نحاة عصره ، فحاول تيسير قواعدهم ليسهل تعلُّمها .

٢- المقدمة المُحْسِبة

وهي كتاب آمتاز بطابعه التعليمي المتعمق ، يعطي الطالب فهماً للعلم ، وقدرة على التعمُّق في المسائل ، يقول محققها ((شرح المقدمة ، كتاب تعليمي ، يعرض قواعد اللغة العربية ، في النحو والصرف والخط عرضاً واضحاً بلا إيجاز مُخلٍّ أو إطالةٍ مملةٍ ، حتى يكون بعد فهمه قادراً على فهم اللغة العربية ومستعداً للخوض في كتب الشروح المطولة المملوءة بالخلافات والفروع))[٥٧٩] .

مؤلفها

---

575 - ينظر/ الأحمر - مقدمة في النحو / ٦٥ .
576 - ينظر/ الأحمر - مقدمة في النحو / ٦٥ .
577 - ينظر/ المصدر نفسه / ٤١ .
578 - ينظر/ المصدر نفسه / ٣٩ .
579 - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١/ ٤٥ .

هو إمام النحاة أبو الحسن طاهر بن أحمد بابشاذ المصري الجوهري (ت ٤٦٩ هـ)[٥٨٠] .

سبب التأليف

إنَّ هذه المقدمة هي خلاصة النحو العربي حتى زمن المؤلف ،إذْ جعلها مدخلاً أساساً في معرفة القواعد النحوية ، وغرضه من تأليفها تيسير القواعد وتسهيلها قال ابن بابشاذ : ((فإنَّ الغرض بهذه المقدمة التسهيل والتوطئة لما عسى أنْ يُقرأ بعدها ؛ لأنَّ فيها جملاً ملخصة

، وألفاظها مجردة ، تعين على المقصود ، وربما كَفَتْ في المطلوب ، ولهذا وَسَمها بعض أهل العلم .... بالمُحْسِبة))[٥٨١] . إذ قصد من تأليفه هذه المقدمة تسهيل الأمر على الدارسين ، بما حسبه من تحصيل أمور النحو وتفسير مسائله ، قال : ((وهو تفسير النحو والغرض به والطريق إلى تحصيله يكون بإحكام أصوله ، وتقديم الأهم فالأهم من فصوله ، وما في خلال ذلك مما يتعلق به))[٥٨٢] .

منهج الكتاب

تميز كتاب شرح المقدمة المحسبة ، بمنهج مُمَيَّز لكونه يسير على منهج وضع لكتاب محدد فهو مقيَّد به ،وقد بدأ أولاً بتعريف النحو فقال : ((النحو علم مستنبط بالقياس والأستقراء من كتاب الله سبحانه والكلام الفصيح))[٥٨٣] ، ويفسِّر النحو بأمرين لغويٌّ يعني القصد ، وصناعي ((مستنبط بالقياس))[٥٨٤]، إذْ ألتزم المؤلف بإيراد نص من المقدمة ثُمَّ يبدأ بشرحه والتعليق عليه ، فإذا أنتهى منه جاء بغيره على المنوال نفسه من الشرح والتفصيل [٥٨٥] . من ذلك تقسيم الأفعال على سبيل المثال : ((وأما قولنا : وقسمة الأفعال ثلاثة : ماضٍ، ومستقبلٍ ولا ماض ولا مستقبل ، وهو

---

580 - ينظرترجمته /ابن الأنباري - نزهة الالباء / ٣٦١ ، والسيوطي - بغية الوعاة ٢/ ١٧ وابن كثير - البداية والنهاية ١٢/ ١١٦ .

581 - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ٢/ ٤٧٢ .

582 - المصدر نفسه ٢/ ٤٧١ .

583 - المصدر نفسه ١/ ٨٨ .

584 - المصدر نفسه ١/ ٨٨ ، ٨٩ .

585 - ينظر / ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١/ ٤٥ .

الحال))[٥٨٦]، هذا نص من المقدمة ، أما شرحه عليه فهو : ((فإنَّ الدليل على كونها ثلاثة السماع، والقياس ، فالسماع قوله تعالى ((لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْنَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ))[٥٨٧]، والقياس أنّا وجدنا في كلامهم حرفاً لنفي المستقبل مثل (لا) ، (لن) وحرفاً لنفي الماضي مثل (لمّا) و(لم) وحرفاً لنفي الحال مثل (ما) فدَّل على أنَّ الأفعال ثلاثة ..))[٥٨٨]. بهذه الطريقة يقوم المؤلف بشرح مقدمته ، إذ وضع شرحه لها بعشرة فصول رئيسة هي ((الأسم ، الفعل ، الحرف ، الرفع، النصب ، الجر ، الجزم ، العامل ، التابع ، الخط وأدخل تحت كل فصل من هذه الفصول أهم القواعد التي يحتاج إليها طالب النحو))[٥٨٩] .

ويمكن تقسيم الشواهد الواردة في شرح المقدمة المحسبة ثلاثة أقسام الأول إذ استشهد بمئة وستين آيةً بأستثناء التكرار ، فقد استشهد ابن بابشاذ في شرح مقدمته ، بآيات القرآن الكريم متابعاً النحاة بذلك ، ولكون القرآن يُعَدّ مادة أساساً في تثبيت قواعد النحو ، وقد ذكر المحقق الدكتور خالد عبد الكريم أنَّ المؤلف ((استخدم ستين ومئة آية إذا أستثنينا الآيات المكررة، وأكثر هذه الآيات على قراءة الجمهور- أي على قراءة الأكثرية- ، وقد تمثل المؤلف بهذه الآيات في مواضع كثيرة لتوضيح قواعده وتثبيت أحكامه .....))[٥٩٠] . والثاني من الشواهد الحديث النبوي الشريف ، فقد كان استشهاده به قليلاً ، وهو ما كان من أثر النحاة المتقدمين ، فقد ورد في شرح المقدمة ثلاثة أحاديث فقط [٥٩١]. والنوع الثالث من الشواهد هو الشعر العربي إذ استشهد بالشعر العربي لإثبات قواعده حاله حال سابقيه من النحاة الذين أكثروا من الشعر في شروحهم ، فهو يكثر من ذلك ، لكنَّه لا يعير أهمية لقائل الشعر أحياناً من ذلك : ((قال الشاعر :

---

586. - المصدر نفسه ١/ ١٩٤ .
587. - مريم - من الآية / ٦٤ .
588. - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١/ ١٩٤ .
589. - المصدر نفسه ١/ ٢٨ .
590. - المصدر نفسه ١/٥٤ .
591. - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١/ ٥٧.

فَالْيَوْمَ قَدْ بِتَّ تَهْجُوْنَا وَتَشْتُمَنَا فَٱذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأيأَّمُ مِنْ عَجَبٍ))[٥٩٢]

فهو لم يذكر اسم الشاعر .

ٱهتم بالقراءات القرآنية كثيراً في شرحه إذ كان يذكرها بين الحين والآخر من ذلك مثلا : ((فأمَّا قراءة من قرأ ((فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا))[٥٩٣] بالتاء فأنَّه استعمل الأصل المتروك ، لأنَّ الأصل في المواجهة أغنت عن تاء المخاطبة))[٥٩٤]، جاء ذلك في محض حديثه عن لام الأمر ، وأنَّها تأتي مع ياء المضارعة لإفادتها الغائب ، قال : ((ومعنى لام الأمر للغائب : مثل لِيَقُمْ فُلانٌ ، ولا يكون إلاّ مع فعل الغائب في الغالب ، لأنَّه إذا كان للمخاطب كان مبنياً ، ولم يدخل عليه لام ، مثل (قُمْ ، ٱذْهَبْ) ، فأمَّا قراءة من قرأ ..... أعلاه .))[٥٩٥].

وقد ٱهتم بالخلافات النحوية بين المذهبين البصري والكوفي ، فكان بصرياً في عرضه بعض المسائل ، ورَدَّ على الكوفيين أقوالهم وضعفها من ذلك مثلاً لا يؤكَّد بـ (نون التوكيد الخفيفة) فعل الٱثنين ، وفعل جماعة النساء، قال ابن بابشاذ : ((إنَّ تأكيد الخفيفة لا يقع في تثنية ولامع نون جماعة النساء ، لئلا يجمع بين ساكنين لأنَّ ألف التثنية ساكنة والنون ساكنة ، وكذلك نون جماعة النساء ساكنة ، لايجوز كسرها لٱلتقاء الساكنين ، لأنَّ نون التأكيد الخفيفة لا تُحرَّك بحال خلافاً للتنوين الذي في الأسماء ، فأمَّا قراءة ابن عامر ((فَٱسْتَقِيْمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ))[٥٩٦] بتخفيف النون الساكنة ، فليست النون نون تأكيد ....))[٥٩٧]. وقد وافق البصريين في رأيه هذا وخالف الكوفيين ، فالبصريون قالوا بعدم دخولها في هذين الموضعين ، وأجاز الكوفيون ذلك ، واستدلوا بقراءة ابن عامر [٥٩٨].

---

592 - المصدر نفسه ١/٦٠.

593 - يونس - من الآية / ٥٨ والصحيح في المصحف (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)).

594 - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١ / ٢٤٤.

595 - المصدر نفسه ١/ ٢٤٤.

596 - يونس - من الآية / ٨٩ - ينظر / الأنصاري : ابن خلف (ت ٤٥٠هـ)- الإقناع في القراءات السبع - تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت -١٩٩٩ / ٤٠٨ .

597 - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١/ ٢٠٩ .

598 - ينظر / الأنباري - الإنصاف ٢ / ٦٥٠ المسالة ٩٤ وينظر/ الأنصاري - الإقناع في القراءات السبع / ٤٠٨.

ومن شواهده القرآنية أيضاً ما جاء بشأن تقديم خبر إنَّ على ٱسمها مطلقاً إذا كان جاراً ومجروراً أو ظرفاً ، قال : ((لايجوز أنْ يتقدم شيء بحال عليها في أنفسها ، فأمَّا على اسمها فلا يجوز إلاَّ في الظرف والجار والمجرور مثال الظرف: إنَّ عندك زيداً ، ومثال الجار والمجرور: إنَّ في الدار زيداً ، و ((إنَّ فِيْهَا قَوْماً جَبَّارِيْنَ))[٥٩٩] ، وإنَّما جاز هذا خاصة في الظرف والجار والمجرور لٱتساعهم في الظروف ، وما نزل منزلتها))[٦٠٠] .

أمَّا الشعر فقد ٱستدَّل بقول الشاعر :

إذا مَا لَقِيْتَ بَنِي مَالِكٍ

فَسَلِّمْ عَلى أيُّهُمْ أفْضَلُ

متابعاً سيبويه في بناء (أيَّهُمْ) على الضم إذا كانت موصولة مضافة ، وحذف صدر صلتها[٦٠١] . ومنه أيضاً ((وعليه قوله سبحانه وتعالى عند سيبويه ((ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أيُّهُمْ أشَدّ ُ على الرَّحْمَنِ عِتِيّاً))[٦٠٢]))[٦٠٣] .

ومما يؤخذ على هذه المقدمة ما يأتي :

أ- ٱبتعادها عن الغرض الأساس من تأليفها ، الذي هو التسهيل على المبتدئين في دراسة النحو ، وقد برز ذلك من خلال تتبعه آراء النحاة المختلفة ، ويوافق الباحث رأي المحقق فيما ذهب إليه في صعوبة فهم الأسلوب المتبع في المقدمة . وٱهتمامه بمسائل الخلاف ، والقراءات وغيرها .

ب-رَتَّبَ ابن بابشاذ كتابه بحسب نظرية العامل وتأثيرها .

جـ - لم يُعْنَ المؤلف بالنحو وحده بل مزجه مع الصرف فترى ذلك واضحاً في عرضه موضوعات مقدمته .

---

599 - المائدة - من الآية / ٢٢ .

600 - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١ / ٢١٩ .

601 - ينظر / ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١/ ١٧٩ ، وسيبويه - الكتاب ١ / ٣٩٧ ، و ابن عقيل - شرح ابن عقيل ١ / ١٦٢ .

602 - مريم – الآية /٦٩ .

603 - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ١٨٠/١ .

د - لم يكن ابن بابشاذ حيادياً في ذكر مسائل النحو بل كان ميّالاً إلى مذهبه البصري دون سواه .

والمقدمة المحسبة تمثل مرحلة مهمة من مراحل التأليف النحوي ، ولها أهميتها عند الدارسين ، ولقد ظهرت بعض الفروق بينها وبين مقدمة خلف الأحمر النحوية أجملها البحث بالاتي :

أ- تُعَدّ ُ مقدمة خلف الأحمر النحوية من القِدَم ما يعطيها الفضل في ذلك على المقدمة المحسبة .

ب - وضع خلف الأحمر قواعده في ظل الرواية ، والسماع ،على حين وضع ابن بابشاذ مقدمته بوجود مادة لغوية مجموعة ومعروضة أمامه .

جـ - تمثل مقدمة خلف الأحمر السهولة واليسر أكثر ما تمثله المقدمة المحسبة ، لأبتعادها في عرض المادة عن الغرض الأساس لها .

د - تميَّزت المقدمة المحسبة بالسعة والشمول لكثير من الآراء والمناقشات، على حين لا يوجد ذلك في مقدمة خلف الأحمر .

هـ - حظيت المقدمة المحسبة بعناية الشُرَّاح والدارسين أكثر من مقدمة خلف الأحمر .

ب- <u>الشروح</u>

تُعَدّ ُ الشروح في النحو العربي من أهم المؤلفات ، وأكثرها التي وصلت إلينا ، لكونها واسعة ، ومتعددة الجوانب ، ومن هذه الشروح ما يأتي:

أ - شرح أبيات سيبويه- لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨)[٦٠٤].

ب - شرح كتاب سيبويه - لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ)[٦٠٥].

جـ - شرح فصيح ثعلب - لأبي منصور محمد بن علي بن عمر بن الجبَّان (ت ٤١٨هـ)[٦٠٦].

---

[604] - مطبوع - بتحقيق / زهير غازي زاهد - النجف الأشرف ١٩٧٤ .

[605] - البكاء - منهج أبي سعيد السيرافي / ٣٠ .

[606] - عواد : كوركيس - أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم - ١٩٨٢ / ١٥٦.

د - شرح توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك - للمرادي (ت ٧٤٩ هـ)[٦٠٧].

هـ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - لبهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)[٦٠٨] .

ولمَّا كانت الشروح كثيرة ، ومتعددة الأزمان ، كانت لنا وقفة مع شرحين مهمين هما :

أ- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب

هو كتاب ألَّفه صاحبه في تقصي أبيات سيبويه الشعرية ، وشرحها وضمَّها في كتاب منفصل .

المؤلف

هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٩٦ هـ)[٦٠٩].

سبب التأليف

ألَّف الأعلم كتابه هذا بطلب من المعتضد بالله ، كما قال : ((هذا كتاب أمر بتأليفه وتلخيصه وتهذيبه وتخليصه المعتضد بالله المنصور بفضل الله ... عناية منه بالأدب وميلاً إليه ، وتَهَمُّماً بعلم لسان العرب عليه .. أمر أدام الله عِزَهُ .. بٱستخراج شواهد كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر وتخليصها منه ، وجمعها في كتاب يخصُّها ...))[٦١٠].

---

607 - مطبوع - بتحقيق / عبد الرحمن سليمان - القاهرة ١٩٧٧ .

608 - مطبوع- بتحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد - بيروت ١٩٧٤ . وله طبعات كثيرة أخرى .

609 - ينظرترجمته / ابن شبهة - طبقات النحاة واللغويين / ٥٤٨ ، والسيوطي - بغية الوعاة ٢/ ٣٥٦ ، والمقري - نفح الطيب ٤ / ٧٥.

610 - الشنتمري : الأعلم (ت ٤٩٦ هـ) - تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب -تحقيق زهير عبد المحسن سلطان - ط ٢- مؤسسة الرسالة - بيروت -١٩٩٤ / ٥٧ .

وفائدة هذا الشرح كما ذكر مؤلفه : ((تلخيص معانيها وتقريب مراميها، وتسهيل مطالعها ومراقبتها ، وجلاء ما غمض منها ....))[٦١١]. فالكتاب تلخيص لمعاني شواهد الكتاب ، وتسهيل مطالعها ، وإبراز معانيها الواضحة بعيداً عن الغموض .

منهج الكتاب

تميز الكتاب بالآتي :

أ- بدأ أولاً بجمع الشواهد الشعرية التي وردت في الكتاب ، وفصَّلها في فصل مستقل ، وقد أشار إلى هذا في مقدمته : ((وجمعها في كتاب يخصُّها ويُفصِّلها))[٦١٢].

ب-يذكر الشاهد في البيت الذي ورد عند سيبويه ، ويذكر صاحبه ، وموضعه مثل ((وأنشد سيبويه في باب ترجمته : هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول لساعدة بن جؤبّة الهذلي [٦١٣]:

لَدْنٌ يَهُزّ ُ الكَفَّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ

فِيْهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيْق الثَّعْلَبُ))[٦١٤].

وقد يعرب الشاهد مفصلاً حتى وجوه الخلاف الواردة عند النحويين ممن خالف سيبويه .

جـ - يهتم بالأنساب ، ويستفيد منها في توضيح ما يريد من أفكار ((كقول الفرزدق :

تَرْفَعُ لي خِنْدِفٌ وَالله يَرْفَعُ لي

نَاراً إذا خَمَدَتْ نِيْرَانُهُمْ تَقِدِ

---

611 - المصدر نفسه / ٥٧.

612 - الشنتمري - تحصيل عين الذهب / ٥٧ .

613 - البيت من شواهد سيبويه ، الكتاب ١٦/١ وهو لساعدة بن جؤبّة شاعر مخضرم من بني هذيل . وفي/ الأنصاري - النوادر في اللغة / ١٦٧، وقد رُوي أوله (لدن بهز) .

614 - الشنتمري - تحصيل عين الذهب / ٧١ .

إذ فَسَّر : ترفع لي قبيلتي من الشرف ما هو في الشهرة كالنار المتوقدة ، وخندف أم مدركة وطابخة آبني اِلياس بن مضر ، وتميم من ولد طابخة آبن اِلياس فلذلك فخر بخندف على قيس غيلان بن مضر))[٦١٥] .

د ـ كان آستقصاء الأعلم الشواهد مرتباً بحسب أبواب كتاب سيبويه التي وردت فيه ((فكان يشرح هذه الشواهد في الباب شاهداً شاهداً ، وربما أضاف إلى شواهد سيبويه في بعض الأبواب شواهد أخرى ذكرها غيره من قدامى النحويين .....))[٦١٦] .

وقد تميَّز الشرح بكثير من الشواهد القرآنية ، وبحسب المعاني التي يراها ملائمة في الموضع المراد شرحه .

من شواهده القرآنية ما جاء في شرحه قول الشاعر :

((سَالْتَاني الطَّلاقَ أنْ رَأتا مَا

لي قَلِيْلاً قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرِ

وَيْكَأنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحـْ

بَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ صُرِّ))[٦١٧]

قال الشنتمري: ((وقوله : (سَالتاني) أبْدِل فيه الهمزة ألفاَ ضرورة ، أو يكون استعمل لغة من يقول سِلْتُهُ أسَالُهُ ... وعليها قراءة من قرأ:((سَالَ سَايلٌ بِعَذابٍ وَاقِعٍ))[٦١٨]))[٦١٩] . كما آستشهد الشنتمري بقوله تعالى : ((وَأرْسَلْنَاكَ للنَّاسِ رَسُوْلاً))[٦٢٠] على مجيء الحال مؤكَّدة[٦٢١].وقال الشنتمري أيضاً : ((الشاهد في قوله قوله : (وَيْكَأنْ) وهي عند الخليل وسيبويه مركبة من (وَيْ) ومعناها التنبه مع (

---

615 ـ المصدر نفسه / ٤٠٨ ، وينظر/سيبويه ـ الكتاب ٤٣٤/١ ، وديوان الشاعر ٢١٦/١ .

616 ـ الشنتمري ـ تحصيل عين الذهب / ٣٧ القسم الأول : الدراسة .

617 ـ المصدر نفسه/٢٩٦ .

618 ـ المعارج ـ الآية /١ ، وينظر / ابن خالويه ـ الحجة في القراءات السبع / ٣٥٢ ، وابن غلبون (ت٣٩٩هـ) ـ التذكرة في القراءات ـ تحقيق ـ د. سعيد صالح ـ بيروت ٥١٣/٢٠٠١.

619 ـ الشنتمري ـ تحصيل عين الذهب / ٢٩٦ .

620 ـ النساء ـ من الآية / ٧٩ .

621 ـ ينظر / الشنتمري ـ تحصيل عين الذهب / ٧٧.

كـأن) التـي للتشـبيه ، ومعناهـا معنـى ((أَلَمْ تَـرَ))[622]))[623] . ومثلـه قـال سـيبويه: ((سألت الخليل رحمه الله تعالى عن قولـه: ((وَيْكَأَنَّـهُ لا يُفْلِحُ))[624] ... فـزعم أنّهـا (وَيْ) مفصولة من (كأنَّ)..))[625].

أما الشعر فأكثر منه أيضاً من ذلك ٱستشهاده بقول عنترة بن شداد :

((وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأبْرَأ سُقْمَهَا قِيْلُ الفَوَارِسِ وَيْك عَنْتَرَ ٱقْدِمِ))[626]

في أثناء شرحه شاهد سيبويه :

وَيْكأنَّ مَنْ يَكُنْ له نشب ..[627]..

قال الشنتمري : ((وزعم بعض النحويين أنَّ قولهم : (وَيْكان) بمعنى وَيْلَكَ ٱعْلَمْ أنَّ ، فحُذِفَتْ اللام من (وَيْلَك) كما قال عنترة ((وَيْك عَنْترة ٱقْدِم)) وحُذِف (ٱعْلَمْ) لِعِلْمِ المخاطب مع كثرة الاستعمال ، وهذا قول مردود لما يقع فيه من كثرة التغيير))[628] .

لم يَعْتنِ الشنتمري بالتدقيق في المسائل النحوية كثيراً بقدر ما يهمه شرح الأبيات الشعرية ، فهو لايتوسع في الآراء النحوية كثيراً بل يأخذ منها ما يفيد شرحه .

ب- شرح ألفية ابن مالك – لٱبن الناظم .

مؤلفه

---

622. - الفيل - من الآية / ١ .
623. - الشنتمري - تحصيل عين الذهب / ٢٩٦ .
624. - القصص - من الآية /٨٢ .
625. - سيبويه - الكتاب ١٥٤/٢ وما بعدها .
626. - عنترة - الديوان - تحقيق - محمد سعيد مولولي - دمشق - ١٩٧٠ /٢١٩ .
627. - ينظر/ سيبويه - الكتاب ١٥٤/٢ .
628. - الشنتمري - تحصيل عين الذهب / ٢٩٦ .

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك بدر الدين الشافعي الطائي المعروف بآبن الناظم (ت ٦٨٦ هـ)[٦٢٩] .

وقد وصف الدكتور محمد علي حمزة هذا الشرح بقوله ((نجد أنَّ شرح ابن الناظم أسهل عبارةً، وأرشق أسلوباً ، وأصفى سبكاً ...))[٦٣٠] . ومن ذلك مثلاً، حديثه عن إعراب الفعل المضارع ، وإنَّه يشابه الأسم في ذلك ، إذ قال : ((أما الفعل المضارع فمحمول في الإعراب على الأسم فكان له ثلاثة أنواع من الإعراب كما للأسم ، فأعْرِب بالرفع والنصب إذا لم يمنع منهما مانع ولم يعرب بالجر لأنَّه لا يكون إلاَّ للإضافة والأفعال لا تقبلها لأنَّ الإضافة إخبار في المعنى والفعل لا يصح أنْ يخبر عنه أصلاً ، فلمَّا لم يعرب بالجر عَوَّض عنه الجزم ، فالرفع بالضمة نحو (زَيدٌ يَقُوْمُ)، والنصب بالفتحة نحو (لن أهابَ زيداً) ، والجر بكسرة نحو (مَرَرْتُ بزيدٍ) ، والجزم بسكون نحو (لم يَقُمْ زيدٌ).....))[٦٣١] .

تأليف الكتاب

ذكر ابن الناظم في مقدمته شرحه أُرْجوزة والده النحوية أنَّه : ((يَحِلُّ منها المُشْكِل ، ويفتح من أبوابها كل مقفل جانبت فيها الإيجاز المُخلّ،والإطناب المُمِلّ ، حرصاً على التقريب لفهم مقاصدها ، والحصول على جملة فوائدها...))[٦٣٢] .

منهجه

آبتدأ ابن الناظم شرحه ، بتعريف النحو في اللغة وفي الاصطلاح، إذ قال: ((النحو في اللغة هو القَصْد ، وفي آصطلاحنا : عبارة عن العلم بأحكام مستنبطة

---

629 - ينظر ترجمته /أبي المحاسن - النجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ ،وابن كثير- البداية والنهاية ٣٦٨/١٣ .

630 - سعيد : محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي / ٥٩ .

631 - آبن الناظم (ت٦٨٦هـ) - شرح ألفية ابن مالك- دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠٣ / ١٣ .

632 - ابن الناظم – شرح الألفية /٥ .

من استقراء كلام العرب))[٦٣٣] . متقصياً كل جوانبه ليجعله واضحاً مفهوماً . ثُمَّ أخذ يتحدث عن الألفية مبيناً أهميتها وميزاتها . قال : ((إنَّ هذه الألفية مع أنَّها حاوية المقصد الأعظم من علم النحو لما فيه من المزية على نظائرها ، أنَّها تقرِّب إلى الإفهام المعاني البعيدة ، بسبب وجازة اللفظ ، وإصابة المعنى وتنقيح العبارة وتبسِّط البذل ...))[٦٣٤] .

وقد أعتمد في أبواب الشرح تماماً على أبواب الألفية ذاتها ، فهو يشرحها مفصلاً ما فيها بالترتيب نفسه الذي خطه والده . وقد تميَّز شرحه بما يأتي :

أ- أستقصى به ما سبق من شروح على الألفية .

ب-تميَّز بالسعة والشمول في استقصاء الشواهد ، ومتابعة آراء النحاة .

جـ - أعتماده على آراء النحاة الأوائل منهم سيبويه ، الكسائي ، والفرَّاء ، والسيرافي ، وابن كيسان وغيرهم ولكن ذلك قليل .

د - شواهده مقسمة بين القرآن والشعر ، فهو يعزِّز شرحه بالكثير منهما .

هـ - يتابع وجوه الخلاف النحوي في كثير من المسائل النحوية ، دون ميل إلى طرف معين من ذلك : ((مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إلاَّ زَيْداً ، ومَا أتاني أحدٌ إلاَّ زيداً والإتباع في هذا النوع على الإبدال عند البصريين ، وعلى العطف عند الكوفيين ...))[٦٣٥]

ز- ((أستدرك على أبيه أوزاناً لم يذكرها في النظم ، قال : ((وقد ذكر الفعيل في السير ونحوه ولم ينبه على ذلك قالوا ذَمَل ذَمِيْلاً ، ووَجَفَ وَجِيْفاً))[٦٣٦]))[٦٣٧] .

وقد كان ابن الناظم في هذا الشرح ، سهل العبارة ، قريب الفائدة والمأخذ ورشيق الأسلوب ، وحسن السبك ، وقد أعطت هذه المزيّة الشرح الحَسن وكثرة الفائدة .

---

633 - المصدر نفسه /٥ .

634 - المصدر نفسه /٦ .

635 - ابن الناظم – شرح الألفية / ١١٦ .

636 - الوجف : سرعة السير ، وأوجفها راكبها ، يقال : راكب البعير يوضِع ، وراكب الفرس يوجِف ، ينظر / الخليل - العين ٦/ ١٩٠ مادة (وجف) .

637 - سعيد : محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي / ٦٠ .

أمثلة من مسائله وشواهده عليها :

يرى ابن الناظم أنَّ (لكنَّ) تفيد الاستثناء المتصل إذا دخلت في حكم دلالة المنطوق ، وٱستدل بقوله تعالى : ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُوْلَ اللهِ))[٦٣٨] ، إذ قال : ((لا يسمى في اصطلاح النحويين استثناء بل يختص بٱسم الٱستدراك ، وقولي : لمّا دخل تعميم الاستثناء المفرد والجملة ، وقولي في حكم دلالة المفهوم مخرج للٱستثناء المتصل فإنَّه إخراج لِما في حكم دلالة المنطوق))[٦٣٩] وقد تابع السيرافي في ذلك : ((قال السيرافي : (إلاّ) بمعنى (لكن) لأنَّ ما بعدها مخالف لِما قبلها))[٦٤٠] .

وٱهتم ابن الناظم في شرحه بمسائل الخلاف بين المذهبين البصري والكوفي ، من ذلك ، ما ذكره حول إجازة الكوفيين لتوكيد النكرة المحدودة ، ومَنْعُ البصريين ذلك في قول الشاعر :

((إنَّا إذا خطَّافُنا تَقَعْقَعَا قَدْ صُرَّتِ البَكْرَةُ يَوْماً أجْمَعَا))[٦٤١]

إذ أجاز الكوفيون في القياس توكيد المثنى في التذكير بأجمعين ، ولا يجوز ذلك عند البصريين [٦٤٢] .

جـ - الحواشي

الحواشي هي الأخرى نمطٌ مهمٌ من أنماط التأليف التي كثر الحديث عنها في دراسات المحدثين ، وقد ذكرها مُفصِّلاً عددها الدكتورعبد الهادي الفضلي في كتابه (فهرست الكتب النحوية المطبوعة) منها :

((١- حاشية ابن هشام على المغني - لٱبن هشام الأنصاري .

---

638. - الأحزاب - من الآية / ٤٠ .
639. - ابن الناظم - شرح ألفية ابن مالك / ١١٣ .
640. - المصدرنفسه / ١١٤ .
641. - الشاهد مجهول القائل ورد في/ البغدادي - خزانة الأدب ٣٥٧/٢ ، وينظر/ الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٥٤/٢ .
642. - ينظر/ ابن الناظم - شرح ألفية ابن مالك / ١٩٤ ، ١٩٥ .

٢- حاشية الشريف الجرجاني على شرح الرضي للكافية - الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ).

٣- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل - لمحمد بن مصطفى الخضري (ت١٢٨٧ هـ)[٦٤٣]))[٦٤٤].

وقد عرض البحث لحاشيتين هما :

أ - حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك

المؤلف

محمد بن علي الصبان أبو العرفان (ت ١٢٠٦ هـ)[٦٤٥]

سبب التأليف

قال الصبَّان : ((هذه حواشٍ شريفةٍ، وتقريرات جليلة منيفة ، وتحقيقات فائقة ، وتدقيقات رائعة . خدمت بها شرح العلامة نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الأشموني))[٦٤٦] .

وقد آمتازت الحاشية بمميزات هي :

١- الاهتمام بآراء السابقين الذين عَلَّقوا على شرح الأشموني منبهاً لما وقع لهم من إبهام ، وهفوات في طريقة الشرح ، والاعتماد على الدليل ، منهم الشيخ المدابغي ، والبليدي ، ويوسف الحنفي كما أشار لهم في مقدمة حاشيته[٦٤٧].

---

643 - محمد بن مصطفى بن حسن الخضري ، فقيه شافعي ، عالم بالعربية ، ولد في دمياط بمصر (ت ١٢٧٨ هـ). ينظر ترجمته / الزركلي - الأعلام ١٠٠/٧ .

644 - الفضلي : عبد الهادي - فهرست الكتب النحوية / ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ .

645 - ينظر / الصبّان - حاشية الصبّان ٢٧/١ .

646 - المصدر نفسه ١/ ٢٩ .

647 - ينظر / المصدر نفسه ١/ ٢٨١ ، ٢٨٢ .

٢- تابع الصبّان أسلافه من النحاة في الإكثار من الشواهد القرآنية ، معزِّزاً شروحه في الحاشية بها ، إذ وصل عدد الآيات المستشهد بها إلى (تسع مئة وٱثنتين وعشرين) آيةً ، إما الحديث النبوي الشريف ، فكان نصيبه قليلاً عنده ، فعدد الأحاديث لم يتجاوز (السبعة والأربعين) حديثاً ، وكان الشعر له الدرجة الثانية من الكثرة في الحاشية ، فقد وصل عدد الأبيات المستشهد بها إلى (مئتين وتسعةٍ وثمانين) بيتاً .

٣- يذكر الصبَّان آراء كبار النحاة السابقين ، مشيراً إليهم وإلى كتبهم من مثل ((قال ابن هشام ولا يحفظ وصلها بجملة ٱسمية)) [٦٤٨] في حديثه عن (ما) المصدرية موصولة الأسمية التي تدل على حدث معين.

وفي موضع آخر ((قال الرضي : إنَّما سقط التنوين مع لام التعريف لأنَّه يلزم عليه ٱجتماع حرف التعريف وحرف يكون في بعض المواضع علامة التنكير ، وفي ذلك قبح لا يخفى والنون لا تكون للتنكير أصلاً فلذلك ثبت معها))[٦٤٩] .

يقصد هنا الرضي الاستر بادي في شرح الكافية.

أو يذكر الكتاب من غير ذكرٱسم المؤلف مثل : ((قال في المغني))[٦٥٠] .

٤- سعة الحاشية وشمولها ، دليل على قدرة مؤلفها الثقافية ، واستيعابه مؤلفات السابقين والمعاصرين إيّاه .

٥- أعطت حاشية الصبّان شرح الأشموني أهمية كبيرة بما كشفته من أسرار لغوية ، ونحوية في داخل هذا الشرح ، لكونه يفصِّل في الشرح ويزيد ، ومثال ذلك ؛ حديثه عن (أيّ) الموصولة ، إذ تحدَّث عنها كاشفاً كل ما يحيط بها من أمور على عكس الأشموني في شرحه قال الصبّان : ((أيّ الموصولة التي الكلام فيها أما الواقعة نعتاً أو حالاً فلا تضاف إلاّ إلى نكرة، وأما الشرطية والآستفهامية فيضافان إلى النكرة وكذا إلى المعرفة الدالة على متعدد نحو (أيُّ الرجال أفضل) أو المفردة المقدر قبلها دال على متعدد نحو (أيّ

---

[648] - الصبان ٧٨/٣ .

[649] - المصدر نفسه ١٦١/١ .

[650] - المصدر نفسه ٧٢/٤. ويقصد ابن هشام في مغني اللبيب .

زيد أحسن) ....))[٦٥١] فالصبّان يُعدد كل أنواع (أي) وما يتصل بها ، ثُمَّ يعود يعرّف بالموصولة : ((إنْ قِيل الموصولة معرفة بصلته فيلزم آجتماع معرفين على أي ، أجيب بأنّ أيّاً لوضعها على الإبهام محتاجة إلى تعريف جنس ما وقعت عليه والى تعريف عينه ، فالأول بالمضاف إليه ، والثاني بالصلة ..))[٦٥٢]

٦- تعمق المؤلف في تفصيل المادة ، وتخريج أسانيدها من خلال تتبع دلالة الكلمة وأثرها في الجملة ، مثال ذلك ، متابعته كلمة (ثُلاَث) مما وازن (مَثْنى) قال : ((لأنَّ الصفة لما ذهبت خلفتها العلمية ، وما نقله عن أبي علي عن الأخفش وأبي العباس وغيهما ، وعبارته ، وقال الأخفش في المعاني وأبو العباس : إنَّه لو سمي بمَثْنى أو أحد أخواته آنصرف لأنّه إذا كان آسماً فليس في معنى آثنين وثلاثة وأربعة فليس فيه إلاّ التعريف خاصة ، وتبعهما على ذلك الفارسي وآرتضاه ابن عصفور..))[٦٥٣] .

ومن أمثلة شواهده ، آستشهاده بقوله تعالى : ((يَوَدّ ُوْا لَوْ أنَّهُمْ بَادُ ُوْنَ في الأعْرَابِ))[٦٥٤] على أنّ (لو) في الآية وقعت مصدرية بعدها أنْ وصلتها[٦٥٥] .

ب ـحاشية السجاعي على شرح ابن هشام قطر الندى وبل الصدى

المؤلف

هو أحمد بن أحمد بن محمد السباعي البدراوي ، فقيه شافعي مصري نسبته إلى مدينة (السجاعية) من غربية مصر (ت ١١٩٧ هـ)[٦٥٦] .

---

651 - الصبّان - حاشية الصبان ٢٦٨/١ .
652 - المصدر نفسه ١/ ٢٦٨ .
653 - الصبّان - حاشية الصبان ٣/ ٣٥٤ .
654 - الأحزاب - من الآية / ٢٠ .
655 - ينظر / الصبّان - حاشية الصبان ١/ ٢٨٢ .
656 - ترجمته في/ الحسني : علي بن زيدان - إتحاف أعلام الناس ٣٤١/١. ملاحظة (السباعي ، هو السجاعي نفسه) .

سبب التأليف

وهي حاشية توضِّح ما أبهم على الدارس في كتاب ابن هشام الأنصاري ، قطر الندى وبل الصدى ، قصد مؤلفها نفع المسلمين عموماً بها ، قال : ((هذه تعليق لطيف على شرح القطر لمؤلفه العلامة ابن هشام نفعني به والمسلمين الملّك العلاّم))[٦٥٧].

منهج الحاشية

تميز منهج السجاعي بمميزات هي كالآتي :

١- اهتمامه بآراء السابقين من النحاة ، فأكثر من مقارنة آرائهم بما في قطر الندى من مسائل ، فهو يعتمد على أقوال الزمخشري من ذلك قوله في باب الصفة : ((قال صاحب الكشاف إنَّ ((مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ))[٦٥٨] متعلِّق بمضمر والتقدير إلاّ موصياً أو مكلِّماً من وراء حجاب))[٦٥٩] . وآراء ابن الحاجب مثل قوله في باب الحال : ((وجرى على هذا ابن الحاجب فقال في كافيته الحال ما يبيِّن هيئة الفاعل أو المفعول ...))[٦٦٠] ، وابن عصفور في المقرَّب ، والسيوطي وغيرهم .

٢- عُني بمسائل الخلاف النحوية بين المذهبين ، فأشار إلى نقاط الخلاف في بعض المسائل من ذلك مثلاً عند ذكره (حيث): ((أنّ النحاة نصبوا على أنَّ الظرف الذي يتوسع فيه لايكون إلاّ متصرفاً ، وإذا كان كذلك أمتنع نصب (حيث) على المفعول به لا على السعة .... وأعترضه بعضهم بأنَّه يقتضي أنّه أنفذ في المكان دون غيره ، وأجيب بأنَّ إنَّما جاء من (حيث) مفهوم الظرف فيترك هذا المفهوم لقيام الدليل على خلافه))[٦٦١]

---

657 - السجاعي - حاشية السجاعي على شرح ابن هشام قطر الندى وبل الصدى - بهامش محمد الأنبابي - مطبعة الاستقامة - القاهرة - ١٩٤٨ / ٢.

658 - الأحزاب - من الآية / ٥٣ .

659 - السجاعي - حاشية السجاعي / ٣٤ .

660 - المصدر نفسه /١١٠ .

661 - السجاعي : حاشيته / ١٠٦ .

٣- أكثر من الشواهد القرآنية والشعرية ، فتراه يعرب الآية بعض الأحيان ، أو يعرب البيت الشعري أو الشاهد فيه ، من ذلك آستشهاده بآياتٍ متعددة على مجيء الحال وصفاً نحو قوله تعالى : ((وَلا تَمْشِ في الأرْضِ مَرِحاً))[٦٦٢]، وقوله ((إنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الأرْضَ))[٦٦٣] أي تثقبها حتى آخرها بالكبرياء والزيف[٦٦٤] ، وقوله ((وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلاً))[٦٦٥] أي لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال[٦٦٦].

وكذلك يشرح شواهد القطر ، مشيراً إلى البحر الذي منه البيت ،ويذكر موضع الشاهد ، ورأي السابقين فيه من ذلك شرحه قول الشاعر:

((لِمَيَّةَ مُوْحِشاً طَلَلُ يَلُوْحُ كَأنَّهُ خَلَلُ))[٦٦٧]

فقد شرحه السجاعي بقوله : ((قَوْلِهِ لِمَيّة) بفتح الميم وتشديد الباءآسم آمرأة ، والجار والمجرور متعلِّق بمحذوف خبر عن (قَوْلِهِ طَلَلُ) وهو بفتحتين ما ظهر من آثار الديار ويلوح أي يتلألأ ، والخلل بكسر الخاء المعجمية جمع خلة قال الجوهري : الخلة بالكسر واحدة خلل السيوف . أفاد قوله (فَمُوْحِشاً من طَلَلِ) إنَّما يأتي على جواز مجيء الحال من المبتدأ))[٦٦٨] .

٤- آهتمَّ السجاعي بذكر المصادر التي ترد في حاشيته ، وأسماء مؤلفيها من ذلك ، ذكر الزمخشري وكتابه الكشّاف في القراءات والتفسير ، وآعتمد على آرائه في كثير من المسائل ولا سيما في تفسير الآيات القرآنية ، فتراه يقول : ((وقال صاحب الكشّاف ...))[٦٦٩] ، ويذكر السيوطي كثيراً ويعتمد أقواله ((وذكره السيوطي في المزهر ...))[٦٧٠] .

---

662 - الإسراء - من الآية / ٣٧ .
663 - الإسراء - من الآية / ٣٧ .
664 - ينظر / الطبرسي - مجمع البيان في تفسير القرآن ٦ / ٢٥٠ ، ٢٥١ .
665 - الإسراء - من الآية / ٣٧ .
666 - ينظر / السجاعي - حاشية السجاعي / ١٠٩ .
667 - عزة : ديوان كثير - تحقيق د. أحسان عباس – بيروت – ١٩٧١ / ٥٠٦ .
668 - السجاعي - حاشية السجاعي / ١٠٩ ، ١١٠ ، وينظر/ ابن هشام - شرح قطر الندى وبل صدى / ٢٥٩ .
669 - السجاعي - حاشيةالسجاعي /٣٤ .
670 - المصدر نفسه / ٣٨ .

٥- آهتمَّ السجاعي بالقراءات القرآنية في بعض الأحيان ، يعرض لها من ذلك في الجواب عن قوله تعالى : ((وَيَسْئَلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ قُلْ العَفْوَ))[٦٧١] نجده يقول : ((قُرِيءَ في السبع برفع العفو ونصبه))[٦٧٢] يعني القراءات السبع .

د - المنظومات

أمّا هذا النمط فقد كثر في العربية عند متأخري النحاة ، إذ ظهرت مجموعة منظومات منها :

أ- منظومة الخليل النحوية التي تُعَدّ من أقدم المنظومات في النحو العربي، وسيعرضها البحث شاهداً .

ب- منظومة الحريري (ت ٥١٦ هـ) المعروفة بـ (ملحمة الإعراب)[٦٧٣] .

جـ- ألفية بن معطٍ (ت ٦٢٨ هـ)[٦٧٤].

د -ألفية ابن مالك ، وهي مشهورة جداً ، وشهرتها بكثرة شروحها ، وآستفادة الدارسين منها - سيتناولها البحث شاهداً - ومن المنظومات :

الأولى - منظومة الخليل النحوية

إذ تُعَدّ هذه المنظومة من أقدم المنظومات النحوية ، نظمها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، على البحر الكامل (مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ) في مئتين وثلاثة وتسعين بيتاً [٦٧٥]، كما ذكر ذلك محققها الدكتور أحمد عفيفي الأستاذ بكلية دار العلوم /

671. - سورة البقرة - الآية / ٢١٩ .
672. - السجاعي - حاشية السجاعي / ٥١ .
673. - سعيد : محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي / ٢٢ .
674. - خليفة : حاجي - كشف الظنون ١٥١/١ .
675. - ينظر / الخليل - المنظومة / ٣٥ وما بعدها .

/ جامعة القاهرة [٦٧٦]. وقد خرج المحقق بعدة نتائج من خلال تحقيقه هذه المنظومة النحوية ، نذكرها نصاً كما هي :

((١- هذه المنظومة كشف جديد لعمل من أعمال الخليل ، وهو مَنْ هو في حقل الدراسات اللغوية نحواً وصرفاً وأصواتاً وعروضاً .

٢- المنظومة منهج جادّ لتعليم النحو بشكل أكثر يُسراً على الطلاب حتى ولو احتاج الأمر إلى معلم يكشف عن خباياها ونظامها .

٣- التأكيد على أنَّ الخليل مؤسس المدرسة البصرية ومؤصل قضاياها النحوية والمؤثر الأول في النحو الكوفي ، لأنَّ الكوفيين تتلمذوا على يديه أما مباشرة مثل الكسائي الذي وافق الخليل في كثير من آرائه أو من خلال كتاب سيبويه الذي يحمل فكر الخليل أيضاً .

٤-الكشف عن صورة شخصية الخليل حكمة وتديُّناً وعن بعض جوانب حياته الاجتماعية)) [٦٧٧] .

بدأت المنظومة بمقدمة تتألف من (ستة وعشرين) بيتاً أولها :

((الحَمْدُ للهِ الحَمِيْدِ بِمَنِّهِ أوْلَى وأفْضَلُ ما ٱبْتَدَأتْ وَأوْجَبُ

حَمْداً يَكُوْنُ مُبَلِّغي رِضْوَانَه وَبِه أصِيْرُ إلى النَّجاةِ وأقرَبُ))[٦٧٨]

ثُمَّ يُبيِّن غايته من نظم هذه القصيدة بقوله :

((إنِّي نَظَمْتُ قَصِيْدَةً حَبَّرْتُها فِيْها كَلامٌ مُونِقٌ وَتَأدُّبُ

لِذَوِي المُرُوْوَةِ والعُقول ِوَلَمْ أكُنْ إلاَّ إلى أمْثَالِهم أتقرَّبُ))[٦٧٩]

أي أنَّه نظمها نظماً أنيقاً ، وبأدبٍ رفيع مخاطباً بها أصحاب العقول الواعية من أبناء الأمة ، لينبههم على أهمية العربية ، ونحوها ، فمن يتعلم النحو تعلُّماً

---

676 - ذكر المحقق في مقدمته أنّه وجد المنظومة في سلطنة عُمان حينما عمل أستاذاً بجامعة السلطان قابوس . ينظر / منظومة الخليل / ١٢ ، ١٣ . ونُشِرت على الأنترنت قبل أنْ تنشر في كتاب على الموقع (Islam on line .net).

677 - الخليل - المنظومة النحوية /١٥١.

678 - الخليل - منظومة الخليل / ١٩٥ .

679 - المصدر نفسه / ١٩٥ .

صحيحاً لا يستطيع أحد أنْ يعيب فصاحته ، فالناس أعداء بجهلهم وابتعادهم عن العلم ، يتضح لك هذا في قوله:

((إنَّ الفَصَاحَة غَيْرُ شَكٍّ فاعلَمَنْ مِمَا يُزِيْدُكَ خُطْوَةً وَيْقَرِّبُ

وَالنَّاسُ أعَداءٌ لِمَا لَمْ يَعْلمُوا فَتَرَاهُمُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ يُجْلَبُ))[٦٨٠]

وقد آستشهد بالآية : ((مِنْ كُلِّ فَجٍّ))[٦٨١]، يريد أنَّ الناس يتوافدون إلى روافد العلم من كل فجٍّ . ثُمَّ يصف هذه القصيدة بالعربية الخالية من العيوب في أبياتها ، وتزهو بها العربية الفصحى إذا أنشدت ، تعجب كل سامع يطرق مُنصتًا إليها ، قال :

((عَرَبِيةً لاعَيْبَ في أبْيَاتِها مِثْلَ القَناةِ أُقِيْمَ فيها الأكْعُبُ

تَزْهُوْ بها الفُصَحاءُ عِنْدَ نَشِيْدِها عُجْباً ويُطْرِقُ عِنْدَها المُتأدِبُ))[٦٨٢]

والخليل يشير إلى مواضع الخلل في اللسان العربي التي أساسها اللحن ، الذي هو السبب الرئيس في نشأة علم النحو . ويحذر المتكلِّم من الوقوع فيه :

((فإذا نَطَقْتَ فَلا تَكُنْ لَحَّانَةً فَيَظَلّ يُسْخَرُ مِنْ كَلامِكَ مُعْرِبُ))[٦٨٣]

ثُمَّ يتحدث عن حركة الكلام ، وكيف يسير من رفع إلى جر إلى نصب مشيراً إلى الحركات في العربية بقوله :

((النَّحْوُ رَفْعٌ في الكَلامِ وبَعْضه خَفْضٌ وَبعضٌ في التكلُّم يُنْصَبُ))[٦٨٤]

فالنحو قائم بهذه الحركات الرفع بالضمة ، والنصب بالفتحة ، والجرِّ ــ الخفض ــ بالكسرة ، وليس من السهولة معرفة علم النحو ، لكونه بحراً عميقاً لايدرك أسراره إلاّ من قصد الإبحار فيه ، فهو يُهذِّب اللسان ، قال :

((النَّحوُ بَحْرٌ لَيْس يُدْرَك قَعْرُهُ وَعْرُ السَّبيلِ عُيُوْبُه لاتَنْضُبُ

---

680. ـ المصدر نفسه / ١٩٦

681. ـ الحج ـ من الآية / ٢٧

682. ـ الخليل ـ المنظومة / ١٩٦. مادة (كعب) الكعب هو العظم الناتيء من الساق . وينظر/ الخليل ـ العين ٢٠٧/١

683. ـ الخليل ـ المنظومة / ١٩٩

684. ـ المصدر نفسه / ١٩٩

فٱقْصُدْ إذا ما عُمْتَ في ٱذيّهِ فالقَصْدُ أبْلَغُ في الأمورِ وأذْرَبُ[٦٨٥]

وٱسْتَغْنِ أنْتَ ببَعْضِهِ عن بَعضه وَصُنِ الذي عَمِلْتَ لا يَتَشَذّبُ))[٦٨٦]

عالج الخليل في منظومته أموراً نحوية مهمة ، بأسلوب مُيَسَّر عذبٍ ، فزَادَتْني المنظومة إعجاباً فوق إعجابه بقدرة الخليل وعبقريته الفذّة، التي استطاع بها أنْ ينتج مثل هذه القصيدة ، التي تشير إلى أقدم المنظومات النحوية، وقدّم الشعر التعليمي أيضاً . بل أنَّ هذه المنظومة ((هي أول منظومة في النحو العربي ، بل هي أول عمل يأتي مخطوطاً دون تشويه))[٦٨٧] وقد كان منهج الخليل سهلاً مُيَسَّراً بعيد اً عن التعقيد ، استطاع أن يمهد للدخول في القصيدة بأسلوب بارعٍ[٦٨٨] ، وقد جاء في منظومته أجزاء من آيات القرآن الكريم على سبيل الٱستشهاد من ذلك مثلاً قوله :

((والنَّاسُ أعْداءٌ لما لم يَعْلموا فَتَرَاهُمُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ يجلبُ))[٦٨٩]

إذ استشهد بقوله تعالى ((مِنْ كُلِّ فَجٍّ))[٦٩٠] ، وكذلك قوله تعالى ((إنَّ الصَّلاة))[٦٩١]في باب (أي) قال :

((فأجِبْ ولاتَدَعْ الصَّلاةَ جَمَاعَةً إنَّ الصَّلاة مع الجماعة أطْيَبُ))[٦٩٢]

وقد طرح الخليل في منظومته مسائل كثيرة منها إفادة (حتى) الغاية في باب (حتى إذا كانت غاية) في قوله :

((وإذا أتَتْ حَتى وَكَانَتْ غَايَةً فٱخْفِضْ وإنْ كَثرُوا عَلَيْكَ وَألْبُوا

فتَقُوْل : قَدْ خَاصَمْتُ قَوْمَكَ كُلَّهُمْ حتى أخِيْكَ لأنَّ قَوْمَك أذْنَبوا

وَلَقَدْ أكَلْتُ الحُوْتَ حتى رَأسِهِ حَتى أخُوْكَ يَلُوْمَني وَيُؤَنِّبُ))[٦٩٣]

---

685. - الذَّرْب : الأكثر حدة ، وذكاء . ينظر / الخليل - العين ٨/ ١٨٤ .

686. - الخليل - المنظومة / ٢٥٣ .

687. - المصدر نفسه / ٥٤ .

688. - ينظر/ الخليل - المنظومة /٥١ .

689. - المصدر نفسه / ١٩٦ .

690. - الحج - من الآية / ٢٧ . وقد ورد هذا البيت في ص ١٦٢ من البحث .

691. - النساء - من الآية / ١٠٣ وتكملة الآية ((أنَّ الصلاة كانت على المؤمِنِيْنَ كِتاباً مَوْقُوْتاً)).

692. - الخليل - المنظومة / ٢٢٦ .

693. - المصدر نفسه / ٢٢٠

وكذلك في باب (التحذير) جعل النصب بفعل مقدَّر بـ (احذر) وقد ورد ذلك في قوله :

((وَكَذلكَ التَّحْذِيْرُ نَصْبٌ كُلُّهُ النَّارَ فاحذرْ إنَّ يَوْمَكَ يَقْرَبُ))[٦٩٤]

أمّا عن وجود المنظومة ، فقد أشار المحقق ، إلى وجود عشر نسخ ، منها ثمانية في دار المخطوطات في وزارة الثقافة والتراث في سلطنة عُمان ، ونسختان في مكتبات شخصية[٦٩٥] . ولزيادة الفائدة أذكرُ مجموعة من أبيات المنظومة وأبوابها كالآتي :

جاء في باب رفع الآثنين :

((وَالرَّفْعُ في (الإثنين) بالألف التي بَيّنتها لكَ في الكتابِ مُبَوّبُ
رَجُلانِ أوْ أخَوَانِ فاعْلَم أنّهُ كالخِفْضِ نصبُهما معاً يا حوْشبُ
والنُوْنُ في الاثنين خَفْضٌ والتي في الجمْعِ تَنْصِبُ تارةً وتُقَلَّبُ))[٦٩٦]

وفي باب الأمر والنهي بالنون .... :

((والأمْرُ بالنُوْنِ الخفيفةِ فاعْلَمَنْ والنَّهيُ أصْعَبُ في الكلامِ وأعزَبُ
لاتعْصِيَنَّ الله واطْلُبْ عَفْوَه لاتَشْرَبَنْ خَمْراً فَبِئْسَ المَشْرَبُ))[٦٩٧]

وذكر الخليل في باب (النسق) ــ أو العطف ــ وعدد حروف العطف وعَدَّ منها (لا) النافية غير العاملة الزائدة لفائدة العطف ، قال :

((فانسقْ وَصِلْ بالواوِ قَوْلَكَ كُلّهُ وبِلاَ وَثُمَّ وأوْ، فَلَيْستْ تَصْعُبُ
والفاء ناسِقةٌ كَذَلِكَ عِنْدَنا وَسَبِيْلُها رَحْبُ المَذَاهِبِ مَشْعَبُ))[٦٩٨]

وأرى أنَّ منظومة الخليل أكثر سهولة ، ووضوحاً من غيرها من المنظومات التي أتت بعدها .

---

694 - المصدر نفسه / ٢٢٧ .
695 - ينظر / المصدر نفسه / ١٥٥ وما بعدها .
696 - المصدر نفسه /٢٠٠ . الحوْشب : عظيم البطن وهو من أسماء الرجال، ينظر/ الخليل - العين ٣/ ٩٧ .
697 - الخليل - المنظومة / ٢١٩ .
698 - المصدر نفسه /٢٢٤.

الثانية- ألفية ابن مالك

مؤلفها

هو الإمام ابن مالك الجياني النحوي[٦٩٩] .

تسميتها

إنَّ تسمية الألفية لأنَّها ألف بيت من الرجز [٧٠٠]، ومأخوذة من قوله :

وَأسْتَعِيْنُ الله في ألْفِيَّهْ مَقاصِدُ النَّحْوِ بِهَا مَحْوِيهْ

وتسمّى أيضاً الخلاصة:

أحْصَى مِنَ الكَافِيْةِ الخُلاصَهْ كما أُقْتَضَى غِنَى بِلا خَصَاصَهْ

أهميتها

تُعَدّ ُهذه الألفية من أهم المنظومات النحوية ، وقد كُتِبَ لها شهرة لم تكتب لغيرها ، لأنَّ كثيراً من الدارسين آتجهوا إليها بالشرح ، فكَثُرت شروحها ، والحواشي عليها، وأقبل على حفظها أكثر طلاب العلم لسهولتها ، وآختصارها كلّ أبواب النحو العربي .

شروحها

شُرِحت ألفية ابن مالك شروحاً كثيرة منها على سبيل المثال :

١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - لآبن هشام الأنصاري[٧٠١].

---

699 - ترجمته في الفصل الأول - ملاحظة (نقل نص المنظومة من / السيوطي - البهجة المرضية ، وألفية ابن مالك - بخط - يحيى سلوم العباسي - بغداد - ب ت).

700 - ينظر / خليفة : حاجي - كشف الظنون ١/ ١٥١ .

701 - حققه - عبد المتعال الصعيدي - القاهرة ١٩٦٤ .

٢- شرح ابن عقيل المشهور[٧٠٢]. وهو شرح له أهميته في الدراسات النحوية ، جمع كُلّ ما يحيط بمسائل النحو ، فيه شواهد قرآنية ، وشعرية كثيرة الغاية منها توضيح المسائل النحوية وتعليلها .

٣- البهجة المرضية في شرح الألفية - لجلال الدين السيوطي [٧٠٣]، شرح ميسر لألفية ابن مالك ، آبتعد فيه السيوطي عن التعمق والتعقيد ليكون أكثر يُسْراً وسهولة .

مكانتها بين المنظومات النحوية

لألفية ابن مالك مكانة مهمة بين المنظومات النحوية ، لوضوح أسلوبها، ودقّة التعبير فيها ، وجاءت هذه الألفية تقليداً لألفية ابن معط (ت ٦٢٨ هـ)[٧٠٤]، قال بروكلمان : ((هي منظومة تعليمية للنحو قلَّد فيها ابن معطٍ))[٧٠٥]، وهي أكثر المنظومات النحوية شرحاً وآهتماماً ،اذ آحتوت أهم أبواب النحو والصرف .

منهج الألفية

ورد في الألفية ثمانية وسبعون باباً من أبواب النحو والصرف ، فهي تمثِّل قمة التأليف الشعري في النحو العربي ، إذ قُصِدَ منها تسهيل الحفظ على الدارس ، ويتضح هذا في قوله :

نُقَرِّبُ الأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوْجَزٍ وَنَبْسُطُ البَذْلَ بِوَعْدٍ مُنْجَزِ

وقد بدأها بمقدمة حمد فيها الله تعالى ، وصلى على رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلَّم) منها قوله :

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ آبْنُ مَالِكِ أَحْمَدُ رَبِّي الله خَيْرَ مالِكِ

---

[702] - حققه - محمد محيي الدين عبد الحميد - مصر ١٩٦٤ .

[703] - مطبوع - علق عليه / مصطفى الحسيني الدشتي - وينظر للمزيد حول شروح الألفية / بروكلمان - تاريخ الأدب العربي٣٥٩/١ ــ ٣٦٣، الصبّان - حاشية الصبان ١١/١ ــ ١٧، وخليفة : حاجي - كشف الظنون ١٥١/١ ـ ١٥٥.

[704] - هو الشيخ زين الدين أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي / ترجمته في / أبي المحاسن - النجوم الزاهرة ٢٧٨/٦.

[705] - بروكلمان - تاريخ الأدب العربي ٣٥٩/١. كما ينظر/ المقري - نفح الطيب ٢/ ٤٣١، إذ عقد المقري التلمساني موازنة بين ألفيتي ابن مالك وابن معطٍ ، لامجال لذكرها هنا ، لعدم تعلّق الموضوع المطروح بالموازنة بينهما ، وقد ذكرها البحث مشيراً لأهميتها .

مُصَلِّياً على النَّبيِّ المصطفى وَآلِهِ المُسْتَكْمِلينَ الشَّرفا

ثُمَّ يذكر من سبقه في هذا النوع من النظم ، وأنَّ ألفيته أكثر تفوقاً من ألفية ابن معطٍ سابقه ، لكنه يعترف له بالجميل والعرفان بقوله :

وتَقْتَضي رِضاً بغَيْرِ سُخْطِ فَائِقَةً ألفِية ٱبنِ مُعْطِ

وَهْوَ بِسَبْقٍ حَائِزٌ تَفْضِيلاً مُسْتوجِبٌ ثَنائي الجَميلاَ

ثُمَّ ينتقل بعد هذه المقدمة مفصلاً في أبواب النحو ، وأولها الكلام وتقسيماته ، اذ قال:

كَلامُنا لَفْظٌ مُفِيْدٌ : كٱسْتَقِمْ وَٱسْمٌ ، وفِعْلٌ ، ثُمَّ حَرْفٌ الكَلِمْ

والمنظومة مقسَّمة أبوابها ، فتقرأها وكأنك تطالع كتاباً مقسماً بدقة وسبكٍ أبواباً وفصولاً . فمثلاً يذكر باب الأفعال بقوله :

بِتا فَعَلْتَ وأتَتْ وَيافْعَلي ونُونِ أقْبَلَنَ فِعْلٌ ينجَلِيْ

وقد خلط ابن مالك في الألفية بين النحو والصرف ، فتناول أحرف الإبدال والإعلال وغيرها في قوله :

أحْرُفُ الإبدال هَدّأتِ مُوطِياً فإبْدَال الهَمْزَةِ مِن وَاوٍ وَيا

وفي الإعلال قوله :

وَإنْ لِحَرْفَينِ ذَا الإعْلالَ ٱسْتَحَقْ صَحَح أوْل،وعَكْسٌ قَدْ يُحَقْ

وفي معنى التصريف قوله :

حَرْفٌ وشِبْهُ مِن الصَّرفِ بَرِيْ وَمَا سِوَاهُما بِتَصريْفٍ حَرِيْ

ثُمَّ يختم ألفيته كما ٱبتدأها بالحمد لله ، والصلاة على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي خصّه بهذه الموهبة قال :

فَأحْمَدُ اللهَ مُصَلياً على مُحَمَّدٍ خَيْرِ نَبيٍّ أُرْسِلا

وَآلِهِ الغُرِّ الكِرامِ البَرَرَهْ وصَحْبِهِ المُنْتَخَبِيْنَ الخِيَرَهْ

وللمنظومة منهج نحوي متكامل ، إذ حفلت بالٱستشهاد بآيٍّ من الذكر وأشعار العرب ، فمن ٱستشهاده بالقرآن الكريم قوله :

وَعَامِلُ الحَالِ بها قَدْ أكِدِّ في نَحْوِ((لاتَعْثَ في الأرضِ مُفْسِداً))[٧٠٦]

---

[706] - ابن عقيل - شرح ابن عقيل ١/ ٥٧٥ .

وهو قوله تعالى ((ولا تَعْثُوا في الأرْضِ مُفْسِدِيْنَ))[٧٠٧] .

أما الشعر ففي قوله يستشهد لموضوع المفعول له :

وَقَلَّ أنْ يَصْحَبَها المُجَرَّدُ والعَكْسُ في مَصْحُوب ألْ وأنْشَدُوا

لا أقْعُدُ الجُبْنَ عَنِ الهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَتْ زُمَرُ الأعْداءِ[٧٠٨]

كما آهتمَّ ابن مالك بلغات العرب ، فذكر بعضها في ألفيته ومنها (طي) في قوله : [٧٠٩]

وَمَنْ ، وَما ، وَألْ تُسَاوِي ما ذُكِر وَهَكذا ذُوْ عندَ طَيٍّ شُهرْ

كما ذكر الخلاف بين المذهبين في التنازع في قوله : [٧١٠]

والثَّانِ أوْلَى عِنْدَ أهْلِ البَصْرَهْ وآخْتارَ عَكْساً غَيْرُهُمْ ذا أيْسَرهْ

بهذا تكون ألفية ابن مالك شاملة أبواب النحو ، ولغات العرب ، لذا أحَبَّها طلبة العلم وحفظوها لسهولتها وشموليتها ، من خلال هذا العرض الموجز لأنماط التأليف النحوي ، يجد الباحث أنَّ النحو العربي كلمّا وصل مرحلة زمنية ، وجد أُناساً يحاولون بحرصٍ وجدٍّ إغناء مسيرته نحو الرقي والصمود بوجه اللحن ، والدخيل من اللغات . والتأليف في النحو عبر مراحله ، يمثل مرحلةً راقيةً ، وسامية من مراحل التطوُّر النحوي، على الرغم ممّا فيه من هفوات لا يعيب كونه تراثاً خالداً ، يرفد حضارة الأمة ، ويسمو بلغتها . وإنَّما يعيب المنهج الذي وضع عليه الكتاب ، فتبقى كتب النحاة بمطولاتها ومختصراتها رافداً تنبع منه عبقرية العربي، التي ترفد الأجيال ، وتعزز مسيرة الإبداع والتقدُّم لتطوير الدرس النحوي بشكل متواصل .

---

707. - سورة البقرة - من الآية / ٦٠
708. - ابن عقيل - شرح ابن عقيل ٥٧٥/١
709. - المصدر نفسه ١/ ١٣٩
710. - المصدر نفسه ٢/ ٤٩٤

المبحث الثالث

هفوات التأليف النحوي

لاحظ كثير من الباحثين الذين تناولوا موضوع التأليف في النحو العربي ، ومراحل تطوره ، لاحظوا وسجلوا هفوات متعددة على هذه الأنماط التأليفية على الرغم من جدِّية مؤلفيها ، وأصالة أفكارها إلاَّ أنَّهم أشَّروا بعض السلبيات ، ولم أغفل

الجانب الايجابي في أنماط التأليف ، فقد أشرتُ مزيات التأليف ضمنياً ، لكونها معروفة للجميع وواضحة من خلال سِيْر أعلام النحو أنفسهم . ومن هذه الهفوات :

١- آزداد ميل كثير من دارسي العربية الكبار إلى الاختصار في العلوم ، التي أخلَّت فيما بعد بالمادة العلمية المطروحة ، عن طريق اختصار كثير من المسائل ، كذلك فعل ابن الحاجب ، وآبن مالك . قال حاجي خليفة : ((وقد ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطريق في العلوم ، ويدونون منها مختصراً في كل عام يشتمل على حصر مسائله وأدلتها ، بآختصار في الألفاظ وحشوا لقليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، فصار مُخِلاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم وربما عمدوا إلى الكتب المطولة ، فآختصروها تقريباً للحفظ كما فعل ابن الحاجب في أصوله وابن مالك في العربية وفيه إخلال بالتحصيل))[٧١١]. كما عاب ابن خلدون أيضاً على هؤلاء آختصاراتهم، بقوله : ((وقد كادت هذه الصناعة تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم ...))[٧١٢]. وكان قصدهم من الإيجاز والاختصار الشديد التسهيل على الدارسين وتمكينهم من الحفظ والاستيعاب، يقول ابن خلدون : ((وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار ، فآختصروا كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعل في كتاب التسهيل وأمثاله وآقتصارهم على المبادئ للمتعلمين كما فعل الزمخشري في المفصّل وابن الحاجب في المقدمة له ...))[٧١٣]. وعلى الرغم من آختصاراتهم هذه قصدوا من وراء تأليفها التسهيل إلاَّ أنَّهم لم يفطنوا إلى تحوُّل مختصراتهم إلى طلاسم يتعذر حلَّها ((إلاَّ بعد الفزع إلى المشايخ . ويتعسر على هؤلاء الكشف عن غوامضها إلاَّ بعد الرجوع إلى الشروح والحواشي))[٧١٤].

٢- مزج علم النحو ببعض العلوم التي لاعلاقة لها بمادة النحو ، كمزجها بالجدل المنطقي الفلسفي ، فجعلت هذه الظاهرة النحاة يتوسعون في نظريات لاتعطي

711- خليفة : حاجي - كشف الظنون ٧١/١.

712- ابن خلدون - المقدمة /٣٤٠.

713- ابن خلدون - المقدمة / ٣٤٠.

714- الراوي : طه - نظرات في اللغة والنحو - منشورات المكتبة الأهلية - بيروت١٩٦٢/٣٨.

الدرس النحوي فائدة بل تغرقه في الغموض و ((قد لايتصل بالظواهر النحوية في كثير من الأحيان لا من قريب ولا من بعيد وهذا ما جنح إليه الكثير من النحاة المتأخرين وواضعي الشروح ، وشُرّاح هذه الشروح))[٧١٥].

٣- عدم تخصُّص بعض المؤلفات بمسائل النحو ذاتها أو منفردة وحدها ، بل مزجوا معها الصرف ، والبلاغة أحياناً ، وإذا قُلنا إنَّ الصرف هو الأقرب إلى النحو فما بال المؤلف يجعل البلاغة هي الأخرى مشاركة النحو في كتابه ؟ . ذلك واضح في كتاب المغني لآبن هشام الأنصاري . قال الطنطاوي : ((إنَّ آبن هشام في المغني لم يقف عند المسائل النحوية ، فتناول بعض المسائل البلاغية ، لا لتقليد السابقين من النحاة .....))[٧١٦]، لذا قال ابن هشام : ((ولم أذكر بعض ذلك في كتابي جرياً على عادتهم بل لأني وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعاً))[٧١٧]. وهذا عند آبن مالك أيضاً في منظومته المختصرة ، فقد ضمّنها باباً في الصرف مازجاً ذلك مع مسائل النحو في قوله :

((حَرْف وَشِبْهَهُ من الصَّرف بَرِيْ ومَاسِوَاهُما بتَصْرِيْفٍ حَري))[٧١٨]

ولم تكن هذه النقاط التي سجلتُها بشأن هفوات بعض التأليف في النحو ، وإنَّما توجد دراسات كثيرة ، منها دراسة العلامة طه الراوي عقد فيها لأسباب ضعف التأليف النحوي عند متأخري النحاة ، الذين وصلت إلينا أكثر كتبهم ، وأُعتمد عليها في الدراسات النحوية ، إذ تناول في كتابه (نظرات في اللغة والنحو) ، وقد أورد تُ هذه النقاط ، بشيء من الاختصار للفائدة، وهي كما وردت في كتاب نظرات في اللغة والنحو :

((١- الإيجاز الشديد إلى حدِّ الإخلال بالمقصود ولاسيما في المتون التي وضعها المتأخرون ، وقد آستشهد بما كتبه ابن الحاجب وابن مالك .

---

715 - المنصوري : د.علي جابر- الدلالة الزمنية في الجملة العربية - مطبعة جامعة بغداد - ١٩٨٤ /٢٢ .

716 - الطنطاوي - نشأة النحو /٢٣٦ .

717 - ابن هشام - مغني اللبيب ٢/ ٦٥٠ .

718 - نقلاً عن / السيوطي - البهجة المرضية /٢٧٥ .

٢- عدم التدرُّج في ترتيب المسائل ووصف القواعد النحوية ، وأخذ مثالاً على ذلك شرح المقدمة الأجرومية .

٣- الخلط بين مسائل هذا العلم ومسائل من علوم أخرى لاتمس الحاجة إليها ، وقد أشار إلى شرح الأزهري على الأجرومية دليلاً لما ذهب إليه من رأي .

٤- عدم الموازنة بين مقدرة الطالب وما حشد من مسائل عويصها وسهلها .

٥- حشد القيود الكثيرة والرموز العديدة في العبارة القصيرة ولاسيما التعاريف .

٦- المناقشة على الألفاظ مما لايعود إلى جوهر العلم بفائدة .

٧- التوسع في النظريات التي لايجتني الطالب من ورائها فائدة علمية ، كالتنازع على إعراب جمع المذكر السالم ....

٨- الاعتماد على الأمثلة الجافة المكررة ، وإهمال المهم من الشواهد ...))[٧١٩]

وكذلك الأمر مع الأستاذ عباس حسن في كتابه (رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية) ، فهو يرى أنّ هناك شوائب علقت في آراء بعض العلماء، فشوَّهت من جمالية الروح في كتبهم النفسية ، وجعلت طريق الإصلاح في هذا المجال طويلاً ، ويرى أنَّ هذا يرجع لتأثير طائفتين مختلفتين وهما بحسب رأيه :

((الطائفة الأولى : هي التي أحبت اللغة ، وأسرفت في الإخلاص لها ، فقصرت جهدها في ٱتخاذ الوسائل لصيانتها . لكنها ضلَّت الطريق ، فزعمت التمسُّك بالقديم في غير تسمُّح والجمود عليه في غير ملاينة ، والوقوف عنده في غير تصرف وٱجتهاد .....))[٧٢٠] . وهذا أمر ليس بالهيِّن فيما يبدو ، لأنَّ التزمت في قواعد النحو وعدم المرونة في الرأي الجديد ، وإنْ كان صواباً يُصعِّب من المادة ويزيدها تعقيداً ، ويعطي مدلولاً عكسياً بأنَّ النحو مادة جامدة لايمكن تطويرها ، وهو رأي مردود وأقول بضلالته . كما قال الأستاذ عباس حسن :

((الطائفة الثانية : جعلت الفلسفة شعاراً ، وعلم الكلام والمنطق الجدلي طريقاً ، وٱستخدمت ذلك في كثير من بحوثها اللغوية . فلقي هذا الأمر رواجاً في النفوس ،

---

719. - الراوي - نظرات في اللغة والنحو /٣٨ ـ ٤٦ .

720. - حسن : عباس - رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية - القاهرة ١٩٥١/ ٥ ،٦ .

وآزدادت المؤلفات التي أكثرت من مزجه مع النحو ، فبالغوا في أحكامهم وأساليبهم التي أضعفت حقائقهم ....))[٧٢١] . وهذا الجدل المنطقي ، وأساليب الفلسفة الأخرى التي خالط النحو بعضه ، أدى إلى نتائج غير حميدة بعض الشيء آنعكس أثرها على مؤلفات المتأخرين النحوية ، التي مُلئت بهذا الأسلوب ، فصَعُب فهمها ، وآنحدر مستواها الموضوعي .

ومن هذه الدراسات أيضاً ، دراسة الأستاذ كريم حسين ناصح ، التي حدد فيها جملة من السمات البارزة في كتب النحاة وهي كالآتي :

((١- الدقة في التعبير مع حُسن الأسلوب ورشاقة العبارة ويمكن ملاحظة ذلك في كتب ابن مالك وابن هشام .

٢- ملازمة النحاة لعبارة وكلمات تكثر في ألفاظهم ، وتتكرر في أحاديثهم .

٣- كثرة الوعد بشرح مسألة أو موضوع ويقرن ذلك عادة بقولهم (إنْ شاء الله تعالى) ويكثر ذلك في أسلوب ابن السرّاج مثلاً ، وكذلك التذكير بما سبق أنْ شرحوه في فصول سابقة .

٤- الإحالة إلى كتب أخرى سواء للمؤلف نفسه أم لمؤلفين آخرين ونرى ذلك بوضوح في (أسرار العربية) لأبي البركات بن الأنباري))[٧٢٢] .

وليست إشارة البحث إلى هذه الهفوات التي آنتابت مؤلفات متأخري النحاة، يلغي أهمية هذه المؤلفات ، وفائدتها التاريخية ، بل إنّها مرحلة مرَّت بها حضارة الأمة ، وتجسَّدت منها طرق العصر نفسه ، بتأثير عوامل مهمة ، قد تكون بيئية ، أو اجتماعية أو مادية ، أو تعليمية . أما البيئية فلأنَّ البيئة المحيطة بعلماء اللغة المتأخرين في القرون (الخامس والسادس والسابع) ، وما تلاها ، آمتازت بمتغيرات كثيرة متدنية تارة ، وجيدة أخرى ، إذ تأثرت اللغة بالآختلاط الحضاري الكبير الذي أدى إلى فساد اللغة ، فآزداد آهتمامهم بكتابة اللغة ، وقواعدها النحوية عن أوائل النحاة واللغويين حتى عصر الاستشهاد اللغوي .

---

[721] - المصدر نفسه / ٦ ، ٧ .

[722] - ناصح : كريم حسين - مناهج التأليف النحوي /٣٢٧ .

أمـا الاجتماعيـة ، فهـي عـزوف طلبـة العلـم فـي معظـم الأحيـان عـن دراسـة المطـولات مـن كتـب الأقدمين ، لأنَّ مؤلفـاتهم كانـت طويلـة ، ومتعمقـة فـي المسـائل ، والعلـل النحويـة ، وهـذا الأمـر لـم يـأتِ مصـادفةً وإنَّمـا كـان لتـدني الحالـة المعاشـية ، وصعوبة ٱقتناء الكتاب ، صار لازماً ٱختصار هذه المطولات تسهيلاً لهؤلاء وغيرهم .

أما التعليمية ، فكانت غاية أكثر المتأخرين التسهيل علـى الطلبـة ، وتـأمين حفظهم المادة المختصرة ، ونلحظ هذا في كثير من المؤلفات لعلمائنـا المتـأخرين ، إذ نجدهم يشيرون إلـى ذلك فـي مقدمات مؤلفـاتهم مـن مـا أشـار إليـه ابـن بابشـاذ قـائلاً : ((فـإنَّ الغرض من هذه المقدمة التسهيل والتوطئة ....))[٧٢٣] .

وبعد هذا فإنَّ هذه المؤلفات الخالدة في تراثنـا النحـوي ، تُعَدّ ثـروة هائلـة لايمكـن إغفالها ، أو الاستغناء عنها ، لأنَّهـا ترسـم حقيقـة النحـو العربـي فـي مرحلـة مهمـة مـن عمره ، منذ النشأة وصولاً إلى زمن تأليف كلّ كتاب .

وقد بذل علماؤنا الأجِلاَّء جهوداً مضنية ، ومضيئة في سبيل إظهـار هذه المؤلفـات ، وبيـان ميزاتهـا وتسـهيل مقاصـدها ، وفـي عصـور متواليـة جـيلاً بعـد جيـل ، ولسـنا بأفضل من علمائنا الأجلاء ممن أفنوا لذيذ حيـاتهم خدمـة للعربيـة وعلومهـا ، فـأُولئـك الأماجد من علماء الأمة أعطـوا العربيـة جهداً مضـاعفاً ، وزرعـوا جذوره فـي رحِم الأمـة ، فأينعـت ثمـاره أجيـالاً مـن العلمـاء ، أنـارت طريـق عطـاء أولئـك الأفـذاذ ، فٱستمروا فـي الـنهج نفسـه ، وفـي الإصـلاح ، والتجديـد ، والتطـوير فـي لغـة القـرآن الكـريم . مـن أمثـال الشـيخ محمـد الطنطـاوي، ومحمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد ، وإبـراهيم مصـطفى ، وعبـاس حسـن ، والـدكتور مصـطفى جـواد ، والـدكتور مهـدي المخزومـي ، والـدكتور أحمـد عبـد السـتار الجـواري ، والـدكتور إبـراهيم السـامرائي ، والشيخ حسين علي محفوظ ، والدكتورة خديجة الحديثي ، والدكتور محمد عبد الجبـار المعيبد ، والدكتور محمد علي حمزة سعيد ، والدكتور فاخر الياسـري ، وغيـرهم ، لا أخلى الله ساحات العلم منهم ، ومن أمثالهم.

---

[723] - ابن بابشاذ - شرح المقدمة المحسبة ٢/ ٤٧٢ .

البـــــاب الـثـانـي

الإصلاح والـتجديـد في الـنحو

ويتضمن :

الـفصـــــــــــل الأول : دعوات الإصلاح والـتيسير في الـنحو.

الـفصـــل الـثـانـي : الـتجـــديـد في الـنحـــو .

الـفصـــل الـثـالـث : واقـع الـدراسات الـنحويـة .

الفصل الأول

دعوات الإصلاح والتيسير في النحو

دعوات الإصلاح والتيسير في النحو

ليس أمر صعوبة النحو العربي بجديد ، بل يُجمِع كثير من النحاة المحدثين، على أنَّ النحو عسير لا سهولة فيه ، و لا يُسر لذا قالوا: ((إنَّ النحو عسير غير يسير، ووعرغير مُمَهد ، ولكنّهم يتفاوتون في كيفية معالجة هذه الصعوبة أو الوعورة ، فالمحافظون منهم والمشتغلون في الحقل التربوي يرون أنّ التيسيرهو الذي يضمن لنا نحواً سهلاً تخف مؤونته على المُتعلِّم))[٧٢٤]. وصعوبة النحو العربي في رأيي تكمن في مجموعة أمور منها:

أ- التطويل في كتب النحو التي تشكِّل سبباً كبيراً في جمود النحو العربي ، فترى اللغة فيها مزدحمة بالأفكار والمعاني و الأصول النحوية مليئة بالعلل والتعقيد إلى جعل فهمها صعباً ، وتُشْعِر القارئ بالجمود لأنَّ ((اللغة المضغوطة المزدوجة بالدلالات ، والإشارات والأحكام النحوية ٱزدحاماً قد يبلغ حد التخمة))[٧٢٥].

فالصعوبات التي ُملِئت بها كتب النحاة من الطول والتعقيد تكمن في:((الإسراف في الطول ، وغموض الأسلوب وعدم مراعاة مستوى الدارسين ثُمَّ أخيراً الٱضطراب))[٧٢٦] .

ب- الجفاف في ضبط القواعد ، وقلة الأمثلة والشواهد التي توضحها : ((ومن عيوب كتب النحو القديمة ، الجفاف ، ونعني به الاكتفاء بالقواعد مع عدد مكرر من الأمثلة والشواهد لا تفسح للدارس مجال التذوق ،ولا تسمح له بمحاكاة الكلام البليغ والنسج على منواله))[٧٢٧].

1- العزاوي : د.نعمة رحيم - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث - بغداد- ١٩٩٥/١٢٣.

725- حسن:عباس - اللغة والنحو بين القديم والحديث - دار المعارف - مصر ١٩٦٦/٢١٥.

726- سعيد : د.عبد الوارث محمود - في إصلاح النحو العربي - مصر ١٩٨٥/٣٨.

727- العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث / ١٧ .

جـ - مزج القواعد النحوية في أغلب الأحيان ، بأسس المنطق والفلسفة مما زاد في تعقيد النحو وصعوبة فهمه وإدراكه : ((وما ذلك إلاّ لأنّ النحاة نظروا إلى الكلمة على أنّها (جوهر) أو (أصل) و(عَرَض) يلحق ذلك الأصل ويزاد عليه ، وقد أدَّاهم هذا النظر إلى وضع قوانين الإعلال ، والإبدال ، والإدغام ليطرد لهم هذا الأصل الفلسفي))[٧٢٨]. وقد عقد الدكتور نعمة رحيم العزاوي في كتابه (في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث) لهذه المسألة وأفاض فيها .

والعربية بما ٱحتوته من مطولات ، ومتون جعل الناس يتذمرون من صعوبة نحوها ، وتعقيد مسائله : ((ومن أجل ذلك تمسّ ُ الحاجة إلى تيسير هذا النحو وتسهيله وتقريبه من الأفهام وربط أفكار الدارسين حتى تصبح عملية التعليم العام أمراً قريب المنال غير وعر ولا عسير))[٧٢٩].

والتيسير لا يعني الاختصار، وتقليص قواعد النحو ، لكنَّ معظم النحاة القدماء في القرن الرابع وما بعده فَهِمُوا الأمر على أنّه ٱختصارٌ، ظنَّهم أنَّ الأمر يُسهِّل على الدارسين الحفظ والتعلُّم لذا : ((بدأ وضع المختصرات في النحو والصرف للمبتدئين ويغلب على هذه المختصرات الإيجاز الواضح وبسط المادة النحوية دون تَوسُّع في العلل والعوامل ، وكان الهدف منها تعليماً محضاً))[٧٣٠].

إذ آمن جيل من النجاة بصعوبة النحو، وكثرة العلل والعوامل فيه ، فجعلوا يختصرون الكتب ويوجزون فيها ، فظهرت أنماط من المختصرات في النحو، قد حُذِف منها الفصول مما لا يحتاجه المتكلم من العلل والعوامل. فأنبرى نُحاتنا إلى وضع المختصرات التي غلب عليها الإيجاز الواضح ، وعرض المادة النحوية دون الخوض في عللها وعواملها ، والتوسع في طرحها وكان الهدف منها تعليمياً محضاً ، يعطي المتعلِّم قدرة على فهم أبواب النحو المتعددة إذ ((ارتفعت مع نهاية القرن الثاني تقريباً أصوات تطالب بتيسير النحو أخذت تظهر أحياناً في صور آراء ، وتعليقات

---

728 - المصدر نفسه / ٢٣.

729 - الجواري - نحو التيسير / ٣.

730 - كاصد : قاسم عبد الرضا - محاولات حديثة في تيسير النحو العربي - رسالة ماجستير- كلية الآداب - جامعة البصر ة ١٩٨٤/ ٣٨٦ .

لبعض علماء اللغة والنحو... ولكن الدعوات تجاوزت هذه الآراء وظهرت بشكل عملي في كتب التراجم والطبقات، ويدور معظمها حول اختصار القواعد النحوية وتقديمها في صورٍ سهلةٍ ميّسرةٍ))[٧٣١] . ومن هذه الكتب (مقدمة في النحو لخلف الأحمر)[٧٣٢]، و(مختصر في النحو للكسائي)[٧٣٣] ، و(مختصر نحو المتعلمين للجرمي ت٢٢٥هـ)[٧٣٤] ،و(الموجز في النحو لأبن السّراج)[٧٣٥]، و(التفاحة لأبن النحاس ت ٣٣٧هـ)[٧٣٦]، و(الجمل للزجاجي)[٧٣٧]، و(الإيضاح في النحو) أو ما يسمى بالإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي[٧٣٨] ،و(اللُّمع في العربية لأبن جني)[٧٣٩]. والى جانب هذه الكتب المختصرة ، ظهر أسلوب آخر في التأليف من أجل تسهيل عملية الحفظ والتعلُّم على طلبة العلم .ألاَ وهو المنظومات التي تُعَدّ منظومة الخليل بن أحمد أقدمها ، ثم منظومة الحريري(ت٥١٦هـ)[٧٤٠]المسماة بـ (ملحة الإعراب) إنّ ظاهرة المختصرات ، والمنظومات النحوية تبقى: ((كمحاولة لعلاج ظاهرة الإسراف في تطويل وتضخيم المؤلفات النحوية وكثرة الشروح التي قامت عليها فإنّه يصعب آعتبارها محاولات الإصلاح التي تستحق التقويم من هذه الجهة ، لقد أخطأت هذه المتون الطريق الصحيح للعلاج أو الإصلاح بما أنزلقت إليه من مبالغة في التكثيف و الإيجاز اللذين بلغا حد الغموض والتعقيد خاصة في المنظومات ، بسبب ما فرضته قيود الوزن والقافية))[٧٤١]. وقد عَدّها آخرون محاولات تيسير منهم الدكتور شوقي ضيف الذي كان يرى أنّ ((المختصرات من بين محاولات التيسير لأنّ التيسير لا يكون بتصفية

---

1. - خليل : حلمي - العربية وعلم اللغة البنيوي- دار المعرفة- مصر ب ت/٤٩
2. - الأحمر - مقدمة في النحو- بتحقيق-عز الدين التنوخي .
3. - السيوطي - بغية الوعاة ١٦٤/٢
4. - ابن النديم - الفهرست /٨٩
5. - ابن السراج - الموجز في النحو- تحقيق- مصطفى الشويمي- بيروت-١٩٦٥
6. - ابن النحاس(ت٣٣٧هـ) - التفاحة في النحو - تحقيق- كوركيس عواد - بغداد ١٩٦٥
7. - الزجاجي : أبو القاسم - الجمل - تحقيق -علي توفيق الحمد دار الأمل ١٩٨٤
8. - الفارسي : أبو علي (ت٣٧٧ هـ) - الإيضاح العضدي - - تحقيق- د.حسن شاذلي- القاهرة - ١٩٦٩ ، وسمي العضيدي لأنه صنف من أجل عضد الدولة العباسي .
9. - ابن جني : أبو الفتح عثمان - اللمع في العربية - تحقيق- حامد المؤمن-بغداد ١٩٨٢
10. - ينظر/ الفصل الثالث من الرسالة ص ١٦٠ وما بعدها .
741. - سعيد: د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٤٣ .

القواعد وتقطيعها))[٧٤٢] ومع هذا كله فإنّ واضعي هذه المتون والمختصرات ، فكروا في إصلاح أو تحسين مادة النحو للدارسين؛ لأنّ النحاة شعروا بصعوبة النحو، ووعورة مسائله . لكن مرحلة الإصلاح الأهم بدأت فعلاً في القرن الخامس الهجري وما بعده ،إذ بدأ التفكير يأخذ جانب النقد والإصلاح بدلاً من الإيجاز و الاختصار ، وأفضل مَنْ مثَّل هذه المرحلة الجديدة ،ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) ، ومعاصره ابن رشد(٥٩٥هـ).

وفي العصر الحالي كَثُر الحديث عن تيسير مناهج النحو العربي وإصلاحها، وتيسير قواعده على الدارسين ، وبرزت في سبيل ذلك دعوات،ومحاولات جادة غايتها البناء والتطوير ، وأخرى غير جادة متأثرة بما في اللغات الأخرى من سهولة ويُسر متناسين خصائص اللغة العربية،وأنَّها اللُّغة التي حباها الله ، فأنزل كتابه العزيز بها، وفَرْق هذه اللغة عن غيرها من اللغات،وسيوضح البحث ذلك بإذن الله.

والملاحظ على دعوات التيسير والمحاولات قديمها وحديثها ،أنَّها تقوم على أسس مشتركة تلتقي عندها هذه المحاولات، وقد أجمل الدكتور نعمة رحيم العزاوي هذه المشتركات في كتابه (في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث)، ولزيادة الفائدة نلخصها بالآتي[٧٤٣]:

((١-إلغاء العامل.

٢- تحديد موضوع النحو.

٣- الاعتماد على القرآن في رسم صورة النحو.

٤- التفسير الفني للجملة.

٥- الاستفادة من الموروث النحوي.

٦- الاعتماد على المنهج الوصفي.

٧- تحليل نظم الجملة.

٨- إعادة تنسيق أبواب النحو.

---

742 - ضيف : د. شوقي - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً - مصر ١٩٨٦ / ١٧

743 - العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث / ١٢٧ وما بعدها .

٩- الإعراب لصحة النطق.

١٠- حذف زوائد وعقد كثيرة)).

وإذ يدرس البحث في هذا الفصل ،موضوع الإصلاح والتيسير مشيراً إلى محاولات التيسير وأصحابها دون الغوص في مضانّها ،لأنَّ هذا الأمر يتطلب وقتاً وجهداً طويلا ً، وربما لايسع مجال البحث للحديث عنه ، فأعتذر؛ لأنّي لم أسْرِدْ كُلَّ ما يتعلق بباب التيسير ، وإنما تناولت ببعض أساسياته تعزيزاً لموقف البحث ،الذي يسعى إلى إثبات تطور النحو العربي في مراحله المختلفة.

المبحث الأول

من دعوات القدماء (ابن رشد وابن مضاء القرطبي)

ليس القدماء من النحويين بأقل حنكة أو دراية من محدثيهم ،إذ شعروا بحاجة النحو العربي إلى إصلاح وتسهيل في بعض أبوابه ، لكونه عسيراً على الدارسين لما فيه من تطويل وتداخل في موضوعاته أو مع موضوعات من علوم أخرى كالمنطق ، والفلسفة ، لذا برزت محاولتا ابن رشد وآبن مضاء، كأفضل ما

يمثل مرحلة النقد والإصلاح الجديدة على النحاة في عصريهما . وسنبدأ بمحاولة ابن رشد لأنَّ مكتشف كتاب ابن رشد يقول : ((والغالب على الظن أنّ ابن رشد قد سبق ابن مضاء القرطبي إلى طرح هذا الموضوع ،هذا فضلاً عن أنّ كتابه يتجاوز كتاب (الرد على النحاة)لأبن مضاء الذي أقتصر على الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل في النحو ، بينما نشر فيلسوف قرطبة صياغة جديدة تماماً لبنية النحو العربي اعتمدت الترتيب المنطقي...))[٧٤٤].

أ ـ محاولة ابن رشد[٧٤٥]

تَمَّ العثور في موريتانيا في بلاد المغرب العربي عام (٢٠٠١)على كتاب (الضروري في النحو) لأبن رشد ،اكتشفه الدكتور محمد عابد الجابري،ونشره على شكل مقالات عام (٢٠٠٣) على شبكة المعلومات (الأنترنت)[٧٤٦]. والكتاب كما يقول الجابري عبارة عن: ((إعادة بناء النحو العربي بحيث يصبح كما قال ــ ابن رشد ــ : أقرب إلى الأمر الصناعي (الطريقة العلمية) وأسهل تعليماً وأشد تحصيلاً للمعاني))[٧٤٧]. وقد اعتمد ابن رشد في نظرته ترتيباً جديداً لبنية النحو مستنداً إلى الترتيب المنطقي ، ابتدأ من تقسيم الكلام وصولاً إلى مسائل النحو الأخرى ، وقسم الكلام تقسيماً يختلف تماماً عمّا عُرِف من تقسيم للكلام إلى اسم وفعل وحرف ،إذ قسّمه مفرداً ومركباً يقول الجابري إنّ ابن رشد عَمِد إلى ((صياغة جديدة تماماً لبنية النحو العربي أعتمدت الترتيب المنطقي ، بحيث يكون منهج التأليف في النحو العربي مساوياً للترتيب الذي هو (مشترك لجميع الألسنة) منطلقاً من تقسيم الكلام إلى مفرد ومركب ، وليس إلى أسم وفعل وحرف ، كما كان عليه الحال منذ سيبويه))[٧٤٨] ،

---

744 - (أنترنيت) – الجابري : د. محمد عابد - ابن رشد ومشروع التغيير - ٢٠٠٣ مقا ل على الموقع (www .aljacri abad . net .)

745 - هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي - ترجمته في / الذهبي - سير أعلام النبلاء ٥٠١/١٩ ، والبغدادي : إسماعيل باشا - هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين - بيروت - ١٩٥٥ ٨٥/٢ .

746 - (أنترنيت) - الجابري : د. محمد عابد - نشره في مقالات بعناوين مختلفة عام ٢٠٠٣ على الموقع (www.aljabri abad.ne t).

747 - الجابري - ابن رشد ومشروع التغيير .

748 - المصدر نفسه .

وينتقل الجابري محدداً هدف ابن رشد من تأليف هذا الكتاب فيقول : ((هدف ابن رشد ليس تدارك مسألة من المسائل النحوية ، فالنحو العربي في نظره (قد استوفيت) جميع مسائله فلا مجال فيه للزيادة على هذا المستوى ، وإنّما عيبه هو أنّ موضوعاته ، ومسائله ، وجميع جزئياته تُعرض بصورة لا ترعى فيها الطريقة التي تجعل من مجموعة من المعارف ، كيفما كان ميدانها ، علماً يستحق هذا الوصف))[٧٤٩]. وابن رشد يريد للنحو أنْ يساير العلوم الأخرى ، ويسير على وفق أساس منهجي فيبدأ كما يقول:بـ ((البسيط من كل شيء قبل المركب))[٧٥٠]. فالابتداء بالألفاظ المفردة ثم المركبة ـ يعني بها الجمل ـ هذا هو المبدأ العلمي الذي أستند إليه ، وقد صنَّف قوانين الإعراب صنفين ، صِنْف يخص الألفاظ المفردة التي تتركب منها الجمل ، والأخر يخص الجمل نفسها[٧٥١].

وقد صاغ ابن رشد قوانين الإعراب بالشكل الآتي:

((١- قوانين القول الخبري البسيط غير المقيد :

كل آسم يكون خبراً أو مُخبِراً عنه من غير أنْ يدخل على الجملة لافعل ولاحرف عامل ،لا مُقَّدر ولا مُظْهَر، فهو مرفوع : المبتدأ والخبر ، والفاعل، ونائب الفاعل (بأعتبار الفاعل ونائبه مخبر عنهما بالفعل).

٢- قوانين القول الخبري المقيد بالأفعال وهي خمسة :

١- كل جملة من آبتداء وخبر دخل عليها كان وأخواتها.

٢- كل جملة خبرية دخل عليها لفظ (ظَنَنْتُ) أو (أعْلَمْتُ) أو أخواتها من أفعال النفس، فأنَّ هذه الأفعال إذا تقدَّمت في ترتيب الكلام في الجملة الخبرية نصبت المبتدأ والخبر(ظَنَنْتُ زيداً قائماً) فإنْ توسطت بين المبتدأ والخبر وتأخرت عنهما جاز النصب والرفع : تقول : زيد ظَنَنْتُ منطلقٌ، وزيداً ظَنَنْتُهُ منطلقاً.

---

749 - (أنترنيت) - الجابري - ابن رشد وإعادة بناء النحو (مقال عام ٢٠٠٣) .

750 - (أنترنيت)- الجابري - إعادة ترتيب مسائل النحووصياغة قوانين الإعراب - ٢٠٠٣.

751 - ينظر / (أنترنيت) - الجابري - إعادة ترتيب مسائل النحو وصياغة قوانين الإعراب - ٢٠٠٣

٣- كل اسم جنس دخل عليه (بئس أو نعم) ، فإنْ كان فيه الألف واللام فهو مرفوع مثل : نِعْمَ الرجلُ زيدٌ ، ولهم في رفعه مذهبان أحدهما : أنَّه مبتدأ وخبر،والآخر أنَّه خبر المبتدأ . وإنْ كان الاسم الذي قيد بنعم أو بئس نكرة فهو منصوب والمخصص له مرفوع : نعم رجلاً زيدٌ . ولا يقيد بهذين الفعلين إلاّ أسماء الأجناس .

٤- كل ٱسم أُخبر عنه بـ (حَبَّ موصولاً) بـ (ذا) نحو حَبَّذا زيدٌ فهو مرفوعٌ، ولا يقع هذا الاسم أبداً في كلامهم إلاّ مؤخراً عن حَبَّذا . وللنحاة فيه ثلاثة مذاهب . أحدها على أنَّه مبتدأ ، والثاني على أنَّه خبر ،والثالث على أنَّه فاعل يرفع حَبَّذا .

٥- كل ٱسم دخل عليه (عسى أو كاد أو قارب) وما أشبه ذلك من الأفعال فإنَّه مرفوع ، والخبر في هذا القول إذا كان فعلاً مع عسى فالأجود أنْ تكون مع (أنَّ)نحو عسى زيدٌ أنْ ينجح ،وأما كاد فالأجود أنْ تكون بغير أن :كاد زيدٌ يدخل المدينة .وقد يقع الخبر مع عسى ٱسماً في مثل قولهم :عسى الغوير أبؤساً.

٣- قوانين الخبر المقيَّد بالحروف وهي أربعة :

١- كل قول مؤلف من ابتداءٍ وخبر دخل عليه إنَّ وأخواتها فإنَّ المبتدأ يعود منصوباً، ويبقى الخبر على حاله مرفوعاً نحو : إنَّ زيداً منطلقٌ...

٢- كل جملة خبرية دخل عليها حرف (ما) النافية ، فإنَّ المبتدأ يبقى على حاله مرفوعاً (ما زيدٌ قائمٌ) وينتصب الخبر على لغة أهل الحجاز إلاّ أنْ يدخل على (ما) حرف (إلاَّ)...

٣- كل جملة خبرية دخل عليها حرف (لا) النافية ، فإنْ كانت داخلة على ٱسم جنس وأردنا استغراق النفي فإنَّك تجعل (لا) والاسم كٱسمٍ واحد وتبنيه على الفتح كقولك : لا رجلَ في الدار...

٤- كل جملة خبرية قُيِّدَت بـ (ما) التي للتعجب فإنَّها تنصب الاسم المتعجب الواقع في الجملة ، تمييزاً بين هذا الشكل وشكل النفي ، فيقول في التعجب : ما أحْسَنُ زيداً ، وفي النفي : ما أحْسَنَ زيدٌ (لم يُحْسِنْ) ، وتقول في الاستفهام : ما أحْسَنَ زيدٍ ؟

فتنخفض . وفعل التعجب هذا لايبنى عندهم من الفعل الرباعي إلاّ بأشد أو أكثر ، كما لايبنى من الخلق والألوان إلاَّ شاذاً ،والشائع أنَّ تقول: وأكثرهم أدباً وأشدهم بياضاً ...

٤- قوانين الخبر المُقيِّد بالاسم . (يقصد الألقاب) .

وهي ثلاثة أقباس - بمعنى أقسام - : قيود الأسماء التي هي ألقاب ، قيود الأفعال، قيود الأسماء التي هي تعمل عمل الفعل :

١- قيود الأسماء :

١- كل أسم قُيِّد بأسم تقييد الإضافة فالمضاف إليه مخفوض ، والمضاف يعرب بإعرابه الذي يخصه نحو:غلامُ زيدٍ ،غلاماً زيدٍ ، ضاربو زيدٍ ، ومن هذه الأسماء ما لاينفك من الإضافة نحو : مثل ، شبه ، وكثير من الظروف .

٢- كل اسم قُيِّد بأسم على جهة النعت فإنَّه تابع في إعرابه للموصوف إذا كانت الصفة والموصوف كلاهما نكرة أو معرفة . فإنْ كانت الصفة نكرة والموصوف معرفة أنتصبت الصفة انتصاب المنصوب الذي يُسمَّى حَالاً. جاءني زيدٌ راكباً...

٣- كل أسم جنس من أجناس العدد قُيِّد بمعدوده من الحادي والعشرين إلى التسعين وقع مجملاً في القول الخبري مُخَصَّص بنوعه ، فإنَّ ذلك الاسم منصوب ، وما وقع من الثلاثة إلى العشرة فهو مخفوض ،الأول يُميَّز بأسم واحد من جنسه والآخر بأسم جمع ، كقولك هذه عشرون درهماً ، وهذه خمسة دراهم...

٤- كل أسم نوع وقع خبراً في الجملة الخبرية مُخَصَّص بمادته ، أعني بمحلِّه، فإنَّه يجوز فيه النصب على التشبيه بالتمييز الواقع في جنس الكمية ،والخفض على الإضافة ، والإتباع على النعت ، أعني إنْ كان المنعوت مرفوعاً فالنعت مرفوع ، وإنْ كان منصوباً فمنصوب، وإنْ كان مخفوضاً فمخفوض : هذا خاتمٌ حديداً، على التمييز ، وحديدٍ على الإضافة ، وحديدٌ على الصفة، لأنَّه أحتمل [ثلاثة المعاني]))[٧٥٢]. وقد ختم : ((ابن رشد بالتأكيد مرة أخرى على أنَّ (هذا النحو الصناعي) الذي قدَّم به مسائل النحو والذي ركَّز فيه على الإعراب هو أنفع وأيسر في تعليم

---

[752] - (أنترنيت) - الجابري - إعادة ترتيب مسائل النحو وصياغة قوانين الإعراب .

الأولاد ، ونحن نرى أنَّه أنفع للكبار أيضاً))[٧٥٣] وبهذا يكون ابن رشد قد حاول إيجاد طريقة جديدة لترتيب مسائل النحو العربي دون التعمق في مسائله الكثيرة وخصَّ الإعراب الركن الأصعب فيه.

ب- محاولة ابن مضاء القرطبي[٧٥٤]

تمثل محاولة ابن مضاء القرطبي ثورة في التيسير النحوي في رفضه طريقة النحاة التقليدية في سرد القواعد ، فكان متمرداً ثائراً، ساعياً إلى التجديد، واكتشاف المجهول ، فهو: ((لا يثقل نفسه وفكره بتقليد آراء غيره))[٧٥٥] وتُعَدُّ هذه المحاولة : ((أخطر محاولة إصلاحية في تاريخ النحو العربي ، قد استوحى نظريته الإصلاحية من مذهبه الظاهري ، وكان فيها شمول وتكامل بحيث ٱمتدت إلى جميع العقد والصعوبات في النحو، فتناولتها بالحَلِّ والتيسير))[٧٥٦]وقد شنَّ القرطبي في كتابه (الرد على النحاة)الذي حققه الدكتور شوقي ضيف ونشره عام ١٩٤٧أول مرة ، ثورة عارمة اعترض فيها على أسلوب النحاة القدماء ، بجرأة لم يسبقه إليَّها أحد من قبل إلاَّ محاولات يسيرة قام بها أبو الفتح عثمان بن جني في الخصائص ، في باب (ذكر علل العربية أ كلامية هي أم فقهية ؟)[٧٥٧] . وأرى أنَّ هذه الآراء المقتضبة عند ابن جني ، هي التي مهَّدت الطريق الذي ٱهتدى من خلاله ابن مضاء مع ما يمتلك من أسس مذهبه الظاهري ،الذي يبتعد عن التأويل والتعليل ،ولا يأخذ إلاّ بظاهر القرآن الكريم والسُّنَّة .

---

753 - المصدر نفسه .

754 - هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي قاضي القضاة (ت ٥٩٢ هـ)، ترجمته في / السيوطي - بغية الوعاة ٣٢٣/١ .

755 - عيد : د. محمد أصول النحو العربي في نظر النحاة - ط ٦- عالم الكتب - القاهرة ١٩٩٧ / ٤٧ .

756 - العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث /٣٦ .

757 - ينظر / ابن جني - الخصائص ٤٩/١ ، و (باب في مقاييس العربية) ١١٠/١ .

ومن نظر في كتاب ابن مضاء نجده يشير إلى قصده من تأليف الكتاب، وهو التخفيف عن كاهل النحوي بحذف ما يستغني عنه . وينبه على إجماع النحاة على الخطأ[٧٥٨] .

والقرطبي لا ينكر فضل النحاة الأوائل ، الذين وضعوا النحو حفظاً لكلام العرب من الخطأ فيقول: ((وإنِّي رأيْتُ النحويين رحمة الله عليهم قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أمَّوا وانتهوا إلى المطلوب الذي ٱبتغوا ، إلاّ أنَّهم ٱلتزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها ، فتوعرت مسالكها، ووهنت مبانيها وٱنحطت عن رتبة الإقناع حججها))[٧٥٩] . ولمحاولة القرطبي أهمية كبيرة في تخليص النحو مما علق به من شوائب التعليل والتقدير، والتأويل الذي ضمته المطولات النحوية بمسائلها العويصة والعسيرة وعليه : ((مهد ابن مضاء لتخليص النحو من صعابه وتعقيداته غير أنَّ مخالفيه من النحاة في زمنه وبعد زمنه صمُّوا آذانهم عن دعوته ، وظلُّوا يؤلفون مطولاتهم الضخمة حاملة ما لا يحصى من مسائله العويصة وعقده العسيرة))[٧٦٠] . ولم تلقَ هذه الدعوة الجديدة قبولاً في عصره ، لأسباب تتعلق بقيمة الموروث النحوي، وتشدّد الكثير في إجلاله واحترامه إذ : ((يبدو أنَّ الإهمال الذي واجهته ثورة ابن مضاء كان بسبب العصر الذي سادته ظروف سياسية ، وفكرية لم تشجع على القيام بالإصلاح ، قدر ما كانت تشجع على الجمود ، واجترار الموروث))[٧٦١] . وكان تعلق الناس بسيبويه ، وكتابه له أثره على ثورة ابن مضاء ذلك الوقت ، فلم يحضَ رأيه بالقبول والاستحسان ؛ لأنَّ : ((رأي ابن مضاء لم يقدَّر له النجاح فقد كان الناس مشغوفين بنحو سيبويه ، فلم يستطع ابن مضاء أو غيره أنْ يثنيهم عنه))[٧٦٢] . ومع هذا فقد لقيت محاولة ابن مضاء في العصر الحديث رواجاً كبيراً وقيض لها أنْ تكون فاتحة الطريق ، والممهدة لعلماء النحو المحدثين ، فلا ترى بحثاً

---

758. ينظر / القرطبي - الرد على النحاة / ٨٧ .
759. القرطبي - الرد على النحاة / ٨٠ .
760. ضيف - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً / ٢٥ .
761. العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث / ٤٠ .
762. الوردي : د. علي - أسطورة الأدب الرفيع - المكتبة الحيدرية - قم ١٣٧٩ هـ /١٨٨ .

ينظر في التيسير ويتخطى عمل القرطبي الجليل . والقرطبي في ثورته على النحاة يبني رأيه على ثلاثة أركان هي:

أ- إلغاء نظرية العامل.

ب-إلغاء القياس

جـ -إلغاء التمرينات والتطبيقات ،وضمنها دعوته إلى إلغاء التمرينات غير العملية نحو(ابنِ مِنْ كذا مثال كذا)[٧٦٣].

١-إلغاء نظرية العامل

أخذ القرطبي يدعو إلى حذف ما يمكن الاستغناء عنه وينبه إلى ما عَدّه إجماعاً من النحاة على الخطأ ، فأسس دعوته على مبدأ إلغاء ما يعرف في النحو بأسم (نظرية العامل) . والعامل هو المسبب في الموقع الإعرابي للكلمات من حيث عمل الرفع ، والنصب ، والجزم كقول : النحاة إنَّ رفع الخبر سببه وجود المبتدأ ، أما رفع الفاعل ونصب المفعول فالسبب وجود الفعل وهكذا ، وزاد الكوفيون على هذا القول إنَّ الذي عمل النصب في المفعول هو الفعل والفاعل معا[٧٦٤]. وحينما يلغي القرطبي فكرة العامل،يبدأ بإلغاء ما يترتب عليها من تقديرات لفظية وحركية ، وهو ينكر بأنَّ اللغة وردت عن العرب بشكلها المعروف هذا ، وأستعملت به حيث ننطق كلامنا. فأعترض على تقدير كثير من العوامل المحذوفة ، كالضمائر المستترة ، وهو يحدد المحذوفات بثلاثة أقسام :

أ - ما لا يتم الكلام إلاّ به ، وقد حُذِف لعلم المخاطب به . مثل قولك لمن رَأَيْتَهُ يُعْطِي الحاجةَ الناس : (زيداً) أيْ أعطِ زيداً ، فحذفه أوجز وأبلغ[٧٦٥].

ب - محذوف لا حاجة للقول إليه بل هو تام بدونه ، وإنْ ظهر كان عيباً كقولك : (أزيداً ضَرَبْتَهُ ؟) والتقدير أضْرِبْ زَيْداً ، وهذا تقدير لاحاجة منه[٧٦٦].

---

763. - ينظر / القرطبي - الرد على النحاة /١٣٨.
764. - المصدر نفسه / ٨١.
765. - ينظر/ المصدر نفسه / ٨٩.
766. - المصدر نفسه / ٨٩.

جـ - محذوف إذا أظهر تغير الكلام عما كان قبل ظهوره ، كقولك (ياعبدالله) فيقدر النحاة فعلاً في (يا عبد الله) ناصباً هو أنادي أو أدعو[٧٦٧]...

٢- إلغاء القياس و العلل الأخرى

إنَّ ((القياس الذي دعا إلى إلغائه هو قياس المنطق الذي يعتمد على أسس عقلية متصورة ولم يلغِ القياس النحوي المعتمد على النصوص إذا ما وافق النص مقبول وما عارض ذلك مرفوض))[٧٦٨] .

أما العلل فقد كان القرطبي ((يَقِفُ من العلة موقفاً مضاداً لموقف ابن جني ، فهو الذي نبَّه على وجوب اِطراح العلل النحوية التي لا تفيد غير التعقيد))[٧٦٩]. لكن ابن مضاء لم يلغِ كل العلل ، فأثبت العلل الأُوَل التي بها يُعْرَف النطق بكلام العرب فتدرك أنَّ هذا الفاعل مرفوع فهو يقول : ((ومما يجب أنْ يسقط من النحو العلل الثواني و الثوالث ، وذلك مثل سؤال السائل عن زيدٍ من قولنا : (قَامَ زيدٌ) لِمَ رُفِع ؟ فيقال : لأنّه فاعل وكل فاعل مرفوع ، فيقول : ولِمَ رفع الفاعل ؟ فالصواب أنْ يقال له: كذا نطقت به العرب ، ثبت ذلك بالاستقراء

من الكلام المتواتر))[٧٧٠]، وبهذه الصورة يكون ابن مضاء قد جدَّد في بناء النحو العربي إذ : ((يمكن القول إنَّ الجديد الذي قدَّمه ابن مضاء هو تشخيصه للعلل الكامنة وراء صعوبة النحو مما لفت أنظار الباحثين إلى ضرورة تيسير النحو العربي والاستغناء عن كل ما لا يفيد ناطقاً ولا يخدم اللغة في شيء))[٧٧١].

٣- إلغاء التمرينات

---

767. - القرطبي - الرد على النحاة / ٨٩ .
768. - كاصد : قاسم عبد الرضا - محاولات حديثة في تيسير النحو العربي / ٢٠ .
769. - أحمد : باسم حسين - العلل التعليمية وتطبيقها على الإنصاف - كلية الآداب - جامعة مؤتة- ٢٠٠٢ .
770. - القرطبي - الرد على النحاة / ١٦٠ .
771. - كاصد : قاسم عبد الرضا- محاولات حديثة في تيسير النحو العربي / ٢٣ .

إذ دعا القرطبي إلى إلغاء التمرينات غير العملية ومنها إبدال حرف علة محل حرف آخر نحو(ابن ٍ مِنْ كذا مثال كذا)[٧٧٢]. ويُعَدّ ابن مضاء ميّالاً في أسلوبه إلى النحو الكوفي في كثير من آرائه ، على الرغم من أنَّه كان يأخذ برأي البصريين في بعض الأحيان[٧٧٣]. وبهذا يكون ابن مضاء من المُيَسِّرين الأوائل في النحو العربي ، مع معاصره ابن رشد ، وبفضلهما أنفرج أمر النحو العربي، وانطلق المحدثون مقتدين بما فعل السابقون من أعمال جليلة ، غايتها تخليص النحو مما علق به من شوائب المنطق الفلسفي المستند إلى العقل.فكانت الانطلاقة الحقيقية عند ابن مضاء وابن رشد ، تمثل البذرة الأولى في طريق تطور الدرس النحوي ، بل التي ثبت من خلالها ، أنَّ النحو إذا جُرِد من عوالقه المنطقية وغيرها يمكنه أنْ يصبح أكثر مطاوعةً ومرونةً.

772. - القرطبي - الرد على النحاة / ١٤١
773. - ينظر / المصدر نفسه / ١١٧

المبحث الثاني

دعوات المحدثين

كَثُرَتْ الدعوات والمحاولات التي ظهرت في العصر الحديث ، رغب أصحابها في تيسير النحو العربي ، وحاولوا فيها إبراز الجانب المعنوي في استعمال جزء من العربية ، دون غيره يَضمُّ ما يشابه منها بعضها إلى بعضها الآخر، وأرادوا في بعض دعواتهم تقليل المصطلحات،أو حذف ما يمكن الاستغناء عنه ، ولا حاجة إليه في فهم الكلام ، ولهذا سارت جهود الميسرين في اتجاهين ، وهذان الاتجاهان : ((يختلفان في الوسائل ولكنهما يلتقيان في الغاية ، الأول عملي يراعي الواقع ، ويعمد إلى أسرع الوسائل وأيسرها لتذليل العقبات أمام دارسي العربية ، وذلك عن طريق إيجاد الكتاب السهل الخالي بقدر الإمكان من العيوب والصعوبات التي تعرقل طريق العربية أمام الدارسين، أو تنفرهم منها ،أما الثاني ، فنظري متأنٍ لا يقنع بالتيسير الظاهري والمحدود ، وإنَّما يبغي الوصول إلى جذور المشكلات ومنبع الصعوبات بغية علاجها ، والقضاء على الداء من أصله، لينتهي بذلك إلى التيسير الحقّ المبني على أساس متين))[٧٧٤].

والعربيةُ لغةٌتعينُ الباحثَ على العمل في طريقها لكونها ، لغةُ المطاوعةِ والقبولِ، فهي مرنةٌ ، ومطاوعةٌ، لهذا تطوَّرت علومها سريعاً، وهي قابلةٌ للتطوُّرِ ولا ترفضه ، لذا ظهرت محاولات ودعوات تدعو إلى تيسير النحو العربي ، فأنقسم أصحابها قسمين كما أرى هما :

---

774. - سعيد : د. عبد الوارث- في إصلاح النحو العربي /٥٦ .

أ- القسم الأول

دعوات ذات أهداف بنّاءة

إنَّ أمامنا حالات أسفرت عنها منطلقات فكرية واعدة ، ٱمتلكها دعاة التجديد والتيسير في مناهج النحو العربي ، غايتهم تجديد اللغة الجذري، وإعطاؤها سمة مواكبة التطوُّر الفكري ، ومعالجة ما يصعب من العربية بطرائق علمية تعتمد على الموروث القديم ، فتأخذ من روحه مادةً جديدةً، يستفيد منها لتسهيل مناهجه على المتعلمين.

وقد ظهرت في هذا المجال محاولات جيدة غايتها بناء النحو العربي وتطويره، اِتَّسمت هذه المحاولات والدعوات بالفردية مرة ، وأخرى بالجماعية، كالمؤتمرات ، أو المجامع العلمية ، أو ثالثة عن طريق الكتب والمؤلفات . فكَثُرَتْ المحاولات التي حاول القائمون بها بناء النحو بجدٍّ وحرص، يدعونا إلى الاهتمام بها جميعاً ، لكن سعة البحث تحددنا لذا سيذكرها البحث ثُمَّ يفصِّل القول في أَشهرها في العصر الحديث ، وهي محاولات زعماء التيسير الثلاثة (إبراهيم مصطفى ، ومهدي المخزومي ، وأحمد عبد الستار الجواري) .

وأما المحاولات الأخرى فيكفني الإشارة إليها دون تعمق فيها، وسأتحدث أول الأمر عن التيسير بداية القرن التاسع عشر وصولاً إلى الثمانينات من هذا العصر ، ثُمَّ ما حدث من تطوّرات في التسعينات وغيرها سريعاً كما يأتي :

١- **محاولة رفاعة رافع الطهطاوي** في مصر ١٨٧٣م الذي ألف كتاب (التحفة المكتبية لتقريب العربية)[٧٧٥]. وقد ٱتضح رأي الطهطاوي في التجديد من خلال : ((تحاشي الخلافات النحوية وتعدُّد الآراء وطرق التعليل في سَوْق القواعد))[٧٧٦].

775- ينظر / سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٦٠ .

776- سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٦٠ .

وكان الطهطاوي متأثراً بطرائق تعليم اللغة الفرنسية، لكونه درس في باريس ، وقد آستضاء كما يرى الدكتور شوقي ضيف بمتون النحو العربي[٧٧٧].

٢- **محاولة إبراهيم مصطفى** عام ١٩٣٧ م في كتابه إحياء النحو . سيتناولها البحث لاحقاً.

٣- **محاولة وزارة المعارف المصرية** عام ١٩٣٨ م .

وفي هذه المحاولة آتَّجه التيسير والإصلاح آتجاهاً رسمياً،حينما شكلت وزارة المعارف المصرية عام ١٩٣٨م ، لجنة تنظر في تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ، تألَّفت من الدكتور طه حسين ، والأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ إبراهيم مصطفى ، وعلي الجارم ، ومحمد أبي بكر إبراهيم ، وعبد المجيد الشافعي[٧٧٨]. وقد تمخض تقرير اللجنة عن آقتراحات متعددة ، ومهمة هدفها الأساس تيسير قواعد النحو، وكان من أهم اقتراحاتها : ((الاستغناء عن الأعرابين المحلي والتقديري واعتبار حركات الإعراب أصلية كُلّها حسب مواضعها ، وأنْ يكون لكُلِّ حركة لقب واحد في الإعراب والبناء وأنْ يكتفي بألقاب البناء ، كما اقترحت تسمية المسند إليه بالموضوع والمسند بالمحمول وهي تسمية مأخوذة من علم المنطق ، وارتأت إلغاء الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً ، وأنْ يدرس موضوع التعجب والتحذير والإغراء على أنَّها تمثل بعض أساليب اللغة العربية ، كما اقترحت أنْ تترك مواضيع الصرف لما فيه من إرهاق للمبتدئين ،على أنْ يدرسها من يريد التفقه في اللغة العربية))[٧٧٩].

٤- **محاولة مجمع اللغة العربية** في القاهرة ١٩٤٥م . سيتناولها البحث في الفصل القادم في موضوع المجامع العلمية ودورها في تطوّير النحو.

٥- **محاولة الأستاذ عبد المتعال الصعيدي** في كتابه الموسوم (النحو الجديد) عام ١٩٤٧م .

---

777 - ينظر / ضيف - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً / ٣٦ .

778 - ينظر / الصعيدي - النحو الجديد / ٨٤ ، والسامرائي : عامر رشيد - آراء في العربية - مطبعة الرشاد - بغداد ١٩٦٥ / ١٠٨ وما بعدها .

779 - السامرائي - آراء في العربية / ١٠٩ .

ويَعُدّ بعض المهتمين بأمور اللغة محاولة الصعيدي : ((أجرأ محاولة على النحو العربي ومن ثُمَّ أحفلها بالمثير من الاقتراحات))[٧٨٠]. وأغلب الظنِّ أنَّ الصعيدي آستفاد من المحاولات السابقة له ، فوضع نصب عينيه ما وقع به السابقون من شطحات ، فكانت مباحثه في :

أ- الإعراب ، حركاته وأهميته ، فهو لا يرى الإعراب : ((تغير أواخر الكلمات لآختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً)) بل يراه ((تصرف أهل العربية في آخر أسمائها وأفعالها وحروفها بين رفع ونصب وجر وجزم))[٧٨١].

ب- جعل المنادى المفرد العلم منصوباً بالضمة بدلاً من الفتحة أو ما ينوب عنها[٧٨٢].

جـ - ترك تسمية (آسماء الأفعال) ويرى أنّها وجعلها (أفعالاً سماعيةً) إذ يقول: ((أفعال سماعية لا تجري على قياس الأفعال المشهورة لأنَّها تدل على الحدث والزمان بصيغتها لابمادتها ، ولا يقدح في هذا ورود بعضها على حرفين ، ولا عدم لحوق نون البارزة بها ، ولا مخالفة بعضها لأوزان الأفعال ، ولا عدم لحوق نون التوكيد الطلبي فيها ، ولا لحوق التنوين بآخرها لأنَّها أفعال سماعية لاتجري على قياس الأفعال المشهورة))[٧٨٣].

٦- **محاولة مؤتمر المفتشين** في مصر عام ١٩٥٧م .

عقد في مصر مؤتمر لمفتشي اللغة العربية في المرحلة الإعدادية عام ١٩٥٧ م ، وقد قُدِمت فيه بحوث متعددة عُني معظمها بمحاولات التيسير السابقة، فبحث في الموضوعات الآتية :

---

780. - سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٢٤٧ .
781. - الصعيدي - النحو الجديد / ٢٦٧ .
782. - ينظر / المصدر نفسه /١٣١ .
783. - المصدر نفسه / ١٩٨ .

((١- الاتجاهات الحديثة في طرق تدريس النحو .

٢- مناهج البحث النحوي .

٣- الاتجاهات الحديثة في تيسير النحو .

٤- المسند إليه والمسند .

٥- الضمائر في اللغة العربية .

٦- حلول الجملة محل المفرد .

٧- التكملة .

٨- الأساليب في دراسة النحو .

٩- الترتيب بين أجزاء الجملة والجملة الموجزة .

١٠- إلغاء الإعراب التقليدي والمحلي .

١١- الأسس التربوية والنفسية للاتجاهات الحديثة في تيسير النحو))[٧٨٤].

٧- **محاولة الدكتور شوقي ضيف** .

تأثر الدكتور شوقي ضيف بأسلوب ابن مضاء القرطبي الذي حقق كتابه (الرد على النحاة)عام ١٩٤٧ م . إذ أثر هذا الكتاب في نفس شوقي ضيف وأثار فيها نوازع كثيرة نَحْوَ التيسير وتتبع قواعد العربية . فأنتج كتابين دعا فيهما إلى تيسير النحو العربي هما : (تجديد النحو)[٧٨٥] و(تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده)[٧٨٦]. وقد ركَّز الدكتور ضيف على كثير من الأمور المهمة ، فمن قضايا الإعراب ، وترك ما لا يفيد منه إلى أدوات الاستفهام والشرط ، والمفاعيل ، والتمييز وغيرها[٧٨٧].

٧- **محاولة الدكتور مصطفى جواد** .

دعا الدكتور مصطفى جواد إلى تبني النحو الكوفي ،لأنَّه يراه أيسر أسلوباً ، وأقرب فهماً من النحو البصري فهو يقول : ((وفي الحقِّ أنَّ في النحو الكوفي

---

784 - السامرائي - آراء في العربية / ١١٠ .

785 - ضيف : د. شوقي - تجديد النحو - دار المعارف - مصر - ١٩٨٦ .

786 - طبعة دار المعارف - مصر ١٩٨٦ .

787 - للآستزادة ينظر/ المصدران السابقان .

آراءٌ كثيرةٌ تَفْضُل آراء البصريين، وينبغي للغة العصر الانتفاع بها بأتباعها ونشرها في العالم العربي العصري))[٧٨٨]. ويعلل الدكتور جواد بأنَّ أسباب الصعوبة جاءت من تشدُّد البصريين في مناهجهم وكثرة تأويلاتهم : ((إنَّ اختيار المذهب البصري في النحو والصرف كان من أسباب ٱستصعاب الدراسة النحوية والدراسة الصرفية ومن البواعث على النفور من اللغة العربية ، وذلك لتشدُّد هذا المذهب وميله إلى الإشكال وكثرة التأويل والتعليل))[٧٨٩]. ومن آرائه التي وافق فيها الكوفيين على قولهم في مفعول(ظَنَّ) الثاني في أنَّه(حالٌ) لا مفعولاً لظنَّ ، قال: ((فعلى قول الكوفيين يكون (خائفاً) في قولهم : (ظنَّوا الرجل خائفاً) حالاً ًمن الرجل...))[٧٩٠] وقد شاركه هذا الرأي الدكتور إبراهيم السامرائي أيضا[٧٩١] . وللدكتور مصطفى جواد آراء كثيرة في باب تيسير النحو، نشرها في كتب مستقلة كـ (المباحث اللغوية في العراق...) و(قل ولاتقل) وكذلك على شكل مقالات في المجلات والصحف، ودوريات المجامع العلمية .

٨- **محاولة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري** .سترد في البحث لاحقاً.

١٠- **محاولة الدكتور مهدي المخزومي**.سترد في البحث لاحقاً.

١١- **محاولة الدكتور إبراهيم السامرائي** .

تناول الدكتور السامرائي في كتابه الموسوم (النحو العربي نقد وبناء)الذي نشر عام ١٩٦٨م مقترحات كثيرة لتيسير النحو العربي منها:

١- الأخذ بالمنهج الوصفي . قال : ((فإذا أردنا أنْ ننهج نهجاً جديداً فنكتب نحواً نوجهه للدارسين في عصرنا هذا فعلينا أنْ نأخذ بالمنهج الوصفي ذلك أنَّ النحو في الدراسات الحديثة . وصف للغة المكتوبة والمنطوق بها وصفاً يتناول الكلمة

---

788 - جواد : د. مصطفى - القول الناجع في الغلط الشائع - مجلة المجمع العلمي العربي دمشق - مجلد ٢٤ جـ ٣ ١٩٤٩/ ٣٩٧ .

789 - جواد : د. مصطفى - المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية - ط ٢ - بغداد ١٩٦٥ / ١٠ .

790 - جواد - النحو الكوفي وفائدته في تيسير قواعد اللغة العربية - مجلة المعلم الجديد - بغداد - العدد (١٣)- ١٩٥٠ /٢١٦.

791 - ينظر / السامرائي - النحو العربي نقد وبناء / ٩٠ .

وصورتها والضوابط التي تظهر في آخرها وعلى هذا فإنَّ ما ندعوه مثلاً بالإعراب التقديري في نحونا كما هو الآن ، شيءٌ باطلٌ لأنَّه بعيد عن المنهج الوصفي))[٧٩٢].

٢- ترك التعليل الذي يَعِدُّه الدكتور إبراهيم السامرائي : ((إغراق في التصوَّر والافتعال أبعدَ النحو عن طبيعته الأصلية وهي وصف الكلام من ناحية بناء الكلمة وبناء الجملة...ثُمَّ إنَّ هذا التعليل يسيء إلى الحقيقة اللغوية ذلك أنَّ (اللغة) تصبح شيئاً وضعه عقلٌ مفكرٌ أراد أنْ يقسِّمها ويصنِّفها فيَحْمِل على شيءٍ ويفحص متطلباتها ويعطي كل صنف ما يطلبه ، وما أبعد علم اللغة عن هذا النمط من التفكير))[٧٩٣] .

٣- الدعوة إلى تجديد أبواب النحو وتنسيقها ، قال السامرائي : ((إنَّ حاجتنا إلى نحوٍ جديدٍ في العربية يقدِّم إلى الشداة المتعلمين في المرحلتين الدراسيتين الابتدائية والثانوية ضرورية ، وهو بعيد عن تلك المواد التي لا يراها الدارسون في العربية الحديثة))[٧٩٤] ولايسعني تناول ما جاء في كل المحاولات لضيق مجال الحديث عنها في فصل واحد لذا سيكون مدار البحث في أشهر ثلاث محاولات أثرت في مجرى تطوُّر النحو العربي تأثيراً فعَّالاً ، وقد حرصتُ على الإشارة بشيء من التفصيل إلى تلك المحاولات لزعماء حركة التيسير والإصلاح في الوطن العربي ، الذين أعطوا النحو أهمية كبيرة ، وكرَّسوا حياتهم للتجديد فيه وهم في رأيي (الأستاذ إبراهيم مصطفى ، والدكتور أحمد عبد الستار الجواري، والدكتور مهدي المخزومي). هذا الفريق الذي كان هدفه إعادة النحو إلى اللغة وأصولها مبتعدين به عن الفلسفة ، وعلم الكلام، والمنطق ، وأرادوا : ((إعادة النظر في دراسة النحو،

---

792. - السامرائي - النحو العربي نقد وبناء / ٦٢ .

793. - المصدر نفسه / ٦٧ .

794 - السامرائي : د. إبراهيم - الذاهب من مواد النحو القديم في العربية الحديثة - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - العدد (٣٩) السنة ١٤ - ١٩٩٠/ ١٢ .

وتوخي إقامة هذه الدراسة على أسس لغوية ، لا أثر فيها للفلسفة والمنطق ، لِتـُنَقّى هذه المادة من كثير مما علق بها من شوائب ، وتكون مقبولة سائغة))[٧٩٥].

وأعتقد أنَّ هذه المحاولات الثلاث لها أثرها في الحركة اللغوية الحديثة، إذ فتحت المجال أمام دارسي العربية ، لإبداء آرائهم السديدة، بحرية متناهية بعيدة عن القيود ، بشرط احترام مكانة العربية التاريخية، وتقديس أصالتها لأنَّ : ((تيسير العربية لا يعني تغيير نظامها النحوي واللغوي، والكتابي ، لأنَّ الصعوبة لا تكمن في هذا النظام ، وإنَّما تكمن في طريقة تناول القدماء له ، ومنهج بحثهم فيه))[٧٩٦] . وسيتناول البحث هذه الأمثلة الثلاث ببعض التفصيل مشيراً إلى أهمِّ النتائج التي توصَّل إليها زعماء التيسير دون التعمُّق الشديد فيها أو ما أُثِيْرَ حولها من جدل ، لفائدة البحث واِغنائه بشذرات هؤلاء الأفذاذ. وهذه المحاولات كالآتي:

أ- <u>محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى</u>

أطلَّ عام ١٩٣٧ يحمل معه كتاباً ، أحدث ضجة غير عادية ، في الوسط الثقافي في مصر، إذ صار كتاب (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى، يمثِّل طموحاً عالياً في بناء مادة نحوية جديدة فقد قال : ((أطمح أنْ أغيَّر منهج البحث النحوي للغة العربية ، وأنْ أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة تقرِّبهم من العربية وتهديهم إلى خط الفقه بأساليبها))[٧٩٧]. ركَّز الأستاذ إبراهيم مصطفى جهوده على الإعراب وحركاته ، فيرى أنَّ الطريق الصحيح هو أنْ : ((ندرس علامات الإعراب على أنَّها دوال على معانٍ، وأنْ نبحث في ثنايا الكلام عمّا تشير إليه كل علامة منها))[٧٩٨] ، وعنده أنَّ الحركات الإعرابية لكل منها سمة تميزها فهو يرى : ((الضمة علم الإسناد والدليل أنَّ الكلمة مرفوعة ، يراد أنْ يسند إليها ويتحدث عنها ، والكسرة علم الإضافة ،

---

795 - العزاوي : د. نعمة رحيم - من قضايا تعليم اللغة العربية (رؤية جديدة) - بغداد ١٠٢/١٩٨٨ .

796 - المصدر نفسه / ١٠٥ .

797 - مصطفى : إبراهيم - إحياء النحو - القاهرة ١٩٥٩ /١ .

798 - المصدر نفسه / ٤٩ .

وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها بأداة أو بغير أداة ولا يخرج كل منهما عن هذا إلاّ أنْ تكون في بناء أو إتباع، وللإعراب الضمة والكسرة فقط ، وليستا أثراً لعامل من اللفظ ، بل هما من عمل المتكلم ليدل بهما على معنى في تأليف الجملة))[٧٩٩]. وعنده الفتحة ((لا تدل على معنى كالضمة والكسرة ، فليست بعلم إعراب، وإنَّما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يحبون أنْ يشكل بها آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام ، فهي في العربية نظير السكون في لغتنا العامية))[٨٠٠] . ويحاول الأستاذ إبراهيم مصطفى إعادة تبويب النحو ، يحذف منه بعض الأبواب ، ويدمج بعضها ببعضها الآخر، فقد جعل المبتدأ، والفاعل ،ونائب الفاعل لتعلقها بموضوع الرفع في باب واحد : ((إذا تتبعنا أحكام هذه الأبواب وجدنا فيها من الاتفاق والتماثل ما يوجب أنْ تكون باباً واحداً))[٨٠١].

وبالرغم من أنَّ دعوة إبراهيم مصطفى جادة في سبيل إعادة النظر في النحو العربي ، ودرس العربية ، فإنَّه بالنهاية أبقى على الجانب التعليمي وحده وقد قدَّم في محاولته هذه شيئاً مهماً في تيسير النحو فيه بعض التعديلات اليسيرة وكذلك موافقته لٱبن مضاء في إلغاء نظرية العامل: ((دعوة إبراهيم مصطفى إلى تنقية النحو من آثار الفلسفة تشبه دعوة ابن مضاء إلى إلغاء فكرة العامل وإبطال آثارها التي جرتها على النحو من تقديرات وتأويلات))[٨٠٢]، وأيضاً : ((كان من نتائج هذا المنهج أنْ ٱتسعت دائرة البحث حتى شملت طريقة تأليف الكلام وما يجب أنْ تكون عليه الكلمة في الجملة مع الجمل حتى تتسق العبارة ويمكن أنْ تؤدي معناها... وابتعد المنهج عن الآثار الفلسفية التي رافقت النحو، واتجه نحو القراءات القرآنية لٱستخلاص مسائل النحو منها، وتوثيق هذه المسائل بما ورد

---

799. - المصدر نفسه /٥٠
800. - المصدر نفسه / ٧٨
801. - مصطفى : إبراهيم - إحياء النحو /٥٤
802. - كاصد : قاسم عبد الرضا- محاولات حديثة في تيسير النحو العربي /١٢٤

عن الأئمة القرّاء))[٨٠٣] ، ومن أهم المسائل المهمة التي تناولها إبراهيم مصطفى على سبيل الفائدة ما يأتي:

أ- رأيه في المنادى : قال: ((المنادى المُعَيَّن أو المعرَّف يُمْنَع من التنوين ، فإذا بقي للاّسم بعد حذف التنوين حكمه وهو النصب آشتبه بالمضاف إلى ياء المتكلِّم لأنَّها تُقلَب في باب النداء ألفاً ، وقد تحذف وتبقى الحركة القصيرة مشيرة إليها ، ففروا في هذا الباب من النصب إلى الجر إلى الضم حيث لا شبهة بياء المتكلم))[٨٠٤]، وهذا الرأي موافق ما ذهب إليه الكوفيون إذ قالوا في علة رفعه : ((فَلَمْ نخفضه لئلا يُشبَّه بالمضاف ولم ننصبه لئلا يُشْبِه ما لا ينصرف، فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برافع صحيح فرق))[٨٠٥].

ب-اسم (إنَّ).

يرى إبراهيم مصطفى أنَّ اسم (إنَّ) يجب أنْ يكون مرفوعاً بدل مجيئه منصوباً إذ قال : ((فهذا المسلك من العربية يفسر لنا ما تراه في استعمال العرب اسم إنَّ منصوباً وما نجده من أثر الرفع فيه))[٨٠٦] . وآسْتَدَل على رأيه بقول الله تعالى : ((إنْ هَذانِ لَسَاحِرَانِ[٨٠٧])) ، فجعل (هَذان) بعد (إنْ) مرفوعاً ولهذا حقَّ القول: ((إنَّ محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى تعليل نصب اسم إنَّ هذا التعليل لإخضاعه لأصله))[٨٠٨] فآتباع التأويل على الأصل يُعَدّ بالنسبة إلى هذهِ القاعدة شذوذاً عن إقراره الرفع علم الإسناد ، وآسم إنَّ مسند إليه فيقول: ((إنَّ الأداة إذا دخلت على الضمير مال حسُّهم اللغوي إلى أنْ يصلوا بينهما ، فيستبدلون بضمير الرفع ضمير النصب لأنَّ ضمير الرفع لا يوصل إلاّ بالفعل ، ولأنَّ الضمير المتصل أكثر في لسانهم وهو أحب آستعمالاً من المنفصل))[٨٠٩] .

---

803. - القزاز: د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق - دار الرشيد - بغداد ١٤٩/١٩٨١ .
804. - مصطفى : إبراهيم - إحياء النحو /٦٢ .
805. - ابن الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف ٣٢٣/١ المسألة (٤٥) .
806. - مصطفى : إبراهيم - إحياء النحو / ٧٠ .
807. - سورة طه - الآية /٦٣ .
808. - كاصد : قاسم عبد الرضا - محاولات حديثة في تيسير النحو العربي / ٥٤ .
809. - مصطفى : إبراهيم - إحياء النحو /٦٩ .

إن محاولة الأستاذ إبراهيم جديرةٌ بالتقدير والاحترام واعتنت بمواضيع كثيرة في النحو العربي لا يسع البحث رصدها جميعاً ، وإنما أشار إلى بعض مسائله تقريراً بما فعل في النحو، فقد أراد من خلال محاولته هذهِ وضع النحو في قالب جديد مبني على السهولة ، فيتمكن العربي في عصرنا من استيعابه وفهمه .

وقد فتحت هذه المحاولة الحقيقية باب التيسير أمام الدارسين، ما حَدا بتلميذه الدكتور مهدي المخزومي إلى إتمام ما بدأ به أستاذه إبراهيم مصطفى لكنه ٱنفرد بمنهجه عن أستاذه[٨١٠]. وسيشير البحث إلى محاولته في موضع آخر من هذا المبحث .

ت- <u>محاولة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري</u>

عُني الدكتور الجواري بالنحو العربي ، وضرورة تجديده ، وتيسيره منذ وقتٍ مبكرٍ من حياته العلمية . فطرح أول محاولاته متأثراً بأستاذه إبراهيم مصطفى وما طرحهُ الأخير في كتابه (إحياء النحو) ، فقد طرح الجواري آراءه في تيسير النحو ومعناه ، والإعراب، والعوامل ، منهاج النحو، وعلامات الإعراب . وضَمّن هذهِ الآراء كتابَهُ الموسوم (نحو التيسير)[٨١١] الذي ألّفه عام ١٩٦٢ م . ثُمَّ ألَّف عام ١٩٧٤ م كتابين آخرين هما: (نحو الفعل)[٨١٢] و(نحو القرآن)[٨١٣] ثُمَّ كتابه (نحو المعاني)[٨١٤] عام ١٩٨٧ م . وقد تضمَّنت هذه الكتب كثيراً من مقترحاتهِ، ونشر أخرى في بحوث ومقالات في المجلات والدوريات والتي يصدر معظمها عن المجامع العلمية واللغوية . وقد ٱنصبت مقترحات الجواري في جوانب مهمة في تيسير النحو العربي منها :

---

[810] - ينظر / كاصد : قاسم عبد الرضا - محاولات حديثة في تيسير النحو العربي / ١٣٠ وما بعدها .

[811] - الجواري - نحو التيسير – مطبوعات جمعية نشر العلوم والثقافة - بغداد ١٩٦٢ .

[812] - الجواري - نحو الفعل - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ط ١- ١٩٧٤ .

[813] - الجواري - نحو القرآن - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ط ١- ١٩٧٤

[814] - الجواري - نحو المعاني - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ط ١- ١٩٨٧ .

١- أنْ يُدْرَس النحو : ((في صورته الأولى دراسة واعية عميقة لا تغفل عن الغاية ولا تتجاهل أسباب الانحراف عنها ، ثم تعرف ما اختلط بها من أمور بعيدة عن طبيعتها حتى جعلتها أخلاطاً مجمعة ملفقة لا تحقق غرضها ولا تبلغ غايتها))[٨١٥].

٢- الاعتماد على القرآن الكريم في وضع قواعد النحو لِما فيه من : ((أسلوبٍ سهلٍ سلسٍ متسلسلٍ بالغ غاية القوة والبراعة والانسجام ، ولو أنَّهم فعلوا ذلك لكانت صورة النحو غير هذهِ الصورة ، ولكان أقرب إلى الأذهان))[٨١٦] . ولكون القرآن الكريم قد: ((ألتقت روافد العربية كلها في هذا النهر الخالد وآنسا بت لهجات العربية وطرائقها المتعددة في هذا التيار، فكانت لغة القرآن وأسلوب القرآن أمثل صورة من صور التعبير العربي وأروع مثال من مُثله البيانية))[٨١٧]، ومن أمثلة ذلك عنده ، تفسيره لمجئ خبر (ما) العاملة عمل(ليس) مقترناً بـ (الياء) أسلوب خاص في الاستعمال القرآني ، وليس كما يرى النحاة ، أنَّها ترفع بعدها اسماً وتنصب خبراً ، بل اقترن خبرها بـ (الياء) هو الأصل في هذا التعبير ، وقد ورد في القرآن الكريم مجرداً من (الياء) في موضعين هما : قوله تعالى : ((مَا هَذا بَشَرَاً))[٨١٨] وقوله تعالى: ((مَا هُنَّ أُمّهَاتَهَمْ))[٨١٩] . لذا قال الجواري: ((ولعلنا لو أردنا أنْ نعاود النظر في هذه القاعدة لأنتهينا إلى أنَّ خبر (ما) النافية يقع مجروراً بالباء في أغلب أحواله ولا سيما حين يكون مشتقاً ، ويقع منصوباً شأن أخبار النواسخ بقلة ، ولا سيما حين يكون جامداً غير مشتق...))[٨٢٠].

٣- الابتعاد عن إخضاع النحو لقوانين الفقه والمنطق التي تخرج بالنحو عن طبيعته وتبعده عن الطريق الذي رسم له : ((والحقيقة أنَّ إخضاع النحو للمنطق أمر يخرج

---

815. - الجواري - نحو التيسير / ٣
816. - الجواري - نحو التيسير / ٤
817. - المصدر نفسه / ٥
818. - يوسف - الآية / ٣١
819. - المجادلة - الآية / ٢
820. - الجواري - نحو القرآن / ٩٢

بالنحو عن طبيعته ، ويبعد به عن واقع حاله ، ذلك أنَّ المنطق صورة مجردة لايحكم فيها إلاَّ الفكر المجرد))[٨٢١].

٤- دراسة الجملة لأنَّه يرى أنَّ الجملة أساس النحو ، إذ ((يكاد النحاة جميعاً يتفقون على أنَّ الكلام هو اللفظ المركَّب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها...))[٨٢٢]. وهو بهذا تابع عبد القاهر الجرجاني الذي جعل النظم هو تركيب الكلام[٨٢٣]. قال الجواري : ((المراد بالنظم تركيب الكلام ، وبناؤه وترتيب أجزائه بعضها مع بعضها الآخر، فالتركيب ليس محض رصف للألفاظ على الصورة المعهودة في العربية بخاصة ، وليس ترتيب الألفاظ وحده هو النظم ، وإنَّما النظم كما يقول عبد القادر توخِّي معاني النحو))[٨٢٤] فيقرر بهذا أنَّه : ((ينبغي أنْ تكون دراسة الجملة وطبيعتها أول ما يتوجه إليه الاهتمام وتنصرف إليه العناية))[٨٢٥].

٥- الاهتمام بالأسلوب النفسي المؤثر في الدارس ، لأنَّ ((كل إصلاح لمنهج الدرس النحوي وكل تيسير يراد لهذا النحو لابُدَّ أنْ يستهدي بالأسلوب النفسي في اللغة وفي تدريسها ، والأسلوب النفسي يُعنى قبل كل شيء بالعلاقات التي تقوم بين الألفاظ المفردة حين يتألف منها الكلام))[٨٢٦] .

٦- العناية بالإعراب والكشف عن معانيه وأحواله من رفع ، ونصب ، وجر، وجزم : ((فإنَّ ذلك يجعل معاني النحو ماثلة في أذهان الدارسين ويعيدها إلى موضعها من الدرس والفهم))[٨٢٧]. ويقول أيضاً : ((لعل في معنى الإعراب عند أوائل أهل العربية ما يقرِّب لنا الغاية ويهدينا إلى الوسيلة ، ذلك أنَّ أصله في اللغة الإيضاح والبيان ، وهو كما يقول ابن جني : ((الإبانة عن المعاني بالألفاظ)) وهو((مصدر

---

821. - الجواري - نحو التيسير / ٥٧
822. - المصدر نفسه / ١١٣
823. - ينظر / الجرجاني - دلائل الإعجاز /٤٥
824. - الجواري - نحو المعاني /٢٥
825. - الجواري - نحو التيسير / ١١٤
826. - المصدر نفسه / ١١٤
827. - الجواري - نحو المعاني / ٦

أعْرَبْتَ عن الشيء إذا أوضحت عنه ، وفلانٌ مُعْرِبٌ عَمّا في نفسه أي مبيِّن له وموضح عنه)[٨٢٨])[٨٢٩].

ومن مسائله التي نظَّر فيها :

١- عدم اشتراط مجيء (قد) قبل الفعل الماضي في جملة الحال ، وهو مخالف النحاة الذين قالوا بسبق (قد) لجملة الفعل الماضي الحالية ، وقد دلَّل على ذلك من آيْ القرآن الكريم في قوله تعالى : ((وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا))[٨٣٠] والشاهد هنا(وٱستيقنتها) لم تسبق بـ (قد)[٨٣١].

٢- دلَّل على أنَّ ((الوصف بالمصدر كثير في آي القرآن الكريم ، وهو يرد على سبيل النعت ، كما أنَّه يأتي خبراً ، ويأتي وصفاً للفعل أو بياناً له في مواضع كثيرة))[٨٣٢] وقد مثل لذلك بآيات منها: ورود المصدر نعتاً قوله تعالى: ((إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقّ ُ))[٨٣٣] وقوله تعالى ((وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ))[٨٣٤] ، ومن وروده وصفاً للفعل أو بياناً له قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَذْكُرُوْنَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوْبِهِمْ))[٨٣٥] ، ومن وقوعه خبراً قوله تعالى: ((الشَّهْرُ الْحَرَامِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ))[٨٣٦].

والملاحظ على هذه المحاولة تعمقها الكبير في القرآن الكريم، وكثرة الاستشهاد بآياته ، وأنَّها تُعَدّ ُ من المحاولات الجليلة والناجحة، التي أعتقدُ أنَّها الخطوة التي مهدَّت لبناء النحو من جديد مع الحفاظ على أصالته وجوهره . على الرغم من وجود محاولات أخرى سبقتها ، إلاَّ أنَّ الجواري طبَّق كلامه النظري عملياً في التدريس ، ولم تتوقف جهوده في سبيل تيسير النحو بل واصل عطاءه

---

828 - ابن جني - الخصائص ٣٣/١ ــ ٣٥.
829 - الجواري - نحو التيسير /٢٤ .
830 - النمل - من الآية / ١٤ .
831 - ينظر / الجواري - نحو القرآن / ٩٦ وما بعدها .
832 - الجواري : د. أحمد عبد الستار - نظرة أخرى في قضايا النحو (الوصف بالمصدر) - مجلة المجمع العلمي العراقي - مجلد ٣٥ - الجزء الأول – كانون الثاني - ١٩٨٤ / ١٠.
833 - آل عمران - الآية / ٦٢ .
834 - يوسف - الآية / ١٨ .
835 - آل عمران - الآية / ١٩١ .
836 - سورة البقرة - الآية /١٩٤ .

إلى آخر عمره ، لعلَّه يصل إلى الهدف الذي رسمه لنفسه ، وأظنُّه وصل إلى ما يريد بما صنع من مآثر جليلة أفاد بها العربية .

جـ محاولة الدكتور مهدي المخزومي

ظهرت آراء الدكتور مهدي المخزومي التيسيرية والنقدية للنحو العربي في كتابيه (في النحو العربي نقد وتوجيه)[٨٣٧] و(في النحو العربي قواعد وتطبيق وفق المنهج العلمي الحديث)[٨٣٨] . وقد تجسَّدت آراؤه التيسيرية في ما يأتي:

١- إعادة ترتيب الدراسات النحوية بحسب التسلسل الآتي:

أ- يرى المخزومي أنَّ: ((الدراسة الصوتية هي الدراسة اللغوية الأولى التي يُعنى بها اللغويون ، وبها يعرف الدارس كثيراً من الظواهر اللغوية التي تدرس في كتب النحو، من إبدال ، وإعلال ، وإدغام ..... أعني أنَّه يتناول الصوت من حيث مخرجه ، ومن حيث صفته ، ومن حيث ٱمتزاجه بغيره من الأصوات))[٨٣٩].

ب- دراسة الصرف وتناول الكلمة المفردة من حيث تركيبها، واشتقاقها. قال : ((موضوع الدرس الصرفي هو الكلمة المفردة ، وهو يبحث فيها من حيث بنيتها ومن حيث زنتها ، ومن حيث اشتقاقها ، ومن حيث تجردها وزيادتها ، إلى غير ذلك مما يتعلق بالكلمة))[٨٤٠].

جـ - تركيز الدراسة النحوية في بحث الجملة العربية وما يطرأ عليها: ((وموضوع الدرس النحوي هو الكلمة مؤلفة من غيرها ،أو هو الجملة، وتدرس الجملة فيه من حيث نوعها ، ومن حيث ما يطرأ لأركانها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف أو إضمار وإظهار، ومن حيث ما يطرأ عليها من استفهام أو نفي ، أو توكيد . كل هذا

---

837 - المخزومي - في النحو العربي نقد وتوجيه - منشورات المكتبة العصرية - بيروت - آيار ١٩٦٤.

838 - المخزومي - في النحو العربي قواعد وتطبيق وفق المنهج العلمي الحديث - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر- آيار ١٩٦٦ م .

839 - المخزومي - في النحو العربي نقد وتوجيه / ٢٧ ــ ٢٨ .

840 - المصدر نفسه / ٢٨ .

مما يرتبط ارتباطاً بموضوع الدرس النحو ارتباطاً وثيقاً لا يصح إغفاله أو إهماله))[٨٤١].

٢- الأعتماد على القياس القائم على المشابهة .قال: ((القياس الذي يجب أنْ يتبع في دراسة اللغة والنحو هو القياس القائم على أساس المشابهة. ومحاكاة المسموع والمعروف من كلام العرب وأساليبهم))[٨٤٢].

٣- الأعتماد على تعريف للجملة الفعلية والاسمية موافقاً فيه ومشاركاً، مقترحات الجواري فيه ، فيرى المخزومي أنَّ: ((الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدُّد ، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً متجدِّداً ، وبعبارة أوضح ، هي التي يكون فيها المسند فعلاً ، لأنَّ الدلالة على التجدُّد أنَّما تستمد من الأفعال وحدها))[٨٤٣]. ويشارك البلاغيين ولا سيما عبد القاهر الجرجاني أيضاً في هذا الأمر. قال الجرجاني: ((وأمَّا الفعل فموضوعه على أنْ يقتضي تجدُّد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء فإذا : قلت : زيدٌ منطلقٌ ، فقد أثبت الانطلاق فعلاً ....))[٨٤٤].

أما الجملة الاسمية : ((فهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت،أو التي يتصف فيها المسند آسماً))[٨٤٥]، أما الجرجاني فيقول : ((ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أنْ يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً))[٨٤٦] ، وقد بنى الدكتور المخزومي منهجه على ركائز مهمة منها :

((١- أنَّ النحو ليس من وظيفته أنْ يفرض على المتكلمين قاعدة أو يخطيء لهم أسلوباً .

٢- وأنَّ النحو دراسة وصفية تطبيقية .

٣- والنحو عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة في الحياة والتطوُّر.

---

841. - المصدر نفسه / ٢٨
842. - المخزومي - في النحو العربي نقد وتوجيه / ٢٢
843. - المصدر نفسه / ٤١
844. - الجرجاني - دلائل الإعجاز / ١٣٣
845. - المخزومي - النحو العربي نقد وتوجيه / ٤٢
846. - الجرجاني - دلائل الإعجاز / ١٣٤

٤- وليس للنحو أنْ يفلسف أو يبني على حكم من أحكام العقل))[٨٤٧] .

ويرى أنَّ هذه الأفكار لا تَتِّمُ إلاَّ بخطوتين هما :

١- تخليص النحو من الشوائب الفلسفية والعوامل والعلل لذا قال: ((أنْ نخلِّص الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرَّها عليه منهج دخيل، هو منهج الفلسفة الذي حمل معه إلى هذا الدرس فكرة (العامل)))[٨٤٨] .

٢- تحديد نقطة للبدء منها مع تحديد موضوع الدرس : ((أنْ نُحدِّد موضوع الدرس اللغوي ، ونعيِّن نقطة البدء به ، ليكون الدارسون على هدى من أمر ما يبحثون فيه))[٨٤٩] ، ولهذا كله ((أصبحت الحاجة ماسَّة إلى نحوٍ جديدٍ يخلو مما علق به في تاريخه الطويل من شوائب ليست منه ، ودروس وفق منهج يلائمه ، مبرأ من هذه التعليلات الفلسفية التي اصطنعها القوم...))[٨٥٠]. ومن المسائل التي تناولها المخزومي مسألة المنصوبات إذ يرى الدكتور مهدي المخزومي المنصوبات في العربية نوعين هما :

((١- نوع يؤدي وظيفة إعرابية في إثناء الجملة، كالمفعولات، والحال ، وغيرها من متعلقات الجملة ، نحو : شَاهَدْتُ الظبْيَ راكضاً . وقوله تعالى: ((وَٱشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا))[٨٥١].

اشتعلَ : فعل ماضٍ.

الرأسُ : فاعل مرفوع لأنَّه مسند إليه في جملة فعلية.

شيباً : تمييز يوضح معنى مبهماً قبله ، وهو(ٱشتعال الرأس) وهو منصوب لأنَّه لم يدخل في إسنادٍ ولا إضافةٍ.

٢- ونوع لا يؤدي شيئاً من ذلك ، ولكنه مفتوح الآخر لأنَّه لا سبيل إلى تحريك آخره بغير الفتحة ، ولأنَّ الفتحة هي الحركة الخفيفة التي يستريح إليها العرب حين يريدون تحريك آخر كلمة لا تدخل في نطاق إسنادٍ ولا إضافةٍ ، ولا تحمل

---

847. - المخزومي - النحو العربي نقد وتوجيه / ١٩، ٢٠ .
848. - المصدر نفسه / ١٥ .
849. - المصدر نفسه / ١٦ .
850. - المصدر نفسه / ٢٧ .
851. - مريم - الآية / ٤ .

أيّ معنى إعرابي ، وذلك كالمناديات المنصوبة، فليس الوصفي : ((اتبع منهجاً وصفياً استقرائياً يعتمد وصف الحقائق ولا يتدخل في فرض القواعد...))[٨٥٢].

ومحاولة المخزومي هذه مبنية على جانبين نظري تضمنه كتابه (النحو العربي نقد وتوجيه) وتطبيقي في كتابه(النحو العربي قواعد وتطبيق وفق المنهج العلمي الحديث) فأعطى النحو بمحاولته أصولاً عامة للنحو الوظيفي الذي لاعوامل فيه ولا علل[٨٥٣] ، والمخزومي يرى ضالته بالاستعانة بما تركته مدرسة الكوفة النحوية ، الخطوة الصحيحة في طريق الإصلاح والتيسير إذ قال: ((أرى أنْ يُعنى الدارسون بكل ما خلَّفته مدرسة الكوفة وأنْ يُستعان بما توصَّل إليه أساتيذها وشيوخها ... ففيما توصلوا إليه ما يُيسر لنا تحقيق هذه الدعوة بوجهيها من إصلاح جذري منشود ، ومن تيسير لاغنى عنه إذا أردنا صالح الدارسين الناشئين))[٨٥٤].في المنادى إسناد ولا إضافة ، وليس المنادى من متعلقات الجملة : نحو ((ياعَبْدَ الله أقبلْ . فليس (عبد الله) مفعولاً،أو شبيهاً بالمفعول ، وحين أريد تحريكه في وصل الكلام نصب لأنَّه لا سبيل إلى تحريكه بغير الفتحة...))[٨٥٥].

تمثل دعوة الدكتور المخزومي قمة الدعوات السابقة ، توفَّر فيها من النضج ، ما لم يتوفَّر في غيرها. ففيها إعادة واضحة لبناء النحو العربي ، يلائم متطلبات الحياة الجديدة في المجتمع ، وعلى الرغم من أنَّ الدعوات السابقة أجهدت نفسها في هذا الأمر إلاَّ أنَّها لم تأتِ ببديل عن النحو القديم . لكنَّ المخزومي وجد أنَّ النحو التطبيقي هو البديل ضمن العمل بخطوات المنهج

ب- القسم الثاني

دعوات ذات أهداف هدّامة

---

852 - كاصد : قاسم عبد الرضا - محاولات حديثة في تيسير النحو العربي / ٢٥١ .

853 - ينظر / المصدر نفسه / ٢٦٩ .

854 - المخزومي : د. مهدي - دعوة جادة في إصلاح العربية - مجلة المعلم الجديد - مجلد ١٨ جزء ٦ كانون الأول ١٩٥٥ / ٢٩ .

855 - المخزومي - في النحو العربي قواعد وتطبيق / ٧٠ ، ٧١ .

بعد أنْ استقر في الأذهان أنَّ النحو عسيرٌ غير مُمَهَّدٍ ، وأصبح الناس يفضلون السهل منه ، فصار عندهم التيسير ضرباً من التذليل لصعوبة النحو هذه ، فأنقسم الدارسون في التيسير قسمين ، الأول جادٌّ يحاول بناء النحو على طريقة تخدم العربية وأبناءها ، والآخر : أظهر حقده الدفين ، وهذا الأخير: ((فريقٌ حاقدٌ ، وجد في صعوبة النحو، وبَرْم الناس به سبيلاً إلى النيل من اللغة ، وإزهاق حقائقها ، ليتحقق له ماعجزت القرون المتطاولة عن تحقيقه))[٨٥٦] . وشجعهم على ذلك تقبل الناس للسهل اليسير وابتعادهم عن الصعب الذي يحتاج إلى تأمل وفكر فـ ((مازال الناس يفضلون السهل ويتتبعون اليسير حتى أصبح ذلك عندهم عادة لايقدرون على مخالفتها ، وتعوَّدت نفوسهم وعقولهم وأجسامهم حبَّ التيسير حتى أصبح ذلك مرضاً تجاوز عندهم حُبَّ التيسير من الأمور المعاشية ، ووسائل الحياة المادية إلى ما لايجوز التهاون فيه من أمور العقل، ومسائل العلم))[٨٥٧]. ولمّا كان حُبَّ الناس السهل ، وتغاضيهم عن أمور كثيرة ، فقد شجع هذا الأمر فريقاً من الباحثين، الذين لاتعرف نواياهم إلاَّ الحقد والحسد، لهذه اللغة التي صمدت دهوراً طويلة بوجه التيارات المتعاقبة . وظلَّت محافظة على هويتها الأصيلة ، حتى اختلفت عن اللغات الأخرى ، التي أباد الدهر أكثرها . أو أصاب بعضها التغيير، فكانت محاولة هذا الفريق قلب الحقائق لأنَّه: ((رمى من دعوته إلى مسخ هذه الحقائق ، وابتداع نظام لغوي جديد ، وكان شافعه إلى ذلك ما زعموه من صعوبة النظام اللغوي، وعسير القواعد الموروثة))[٨٥٨]. وقد توهَّم هؤلاء وألتبس عليهم أمر التيسير لكونهم جعلوا التيسير تغييراً شاملاً لنظام العربية ، وهو ليس كذلك لأنَّه : ((لا يعني تغيير نظامها النحوي اللغوي والكتابي..))[٨٥٩]. ومن هذه الدعوات الآتي:

١- <u>دعوة جرجس الخوري المقدسي:</u>

---

856 - العزاوي - من قضايا تعليم اللغة العربية /١٠١ .

857 - العلواني : نسرين عبد الله - البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة - أطروحة دكتوراه - مخطوط - كلية الآداب - جامعة بغداد ٢٠٠٣ / ١.

858 - العزاوي - من قضايا تعليم اللغة العربية / ١٠٤ .

859 - المصدر نفسه / ١٠٥ .

فقد نشر المقدسي مقالاً عنوانه : ((العربية وتسهيل قواعدها)) في مجلة المقتضب عام ١٩٠٤[٨٦٠]. الذي هاجم فيه العربية ، منطلقاً من الإعراب الذي يرى أنَّ الصعوبة تكمن فيه ، وأنَّ التعقيد الذي يظهر على النحو منه.قال : ((استخدام الحركات في أماكنها يُعَدّ ُعقبة في درس العربية لأنَّ قواعدها تقضي بوضع علامات على آخر المعربات، وهذا همٌّ يلازم الكاتب والقارئ والخطيب مدى الحياة، ولا يكتفي النحاة بذلك بل يطالبون الدارس بتصوُّر علامات إعراب للكلمات المبنية الأواخر))[٨٦١]. وقد حدَّد جرجس الخوري صعوبة العربية في طريقين:

((الأول أنْ تحسب الكلمات كلَّها مبنية الأواخر ، فيقتصر في ضبط الألفاظ على السماع وقواعد الصرف ،وفي إعرابها على معرفة نسبتها في الجمل بعضها إلى بعض...والثاني دعا فيه إلى:

١- إلغاء باب الممنوع من الصرف.

٢- إعراب (أي) في كل الأحوال .

٣- رفع الاسم والخبر دائماً حتى مع النواسخ.

٤- نصب المنادى المعرب مطلقاً.

٥- إلغاء أحكام العدد.

٦- جعل ضمير جمع المؤنث والمذكر واحدة مقارنة مع اللغات الأخرى))[٨٦٢].

وكان صاحب هذه الدعوة متأثراً باللغات الأوربية بشكل جعله ينسى أنَّ للعربية خصائص ثابتة تنفرد بها عن غيرها لأنَّ ((لكل لغة خصائصها وطرائق نظمها))[٨٦٣].

٢- <u>دعوة القس حنا رحماني عام ١٩٢٤م .</u>

---

860 - ينظر/ سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٨٩ ، والعزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره / ٥٢ .

861 - سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٨٩ .

862 - سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٨٩ ، وينظر/ العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره / ٥٢ .

863 - العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره / ٥٣ .

نشر القس حنا رحماني مقالاً في جريدة العراق بعنوان (اللغة العربية و وسائل ترقيِّها) ، وقد تناول فيه بعض المقترحات التي يراها متعلقة بتيسير النحو والصرف ، فإذا هو ينقِّح قواعد اللغة بروح المتفرج من قمة عالية ، لا يرى من العمق إلاّ أطراف أصابع قدمه[٨٦٤]. وقد أقترح لتنقيح العربية الآتي :

١- حذف المثنى من العربية . قال رحماني : ((.... ومّما يجب حذفه،على رأيي هو المثنى))[٨٦٥]. وللقس رحماني في حذف المثنى من العربية أسباب أقتنع بها أو حاول الاقتناع بها منها كما قال : ((كُلُّ لغةٍ متى بلغت درجة من الرقي استغنت بكل سهولة عن المثنى ، وعاملت في قواعدها الاثنين كالثلاثة ... وأنَّ أختَي العربية أي السريانية والعبرانية أبطلتا المثنى وإنْ كان قديماً ثابتاً عندهم ... وأخيراً أنَّ الفم يلاقي أحياناً بل غالباً من الصعوبة في التلفظ بالمثنى والأذن في سمعه ما يجعل الأوْلى العدول عنه . مثال ذلك : عَصَوَانِ، فَتَيانِ، عَذراوانِ هذا فضلاً عن الصعوبة الكبرى الحقيقية الموجودة في نفس قواعد صوغه من الكلمات المقصورة والممدودة))[٨٦٦]. وقد دعا القس رحماني أيضاً في المقال نفسه إلى حذف الحركات الإعرابية من أواخر الكلمات حذفاً كاملاً ((وتسكين الأواخر لفظاً وخطاً ، فعوضاً من أنْ نقرأ : تناولَ الولدُ الطعامَ ، يقال : تناولْ الولدْ الطعامْ . كما هي الحال في اللغات الأوربية ...))[٨٦٧]. وقد أستندت هذه الدعوة إلى ما هو موجود في اللغات الأخرى التي لا تقترب في خصائصها من العربية ، وأرى أنَّ صاحب هذا الرأي ، أبتعد كثيراً عن العمق اللغوي للغة القرآن الكريم ، ولم يرَ إلاَّ أطرافاً ، متناسياً عظمة هذه اللغة وشموليتها لكل دقائق الحياة . وأعتقدُ أنَّ هذه الدعوة تشكل إجحافاً بحقِّ العربية وتجنياً عليها، وأنَّ صاحبها يتخبط في عشواء بل يريد خلط الأوراق ، فلا تشابه بين لغتنا واللغات الأخرى إلاَّ في بعض السمات. ثُمَّ أنَّ الدكتور مصطفى جواد رَدَّ على صاحب هذه الدعوة القس رحماني ، بمقال نشرته مجلة لغة العرب منه : ((هذا

---

[864] - ينظر / القزاز: د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق / ١٥٥.عن جريدة العراق - حزيران ١٩٢٤/ ٩ ــ ١١.

[865] - المصدر نفسه /١٥٦ .

[866] - المصدر نفسه / ١٥٦ .

[867] - القزاز: د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق / ١٥٧ .

اختراع لغة تخليطية لا اختراع إصلاح ، فمن إصلاحه المزعوم إهمال المثنى أو استواء المذكر والمؤنث في فعول وفعيل وليس هذا من الإصلاح ...))[٨٦٨].

٣- <u>دعوة قاسم أمين</u>

وتأتي هذه الدعوة متأثرةً بما في اللغات الأوربية من خصائص ،إذ يدعو فيها إلى إلغاء الإعراب ، وجعل الكلمات ساكنة في الجملة دون تحريك ، كما هو موجود في اللغات الأوربية والتركية. فقال: ((هو أنْ تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأيِّ عاملٍ من العوامل))[٨٦٩] . أنَّ هذه الدعوات لا يؤمن أصحابها بأنَّ ((لكُلِّ لغةٍ خصائصها وطرائق نظمها))[٨٧٠]، وفاتهم أمرٌ مهمٌ أيضاً هو ((أنَّ التيسير الذي نرجوه هو أنْ تُيَسَّر قواعد العربية بحيث تظل محتفظة بمقوماتها الأساسية لا أنْ نمسخها إلى بناء قوامه الضرورات والفلتات))[٨٧١].

٤- <u>الدعوة إلى العامية</u>

وقد تبنى هذه الدعوة عدد غير قليل من العرب المصريين ، الذين آنطووا تحت لواء الأجنبي ، للأسف الشديد ، وأحبُّوا لغته وحياته متناسين أصالة تراثهم ، وقدسية لغتهم . ومن هؤلاء : ((سلامة موسى ، وأحمد لطفي السيد ، وقاسم أمين ، والخوري مارون غصن ، ومحمود تيمور، وسعيد عقل، وأنيس فريحة ، ولويس عوض .... وغيرهم))[٨٧٢] ، ولقد نسي هؤلاء جمالية هذه اللغة العظيمة ، وتنكَّروا نزول القرآن الكريم بها،وجهلوا أو حاولوا تجاهل ذلك ، ولكنَّهم على ما يبدوا يهدفون إلى شيء آخر قد يكون : ((عزل المسلمين عن مصادر عزَّتهم ومجدهم

---

868 - جواد - كيفية إصلاح العربية - مجلة لغة العرب - مجلد ٩ الجزء ٢ ١٩٣١ / ٨١ و٩٤ . وينظر / القزاز: د. عبد الجبار- الدراسات اللغوية في العراق / ١٥٧ .

869 - سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ٩٠ .

870 - العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره /٥٣ .

871 - سعيد : د. عبد الوارث - في إصلاح النحو العربي / ١٤٠ .

872 - سعيد : د. نفوّسه زكريا - تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر- القاهرة ب ت /٢٠٨، وينظر (أنترنت) إبراهيم : محمود - وسائل الأعداء في محاربة اللغة - مقال على الموقع (www./) ، وينظر / دعوة أنيس فريحة إلى العامية في كتابه (نحو عربية ميسرة) - دار Zahral.com الثقافة - بيروت ١٩٥٥ /١١٦ ـ ١٣٣ .

وفصلهم عن دينهم وتراثهم))[٨٧٣]. من خلال محاربة العربية لعل الأجنبي ينظر بعين الرضا عنهم .

٥- دعوة شريف الشوباشي وكيل وزارة الثقافة المصرية عام ٢٠٠٤

أصدر الأستاذ شريف الشوباشي كتاباً عنوانه (لتحيا اللغة العربية ... ويسقط سيبويه) . وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبرى حالما صدر، من أوساط برلمانية ، وعلمية وشعبية ، فاتُّهِمَ مؤلفه بالهجوم على اللغة العربية بخطاب المستعمر من قبل البرلمان المصري ، وطالبه بسحب الكتاب من السوق ، وقد نشر محمد القاسم مقالاً على الأنترنت لخَّص ونقد فيه الكتاب المذكور[٨٧٤]. ذكر صاحب المقال واصفاً الكتاب بأنَّه يقع في (مئة وخمس وتسعين) صفحة متوسطة الحجم توزَّعت على مقدمة وعشرة فصول.وذكر الأسباب التي حدَّدها الشوباشي في مقدمة كتابه وهي :

((١- موقف مطبوعة (الألمناك) وهي مطبوعة سنوية تحمل المعلومات الأساسية في كافة المجالات وآخر الإحصائيات العالمية ، لم تَعِدْ تعتبر اللغة العربية قائمة بذاتها ، فلغة التفاهم هي اللهجات المصرية والسورية والمغربية ، أما اللغة العربية فصارت ــ عندها ــ لغة لقراءة الكتب والمراجع فقط .

٢- تدريس بعض الجامعات ومعاهد اللغات في أوربا وغيرها اللهجات عوضاً عن العربية ، فضلاً عن اعتماد مراكز تعليم اللغة في البلدان العربية الشيء نفسه مع الأجانب المبتدئين في تعلُّم لغتنا .

٣- بعض المحاولات الجادة لتعقيد اللهجات العربية حتى تصير بمثابة لغات كاملة الأركان لها قواعد النحو والصرف الخاصة بها))[٨٧٥].

ثم يقرر شريف الشوباشي . أنَّ حالة الإهمال التي أصيبت بها اللغة العربية اليوم ، هي ليست وليدة الحاضر بل هي حالة قديمة ((فاللهجات كانت موجودة دائماً ... واللغة الفصحى التي نرمز إليها أحيانا بلغة سيبويه لم تكن في يوم من

---

873. - ابراهيم - وسائل محاربة اللغة السابق الذكر .

874. - (أنترنيت) - القاسم : محمد - لتحيا اللغة العربية ... ويسقط سيبويه لماذا ؟ مقال وصفي - منشور على الموقع (إسلام أون لاين Islam online.net. ٢٠٠٤/ ٧/١٠) بتاريخ

875. - القاسم - لتحيا اللغة العربية ... ويسقط سيبويه لماذا ؟ المقال سابق الذكر .

الأيام لغة تفاهم أو تعامل يومي ، اللهم إلاَّ في فترة قصيرة ، وفي رقعة جغرافية محدودة بالجزيرة العربية))[٨٧٦]. ويتساءل الشوباشي : ((ما الذي آستجد حتى ننزعج اليوم من آقتحام اللهجات لحَيِّز التعامل اللغوي بين العرب ؟))[٨٧٧] ، ويوجه دعوة لمتعلمي اللغة العربية الذين يجدون صعوبة في تعلُّمها أنَّ العيب في اللغة وليس فيهم فيقول: ((لكُلِّ مَنْ يتعذب مِنْ جرّاء تعلُّم اللغة أو يشعر بعقدة لعدم آجادته العربية لا تقلقوا .... فالعيب ليس فيكم ، ولكنَّه في اللغة التي لم تشملها سُّنة التطوُّر))[٨٧٨] ، ويرجع الشوباشي تخلُّف العرب إلى تمسكهم بهذه اللغة الصعبة فيقول: ((أنا أعتبر أنَّ اللغة هي أحد عناصر تخلُّف العالم العربي،وأنَّ تحجُّر البعض في تناول قضية اللغة من أسباب عملية إجهاض النهضة))[٨٧٩].

وآتهم الكاتب اللغة بالمحدودية ، وإنَّها ليست لغة عالمية بل هي قليلة الانتشار، على عكس الانكليزية ، بسبب سهولة الانكليزية وعدم تعقيد قواعدها . ثُمَّ يأتي في الفصل الرابع من الكتاب ، ليدلِّل على عدم قدسية اللغة العربية ، وينفي طابع الإجلال الذي كرَّمها الله تعالى به ، من خلال نزول القرآن الكريم بها ، ويجعل النظر في قدسية اللغة سبباً في جمودها وتحنيطها، ولا يرى العربية فقط مقدَّسة عند العرب ، بل إنَّ الفراعنة كانوا ينظرون إلى لغتهم على أنَّها هابطة من السماء ، ويرى الشوباشي أنَّ فكرة قدسية اللغة ، تتناقض مع جوهر الإسلام الذي يقوم على أساس من المساواة بين أبناء الإنسانية ، وأخيراً يتَّهم الشوباشي العربية بأنَّها سبب جمود العقل العربي فيقول : ((فاللغة العربية هي السبب في جعل العقلية العربية تركِّز على الشكل وتترك الجوهر، وتميل إلى المبالغات والكلام البعيد عن الواقع والعمل، وإنَّها السبب في نشر ثقافة الأذن والتأثر بالشائعات ، وأنَّها نشرت فلسفة اللَّف والدوران والألتواء في المجتمع بواسطة بلاغتها))[٨٨٠].

---

876. - المصدر نفسه .
877. - المصدر نفسه .
878. - المصدر نفسه .
879. - القاسم - لتحيا اللغة العربية .... ويسقط سيبويه .
880. - المصدر نفسه .

وقد لخَّص الشوباشي الصعوبات التي تواجه دارس العربية ، ويدعو إلى التخفيف منها وهي :

((١- أنَّ الكلمة تأخذ معناها من التشكيل ، وليس من موقعها من الجملة.

٢- النقص الغريب في حروف العلة.

٣- الوجوه الكثيرة لنطق الكلمة.

٤- الأرقام وآختلاف صورها بآختلاف المعدود من حيث التذكير والتأنيث .

٥- المفعول به.

٦- المثنى (الذي لا وجود له في أيَّة لغة من لغات العالم) يجب الأستغناءعنه.

٧- جمع المؤنث وتصريف الفعل الناتج عنه.

٨- كثرة المترادفات في اللغة العربية.

٩-التعدُّد المفرط لمعاني اللفظ الواحد))[٨٨١].

وقد رَدَّ كثيرون منهم (رجاء النقاش) الذي يرى أنَّ التفكير المخلص في تجديد شباب اللغة ، وإعادة الحيوية إليها تمثل في كتاب شوقي ضيف (تجديد النحو) ، وأنَّ دعوة الشوباشي مشوهة لواقع اللغة العربية[٨٨٢]. أما في رأيي أنَّ هجوم الشوباشي متأتٍ من نظرة غير عربية ، ومتأثرة بلغة المستعمر الحاقد ، وأنَّ أفضل رَدٍّ على الشوباشي ما قاله العلامة الفرنسي وليم مارسيه : ((إنَّ من السهل جداً تعلُّم أصول اللغة العربية ، فقواعدها الصرفية التي تظهر معقدة لأول مرَّة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب لايكاد يصدَّق، حتى أنَّ صاحب الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة وبجهدٍ معتدلٍ، إنَّ الفعل العربي هو لعبة أطفال إذا قيس بالفعل اليوناني أو الفعل الفرنسي ، فليس هناك صعوبة في الاشتقاق ، أما النحو فبسيط لا تعقيد فيه مطلقاً))[٨٨٣]، و((هذه شهادة عن اللغة العربية عن عالم غربي غير متهم

---

881 - القاسم - المقال السابق .

882 - (أنترنيت) - نشر مقالاً رَدّاً على دعوة الشوباشي في جريدة الأهرام يوم الأحد ٦/٢٧/ ٢٠٠٤، ونقلته عن الأنترنت موقع (Islam online.net .)

883 - عوض : سامي - تيسير مباحث النحو والصرف - مجلة اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقاً)- عدد خاص - تشرين الأول ١٩٩٨ / ٩٠٣ .

بالتحزُّب لنا ، ونرجو من بني قومنا العرب أنْ يراجعوا أنفسهم ويكفُّوا عن ترديد آراء تقليدية عن قصور لغةٍ وسعت كتاب الله لفظاً وغاية))[٨٨٤].

ويهمني التنويه إلى أنَّ دعوات التيسير ومحاولاته كثيرة ، ولايمكن حصرها في هذا الفصل ، إلاَّ أنَّني أحاول إجمال أهمَّها.

الفصـــــــــــل ا لثاني

التجـــــديد في النحـــو

---

[884] - المصدر نفسه / ٩٠٤ .

تمـــــهـــــيد

(معنى التجديد وأوائل الداعين إليه)

التجديد لغة :

التجديد في اللغة : مصدر على وزن (تَفْعِيْل) من الفعل (جَدَّدَ) على وزن (فَعَّلَ) وهو من الجِدَّة .

جاء في العين : ((الجِدَّة : جِدَّة النهر أي ما قَرُب من الأرْض ِ. والجَدَدُ والجَدِيْدُ : وَجْهُ الأرْض ِ... والجَدِيْدَان ِ: اللَّيْلُ والنَّهارُ)) [885] . وقال الجوهري : ((جَدَّ الشَّيءُ يَجِدّ ُبالكسر جِدَّة : صار جَدِيْدًا ، وهو نقيض الخَلِق . وتَجَدَّدَ الشَّيءُ : صار جَدِيْداً ، وأجَدَّهُ ، وآسْتَجَدَّهُ وجَدَّدَه ، أي صَيَّرَهُ جَدِيْداً وبَهِيّاً))[886] وأيضاً : ((الجَدِيْدُ : نَقِيْضُ البالي ، وجَدَّ الشَّيءُ يَجِدّ ُبالكسر فهو جَدِيْدٌ ، وهو خلاف القديم ، وجَدَّدَ فلان الأمر وآسْتَجَدَّهُ : إذا أحْدَثَهُ ، فهو جَدِيْدٌ وهو خلاف القديم))[887] .

التجديد في الاصطلاح :

---

885 - الخليل - العين ٨/٦ مادة (جدد) .

886 - الجوهري - الصحاح ٤٥٤/٢ مادة (جدد) ، وابن منظور - اللسان ٣ / ١١١ .

887 - الطريحي : الشيخ فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ)- مجمع البحرين - تحقيق - السيد أحمد الحسيني - ط٢ - إيران ١٤٠٨ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ مادة (جدد).

للتجديد تعريفات مختلفة ، تبعاً للعِلْم المُجَدَّد فيه ، فعرَّفه أصحاب الفكر الإسلامي بأنَّه : ((نتيجة لدراسة الآراء والأفكار وأخذ الصالح المفيد مع إضافة رؤى أخرى عليها فيتولد من ذلك فكرٌ نيِّرٌ تسترشد به الأمة في مسيرتها))[888]، ويرى أصحاب النقد الأدبي ، أنَّ : ((السعي إلى التجديد أو تلمس الظواهر الجديدة يقتضي وجود (نقلة) تستهدف النوع الأدبي أولاً . فالتجديد كما يدل المعنى اللغوي يقتضي آنبثاق شيء مغاير للقديم ... والتجديد تغيير وتأسيس))[889] ، ويضرب الدكتور سمير الخليل : ((الشعر المسرحي مثلاً جديداً والمسرحية الشعرية تجديداً لأنَّها تُطرَح ضمن الجنس الأدبي المعروف نوعاً أو نمطاً لم نألفه أو نعهده في القصيدة العربية بمواصفاته السائدة))[890] . ومثل هذا يقال في النحو العربي ، إذ ْ حدثت فيه نقلة تجديدية بإلغاء نظرية العامل وما تبعها ، الأفكار التي جاء بها ابن مضاء القرطبي ، وتبناها بعض نحاة اليوم . والتجديد الذي نريده في النحو العربي، ألاّ يبتعد عن روح النحو ، ولا يمس أصالته . وإذا كان الناقد الدكتور الخليل عَدَّ المسرحية الشعرية ، تجديداً ، فهي تخرج عن الشعر العربي في الوزن والقافية ، ودليلنا آلتزام الشاعر أحمد شوقي في مسرحية مجنون ليلى ، بالوزن الواحد ، والقافية الواحدة في المقطع الواحد . وأيضاً عدم ابتعاد هذا النوع من الشعرعن ما يسميه النقاد الوحدة العضوية للقصيدة العربية . لذلك أرى ، أنَّ التجديد يجب أنْ يُبْقِي على شيءٍ من روح العلم المُجَدَّد فيه ، ليأخذ أصالة منه ، وما قدَّمه رواد التجديد في العصر الحديث، من هذا المشار إليه ، لذا قال المخزومي عن دعوته إلى إصلاح العربية : ((ليست هذه الدعوة محافظة تريد الرجوع بنا إلى القهقري ، حتى تطلب إلينا أن نشرك أسلافنا في حياتهم ، ومعاشهم ، ولغتهم وأساليبهم ، ولكنها تؤمن بالتطور ، وتحرص على سلامة الأجيال الذين يبذلون جهداً مضيناً في التوفيق بين

---

888 - (أنترنيت) - الشْعَيْب : د . خالد عبد الله - ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي - المؤتمر الثالث عشر لتجديد الفكر الإسلامي - ٢٠٠١ - بحث منشور على الموقع (www. alazhr . orglconf).

889 - الخليل : د . سمير كاظم - قضايا في الأدب العربي الحديث - محاضرات لطلبة الماجستير للعام ٢٠٠٦ . منشورات على الموقع www.S cn openlerning.com

890 - المصدر نفسه .

لغة الأمس وحياتهم اليوم ، وبين الحاجتين من الفروق ما بين القديم والحديث، وبين التقليد والتجديد))[٨٩١] .

والتجديد نزعة تدرس الأساليب الجديدة في نواحي الحياة ، الفكرية والعلمية ، التي تبرز في المجتمع الحديث . والتجديد في النحو العربي في رأيي : هو إعادة بناء النحو العربي الذي تقادم عليه العهد ، وصياغة قواعده، بإطار يتواءم مع حداثة العصر ، وتجدَّده من دون تغيير روح النحو. هو إحياء للقديم لا تغيير له . ويظهر ذلك من خلال الجهود المتراكمة بطريقة يتواصل فيها جهد اللاحقين بجهد السابقين ، فينتج عن ذلك نسيج جديد ، يعطي ثمراً نافعاً ، لعصر آبتعد عن عصر الابتكار الأول . والتجديد ينقل العربية إلى إطار جديد غير الإطار المعروف ، الذي درجت عليه كتب الأقدمين ، لهذا يمكن القول إنَّه انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى .

قال حسن عباس : ((فالانتقال بالعربية من مرحلة (كيف) التراثية التي دامت ألف عام ونيِّف ، إلى مرحلة (لماذا) الحديثة ، إنَّما هو مكسب (لغوى - إنساني) بمقدار ما هو مكسب (لغوي - عربي) وأنَّه يستحق أنْ يكرَّس له جيل كامل من فقهاء العربية وعلمائها)) [٨٩٢]. فظهرت مصطلحات متقاربة في مضمونها : ((التجديد ، والتيسير ، والإصلاح . إذن كلّها مصطلحات أُطلقت منذ العقد الثالث من هذا القرن))[٨٩٣]. وانصبت ((معظم جهود أصحاب حركة التيسير والإصلاح انصبت على الجانب التعليمي العملي دون الجانب المنهجي النظري ، فلَمْ يفكر واحد منهم في استبدال النموذج القديم بنموذج جديد يقوم على استقراء جديد للغة العربية المعاصرة مثلاً))[٨٩٤] . وآنبثقت جهود حاولت إيجادِ فكرٍ نحويٍّ جديدٍ، مبنيٍّ على أساس ٍعربيٍّ ، قائم بلغة القرآن الكريم ، ومبتعد عن الدخيل الذي فرضته أصول المنطق والفلسفة . لهذا يمكن القول إنَّ ابن مضاء القرطبي، أول من بدأ حركة التجديد والإصلاح في العربية في وقته ، فدعوته ((دعوة جريئة ، إلى تخليص هذه

---

[891] - المخزومي - دعوة جادة في إصلاح العربية - المعلم الجديد /٢٣ .

[892] - عباس : حسن - حروف المعاني بين الأصالة والحداثة - إصدارات اتحاد الكتَّاب العرب - دمشق - ٢٠٠٠ / ١٥٩ .

[893] - خليل : حلمي - العربية وعلم اللغة البنيوي / ٨٣ .

[894] - خليل : حلمي - العربية وعلم اللغة البنيوي/ ٨٣ .

الدراسة من أسرها وتطهيرها مما علق بها من عناصر الجدب والجمود))[٨٩٥] . وهذا ينطبق على رواد حركة التجديد والإصلاح والتيسير ، الذين حرصوا على إحياء اللغة العربية جدِّياً ، وهم أوائل مَنْ جَدَّد في قواعد العربية ومناهجها ، تجديداً واضحاً . ودعا إلى ذلك بما استطاع إليه سبيلاً . ومن أهم رواد التجديد والتيسير وقادته في النحو العربي في العصر الحديث ، الذين تركوا بصمات حقيقية، وواضحة في مسيرة النحو العربي في رأيي هم :

١- الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو .

٢- الدكتور أحمد عبد الستار الجواري . في كتبه (نحو التيسير، ونحو العقل ، ونحو القرآن ، ونحو المعاني) وفي مقالاته ، وبحوثه المتنوعة المنشورة في المجلات المحلية والعربية .

٣- الدكتور مهدي المخزومي في كتابيه (في النحو العربي نقد وتوجيه، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق) وفي مقالاته وبحوثه المنشورة في المجلات المحلية والعربية .

٤- الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه (النحو العربي نقد وبناء) ومقالاته المنشورة لاسيما (في التعريب التربوي وتيسير العربية) المنشور في حولية كلية الإنسانيات بجامعة قطر .

٥- الدكتور شوقي ضيف في كتابيه (تجديد النحو ، وتيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده) . ولستُ ناسياً أنَّ هناك باحثين كُثر مِمَن دعا إلى تجديد النحو العربي وإصلاحه وتيسيره ، لكنَّني أكتفي بالإشارة إلى هؤلاء الإعلام الذين يمثلون القمة في الأداء ، ولم أنسَ ما قدَّمه الدكتور مصطفى جواد ، والعلاّمة طه الراوي ، والدكتور شاكر الجودي ، والأستاذ عبد المتعال الصعيدي، والأستاذ عباس حسن وغيرهم . فهؤلاء جميعاً اشتركوا في مسيرة واحدة ، هدفها إحياء العربية وبناء طريق جديد لمسيرتها ، وأعتذرُ عن السهو في ذكر الرواد الموجدين على الساحة الآن .

---

[895] - المخزومي - دعوة جادة في إصلاح العربية - المعلم الجديد / ٢٦ .

المبحث الأول
المجامع العلمية ودورها في تجديد النحو

كان لظهور المجامع العلمية (اللغوية) ، دورٌ بارزٌ ومهمٌ في تطور اللغة العربية ، وتيسير قواعدها ، بل حتى حمايتها . وتشترك المجاميع العلمية الأربعة (المصري ، والسوري ، والعراقي ، والأردن) بخصائص معينة ، يقترب بعضها من بعضها الآخر في مضمونها وطريقة عملها . والمجامع متعاونة فيما بينها كثيراً ، فلا يطرح رأي في مجمع اللغة العربية في القاهرة إلاّ وأرسل إلى المجامع الأخر للمشورة . و هنا أسجل مجموعة من الخصائص ، تكاد تجمع ما بين المجامع العربية ، وهي :

أ- الحفاظ على سلامة اللغة العربية ، وجعلها تتسع لمطالب الفنون ، والعلوم الأخرى ، وتواكب عملية التطور والحداثة .

ب- الاعتماد على المخطوطات القديمة ، والنفسية ، وطبعها ونشرها .

جـ - إصلاح لغة الكتاب العربي .

د - تيسير قواعد العربية لتلائم ذهنية الناشيء الحديث .

هـ - إلقاء المحاضرات التي تهتم بعلوم اللغة العربية ونشر تراثها .

و- تنظيم الندوات ، وعقد المؤتمرات الدورية للنهوض بواقع اللغة العربية ، ودراسة قضاياها القديمة والحديثة .

ز- جمع الكتب العلمية ، والأدبية الحديثة .

ح - القيام بوضع معجمات علمية ، لغوية ، وتاريخية تواكب حركة التطور الحديث .

ط - دراسة اللهجات العربية الحديثة ، دراسة علمية ومعرفة مدى ارتباطها باللغة الأمّ[896] .

ك - نشر المجلات التي تهتم بالأبحاث المجمعية ، لأعضاء المجامع الأربعة ، والمشتركين فيها من الباحثين[897] .

فمنذ تأسيس المجامع العلمية (اللغوية) ، ولا تزال تمارس ، وبجدٍّ دورها الفعَّال في اِغناء اللغة العربية بما يتواءم ومتطلبات العصر، وتطوراته ، وكان النحو العربي ، وطرق تجديده وتيسيره من العلوم التي ركَّزت المجامع العلمية الآهتمام بها . وأثبتت هذه المجامع قدرة على حماية اللغة العربية ، لذا ((نجد في مجامعنا العربية في القاهرة ، ودمشق ، وبغداد روحاً تجديدياً لن يأذن للجهلة الجامدين بتجميد هذه اللغة الكريمة وتعطيل نشاطها))[897] . وللمجامع العلمية متفرقة أو مجتمعة ، دور مهم في تجديد روح العربية حرصاً منها على إثراء لغتنا بالجديد أولاً ، وبيان قدرتها على البقاء والاستمرار ثانياً ، والرد على المتقولين بضعف اللغة ، وعدم قدرتها على استيعاب العصر ، ومتطلباته ثالثاً ، لذا كان اهتمام المجامع العلمية كبيراً، في جانب التيسير والإصلاح في النحو والصرف . فآبتدأت بدراسة هذا الجانب المهم من اللغة

---

896 - ينظر / الشهابي : الأمير مصطفى - المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث - ط٣- دار صادر - بيروت ١٩٩٥/٦٢ -٧٠ ، و(أنترنيت) - تمام : أحمد - مجمع اللغة العربية بدمشق .. نهوض باللغة وإحياء التراث - بحث على الانترنت الموقع (www.) وأيضاً على الموقع نفسه المقالة (مجمع اللغة العربية مسيرة سبعين عاماً Islamonline.net - لأحمد تمام) عام ٢٠٠٦ .

897 - الصالح : د . صبحي - دراسات في فقه اللغة - ط٢ بيروت ١٩٦٢/ ٤٠٨ .

، بمراحل زمنية ، حتى يومنا هذا ، ولو تتبعنا مشاريع المجامع العربية لدراسة النحو والصرف . وسبل إصلاحهما، وتيسير قواعدهما لا يمكننا تقصي ذلك في هذا المبحث لضيقه عن استيعاب. تلك الدراسات والقرارات المجمعية وبما يأتي :

- أ ولا ًمحاولة مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٥ . إذ ْعقد المجمع مؤتمراً لدراسة مقترحات لجنة وزارة المعارف المصرية ، وأصدر قراراته على أساسين هما :

أ- ((أنَّ تلك المقترحات صالحة للمناقشة والمراجعة .

ب- أنَّ كُلّ رأي يؤدي إلى تغيير في جوهر اللغة وأوضاعها العامة لا ينظر فيه))[٨٩٨]. ثم أصدر المجمع رأيه :

١- وافق اللجنة على فتح باب الأساليب في النحو كالتعجب والإغراء والتحذير .

٢- وافق اللجنة في الاستغناء عن الإعراب المحلي والتقديري .

٣- عدم تقدير الضمائر المستترة جوازاً ووجوباً وزاد فيها عدم تقدير العائد إلى الاسم الموصول .

٤- الاقتصار على ألقاب الإعراب [٨٩٩].

- ثانياً : قدَّم الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العراقي آنذاك ، لمؤتمر المجامع العلمية الذي عقد في الجزائر عام ١٩٧٣ ، بحثاً تناول فيه صعوبات النحو ، والكيفية التي يكون عليها التيسير ، وقد وجد الباحث أنَّ صعوبة النحو ليست من القواعد وحدها ، بل من المتكلم أيضاً لأنَّه يتحمل جزءاً من تلك الصعوبة ، قال : ((والظاهرة الصوتية التي يجب أنْ تلحق آخرها المفردة عندما تكون في جملة موكولة بالأساس إلى إدراك المُتحدِّث وليس لعلم النحو إلاّ بعد توفر الإدراك ، ومهمة علم النحو تذكير المُتحدِّث والكاتب بالصوت أو الرمز الذي يجب أنْ يضعه على آخر الكلمة متى ما أدرك هو قبل ذلك وظيفة الكلمة فإنْ لم يدرك

---

898 - ضيف - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده / ٣٩ .

899 - ينظر/ برانق : محمد أحمد - النحو المنهجي - ط ٣ القاهرة ١٩٥٩/ ١٥٥- ١٥٨.

المُتحدِّث مهمة الكلمة في الجملة لا يستطيع النحو مهما أحكمت قواعده أنْ يذكر بالصوت الذي يجب أنْ يوضع على آخر الكلمة في الجملة))[٩٠٠]. وقد أثبت الدكتور عبد الرزاق محيي الدين أسساً يجب الأخذ بها ليتحقق التيسير في النحو هي :

أ- ((يجب ألاَّ تمس الظاهرة الصوتية التي تلحق أواخر الكلمة عند وقوعها في الجملة من بناء ، أو إعراب ، ومن إعراب بالحروف أو الحركات ، وكل ما يتصل بأساليب التعبير ، ذكراً ، أو حذفاً ، تقديماً أو تأخيراً ، فتلكم الأمور خاصة العربية لا تكون عربية بدونها وهي ليست من صنيع النحويين ولا مِمّا أدخلوه بآفتراض منها))[٩٠١].

ب-المحافظة على ((الهيكل التنظيمي الذي أقامه النحاة الأولون لعلم النحو، وحافظ على كيانه سليماً مَنْ جاء بعدهم من علماء النحو المتأخرين))[٩٠٢].

جـ - ((لا تمس المسمّيات من هيكل الجملة العربية ، ولا أسماءها في أغلب الأحوال وإنّما تأتي الأجزاء الرئيسة من هذا الهيكل فتوليها أكبر العناية بالتيسير، والتوضيح ، والتجريد مِمّا لحقها خلال عمل النحاة الطويل من زوائد غشيت أجزاء الهيكل وأعشت روحه ثُمَّ تنظر في توزيع مادة النحو على مراحل التعليم المختلفة))[٩٠٣].

هـ - ((النظر فيها يعين على فهم معنى الجملة ، وتحديد محل المفردة فيها بوساطة تنمية الإدراك والذوق الأدبي ، ثُمَّ بوساطة أحكام الربط بين محل الكلمة والصوت الذي يعلق على آخرها بكثرة المران على القراءة المعربة))[٩٠٤]، وأقر مؤتمر الجزائر بضرورة تيسير قواعد النحو العربي .

- ثالثاً :- عقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة مؤتمراً في دورته السادسة والخمسين في شباط عام ١٩٩٠، وفيه عرضت لجنة الأصول أعمالها التي تركزت في مسائل خمس هي :

---

900 - محيي الدين : د.عبد الرزاق - مجلة المجمع العلمي العراقي - مج ٢٨- لسنة ١٩٧٧ /٨٢ .

901 - المصدر نفسه / ٨٦.

902 - المصدر نفسه / ٨٦ .

903 - المصدر نفسه / ٨٦

904 - محيي الدين : د. عبد الرزاق- مجلة المجمع العلمي العراقي مجـ ٢٨ / ٨٦.

المسالة الأولى : ((إلغاء قاعدة المبتدأ المستغني عن الخبر التعليمي للناشئة)) إذ ((قسّم النحاة المتأخرون المبتدأ إلى قسمين : قسم له خبر ، وهو الأساسي المطرد مثل (زيدٌ كاتبٌ) وقسم له فاعل أو نائب فاعل يغني عن الخبر، وهو الوصف مثل (أحاضرٌ أخوك ؟) . ورأت اللجنة ... أنَّ القسم الثاني هو المستغني عن الخبر ، ليست له شواهد في القرآن الكريم ، ولا في الشعر الجاهلي والإسلامي ، واستشهد النحاة بأربعة أبيات مجهولة القائلين ، لذلك لا تصلح لكي توضع على أساسها قاعدة نحوية))[٩٠٥].

المسالة الثانية : ((الفصل بين المضاف والمضاف إليه بنعت المضاف))[٩٠٦].

المسالة الثالثة : ((جواز المطابقة وعدمها في اسم التفضيل المقترن بأل .... رأت اللجنة الأخذ بقرار المجمع في إجازة المطابقة وعدمها ، تلبية لحاجة الاستعمال المعاصر ، وتيسير لقواعد اللغة ، وبخاصة عند استعمال اسم التفضيل من اللفيف المقرون فنقول : الهدفُ الأقوى ، والمرأة الأقوى، والدولتان الأقوى ، والدول الأقوى ... وانتهت اللجنة إلى القرار .. يجوز الإفراد والمطابقة في استعمال اسم التفضيل المحلى بأل))[٩٠٧].

المسالة الرابعة : ((زيادة النون في (فَعَلْنَ) وما يشتق منها))[٩٠٨]، في دراسة اللجنة الشائع على الألسنة ، نحو: يُعَلْمِنَ ، ويُعَضْوِن . ورأت اللجنة قبول ما يشيع على ألسنة المثقفين ، نحو : عَلمنَ، وعَضونَ ....[٩٠٩]

المسالة الخامسة :- ((دخول (رُبَّما) على الجملة الاسمية والاسم المفرد... يجوز دخول (رُبّما) على الجملة الاسمية مثل (رُبّما زيدٌ في البيت) بغير تأويل ، كما يجوز دخولها على الاسم المفرد فيما شاع في اللغة المعاصرة ، على أنْ تكون لفظاً معترضاً للدلالة على الاحتمال مثل (نجاهل الموقف رُبّما تسليماً للواقع))[٩١٠].

---

905 - الخطيب : د. عدنان - وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - العدد ٣٩ السنة الرابعة عشرة ١٩٩٠ / ١١٤ .

906 - المصدر نفسه / ١١٥ .

907 - المصدر نفسه / ١١٦و ١١٧ .

908 - الخطيب : د. عدنان - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني- العدد ٣٩ / ١١٧ وهي مسالة تخص الصرف.

909 - المصدر نفسه / ١١٧ .

910 - المصدر نفسه / ١١٨ .

أقرَّ المؤتمر هذه المسائل . وأوصى ((بزيادة عدد الساعات في تدريس قواعد العربية مع العناية في النصوص بالضبط والشكل الكامل ، وتيسير القواعد على الناشئة ..))[٩١١] . ليس هذا فقط بل أنَّ عمل المجامع العلمية مستمر ما دام العرب والعربية ، فهي لم تترك شاردة أو واردة فيما يخص العربية ، إلاّ ونظّرت فيه ودرسته فإنْ احتاج إلى تصحيح صححته أو إلى شرح شرحته أو تعريب أو غيره أقرت ما يناسبه خدمة للعربية ، وما تناولتُه غيضٌ يسير من فيضٍ غزير ، وإنّما كان عملي انتقاء ، لما قدمته المجامع العلمية عبر مسيرة الزمن ، أما آخر ما عقدت عليه العزم ، قرار مجمع اللغة الأردني جعل عام (٢٠٠٧م) عام اللغة العربية[٩١٢] ، واللغة تستحق أكثر من ذلك .

المبحث الثاني

الترجمة ودورها في تجديد النحو

بلغت العربية مبلغاً كبيراً من الانتشار في أرجاء الأرض جميعاً ، نتيجة توسع الدولة الإسلامية ، وهذا التوسع انعكس ايجابياً على آنتشار اللغة وعلومها في البلاد كلها ، لأنَّها لغة الدين والقرآن الكريم . فنافست لغات تلك البلاد ولهجاتها . ومن الطبيعي أنْ يتعلم أهل هذه البلاد العربية ، ليفهموا أمور دينهم أولاً ، وليعرفوا كيفية التعامل مع العرب ثانياً . فظهرت نتيجة هذا الاحتكاك حركة فكرية ، وثقافية واسعة ، بلغت ذروتها في العصر العباسي . عصر الازدهار الحضاري العربي . والعربية لغة غنية بمفرداتها ومعانيها وسهلة التراكيب ، إنّها ((أغنى ، وأبسط ، وأقوى،

---

911 - المصدر نفسه / ١٢٠ .

912 (www.majma.org - منشورعلى الأنترنت موقع مجمع اللغة العربية الأردني

وأرق ، وأمتن ، وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة ، فهي كنز يزخر بالمفاتن ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مُهذَّب الجوانب رائع التصوير))[٩١٣] . لهذا احتاجت اللغة العربية إلى التكيف مع غيرها من اللغات ، فكان هذا مدعاة لظهور حركة التعريب ، والترجمة من اللغات الأخرى وإليها والتعريب يعني : ((ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها))[٩١٤] والتعريب في رأي طه الراوي : ((هو نقل الكلمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية بتغيير أو بغيره، ويسمى الإعراب أيضاً))[٩١٥] والمعرَّب : ((هو الكلمات التي نقلت من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، سواء وقع فيها تغيير أو لم يقع ، وربما تناولته بالاشتقاق))[٩١٦] .

أما الترجمة فهي الأخرى عمل رائع خدم العربية بما أعطت من مفردات كانت بعيدة عن لغتنا لذا ((تُعَدّ ُ الترجمة من الأعمال اللغوية التي تختص بآختيار الألفاظ العربية للمعاني الجديدة الواردة إلينا من لغات أخرى . وكانت من نتيجة هذا العمل أنْ تأثرت لغتنا الحديثة بأساليب جديدة لم تألفها العربية الفصحى من قبل وأدت الترجمة الحرفية الحديثة إلى دخول طرائق التعبير الأجنبية إلى لغة الصحف اليومية ثم تجاوزتها إلى المقالة الأدبية))[٩١٧]. وقد أفادت الترجمة العربية كثيراً إذ ْ : ((ليس من الغلو أنْ يقال إنّها قاربت المثل الأعلى في تذليل اللغة العربية وتسييرها لقبول ألوان العلم على اختلافها))[٩١٨] . وزاد من أهمية الترجمة قدرة العربية على تقبُّل الجديد، سواء أكان هذا الجديد يأتي كما هو أم متشابها أم مشتقاً أم ترجمة حرفية ، فـ ((اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم ومظاهر الحضارة الجديدة بما

---

913 - بنعيد الله : عبد العزيز - التعريب ومستقبل اللغة العربية - معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٥ / ٨ .

914 - مطلوب : د . أحمد - حركة التعريب في العراق- مؤسسة الخليج للطباعة والنشر-١٩٨٣/ ١٠٤ .

915 - الراوي : طه - تاريخ علوم اللغة العربية - بغداد ١٩٤٩/ ٤٨ .

916 - شاهين : د. توفيق محمد - عوامل تنمية اللغة العربية - القاهرة١٩٨٠/ ١٣٣ .

917 - القزاز : د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق / ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

918 - الجميلي : رشيد - حركة الترجمة في المشرق الإسلامي - بغداد ١٩٨٦ /٣٨٢ .

فيها من طاقات ووسائل تساعد على النمو، والتقدم ، والازدهار))[٩١٩] . وحركة اللغة العربية ومسيرة تقدمها : ((لا تنتظر التواني وحركة الأعمال ولا تحتمل التمهل ، هذه حقيقة نشهدها ونلمس آثارها فمِنْ الحزم أنْ نتخذ من وسائلنا العلمية والعملية ما يلائمها ويأتلف معها))[٩٢٠] . ولا غرابة أنْ يترك عامل الترجمة أثره في العلوم جميعاً من طب ، وهندسة، وفلسفة ، وعلوم اللغة من نحو ، صرف ، وبلاغة ، ونقد . وهنا أتلمسُ أثر الترجمة في تطور النحو العربي وتجديده .

ونتيجة لظهور الجيل مِمَنْ درس في الجامعات الأوربية ، والأمريكية، فدرس العربية من جانب آخر . جانب لا يهتم بتجديد الضوابط التركيبية للوحدات ، الوحدات النحوية ، بل يعتمد على أساس الشكل الظاهري إسقاط التعليلات المنطقية والفلسفية من مادة النحو . ويقف هؤلاء في دراستهم لنصوص النحو واللغة عند الشكل والظاهر، فيصفونه على ما فيه دون إخضاعه للتفسيرات والتعليلات الأخرى[٩٢١] . ومن نتيجة الترجمة والاختلاط ، ظهر جيل آخر ، آمن بتوليد النحو متأثراً بنظرية النحو التحويلي التوليدي ، التي قادها العالم الأمريكي (نعوم جومسكي أو تشومسكي) الذي ألف كتاباً أسماه (البنى التركيبية أو البنى النحوية) عام ١٩٥٧م ، ثم تبعه بالأفكار نفسها بكتاب آخر أسماه (وجوه من نظرية النحو) عام ١٩٦٥[٩٢٢] . فقد أثرت أفكار هذا العالم على جيل كبير من الباحثين العرب الذين حاولوا دراسة النحو العربي في ضوء نظرية النحو التحويلي التوليدي ، فأصبح عندهم ((ليس ضرورياً أنْ تظهر كل مكونات الجملة في تركيبها السطحي ــ كالضمائر المستترة مثلا ــ وليس هذا إلاّ دليل على أنَّ التركيب السطحي للجملة لا

---

919 - مطلوب - حركة التعريب في العراق /٢٤١ .

920 - حسن : عباس - رأي في بعض الأصول اللغوية و النحوية / ٨٣ .

921 - ينظر/ باقر : مرتضى جواد - نظرات في النحو - مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة - العدد ١١ السنة التاسعة - البصرة ١٩٧٦ /١٠٢ وما بعدها .

922 - ينظر / عباينه : د . يحيى - علم اللغة المعاصرة (مقدمات وتطبيقات) - دار الكتاب - الأردن ٢٠٠٥/ ٥٦ .

يمثل ما هو عليه تركيبها العميق الذي يحتوي مكوناتها الأساسية قبل جريان قواعد التحوُّل عليه))[٩٢٣] . فما هي نظرية النحو التحويلي التوليدي ؟ .

إنَّ نظرية النحو التحويلي التوليدي تبنى على ((محاولة دراسة القابلية اللغوية لدى الإنسان وأنّه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلاّ إذا توسع الدرس اللغوي فشمل إلى جانب الظواهر اللغوية أو التراكيب السطحية اللغوية ، التراكيب العميقة والتحولات التي تطرأ على هذه التراكيب قبل أنْ تصبح ظاهرة))[٩٢٤] . إذن ترتبط هذه النظرية بالإنسان ، ونتاجه العقلي خاصة ، فتعالج ((اللغة من منطلق أنّها مكون من مكونات العقل يخصص الخصائص الصوتية ، والتركيبية ، والدلالية لمجموعة غير متناهية من الجمل المحتملة))[٩٢٥] . وعندهم أنّ القاعدة النحوية تتضمن ((قوانين محدودة، تولِّد التركيبات النحوية الأساسية في اللغة ، وتتضمن مفردات معجمية ، زيادة على التمثيل الفنولوجي لهذه المفردات ، والعناصر النحوية : جاءَ الرجلُ ، الرجلُ جاءَ . فـ (الرجلُ جاءَ) ومن جهة نظر التحويليين هي الأصل))[٩٢٦] والذي يريده جومسكي من توليد القواعد هو : ((ببساطة نظام من القوانين التي تعطي بشكل واضح ومحدد أوصافاً بنيوية للجمل ، ومن الواضح أنَّ كلَّ متكلم لغة قد ملك زمام قواعد توليدية تجسد معرفته بلغته وذواتها ... فإنَّ القواعد التوليدية تحاول تعيين ما يعرفه المتكلم ، وليس ما يقوله من معرفته تلك))[٩٢٧] . وقد أثرت هذه الأفكار التي دخلت إلى العرب عن طريق الترجمة ، ومن خلال دارسين عرب درسوا علومهم عند الغرب ، فتركت آثاراً واضحة على كثير منهم ، فجعلتهم يعيدون النظر في الأصول النحوية القديمة ؛ لأنَّ : ((التراكيب اللغوية على اختلاف مستوياتها توجب علينا أنْ نعيد النظر في كثير من المسلمات النحوية القديمة ، محاولين إعادة ترتيبها آو حتى تعريفها مستهدفين الدقَّة والوضوح الذين نتوخاهما في وصفنا اللغة أو كتابتنا

---

923 - باقر : مرتضى جواد - نظرات في النحو - مجلة كلية الآداب / ١٠٥ .

924 - باقر: مرتضى جواد - نظرات في النحو- مجلة كلية الآداب / ١٠٧ .

925 - عباينه : د. يحيى - علم اللغة المعاصر/ ٥٦ .

926 - المصدر نفسه / ٦٦ .

927 - جومسكي : نعوم - جوانب من نظرية النحو - ترجمة - مرتضى جواد باقر - مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٥ / ٣١ ، ٣٢ .

لنحو اللغة))[928]، والجانب الوظيفي لوحدات اللغة ليس أمراً غريباً على نحاتنا العرب بل : ((رأوا أنَّ الجملة تتكون من عدّة وحدات يتباين بعضها عن البعض الآخر بما يؤديه من معانٍ لغوية ، وهي غير المعاني الدلالية))[929]، ومتابعة الوظيفة اللغوية التي تؤديها التراكيب اللغوية في النحو تدعونا جدِّياً إلى ((إعادة كتابة النحو العربي متخذين من نظرية النحو التوليدي التحويلي منهجاً في درسنا ومعيدين دراسة تلك المسلمات التي أخذ بها قروناً طويلة من الزمان))[930] .

ثُمَّ ظهرت بعد زمن نظريتان هما انعكاس لآراء جومسكي (نظرية الحالة النحوية ، ونظرية العلاقات النحوية)[931] وترك هذا أثراً على النحاة العرب المحدثين ، وحاولوا إدخال هذه النظريات إلى العربية ورأوا بأنَّ ((نظرية الحالة النحوية تصلح للتطبيق على اللغة العربية ، لأنّها تتميَّز بوجود نهايات للكلمات فيها ، هي عناصر لغوية تحدِّد الوظائف النحوية لها ، وهو مفهوم يختلف عن الإعراب الذي يشترك في تحديده عناصر أخرى كالموقعية ، كما أنَّ تغيُّر الحركات الإعرابية قد لا يدل بالضرورة على تغيُّر الوظائف النحوية ... قلنا : جاءَ زيدٌ ، وجاءَ زيداً ، وجاءَ زيدٍ، فكان الأمر سيَّان ، وسيبقى (زيدٌ ، وزيداً ، وزيدٍ) حاملة لمعنى الفاعلية))[932] ، ومثل هذا الكلام بعيد عن الدقّة ، ((وهو كلامٌ غيرُ دقيقٍ، لأنّ ذلك لا يتعلق بالدلالة حسب ، وإنما يتداخل مع معيار القبول اللغوي ، فالنمط اللغوي لا يمكن تحليله ، إذا لم يكن صحيحاً ، ومن ثُمَّ لا يجوز الاستئناس به للتدليل على نظرية نحوية))[933] . وأعتقد أنّ هذا التداخل يبتعد عن روح النحو العربي ، وقوانينه المتوارثة ، بل يجعل القاريء لمثل هذه الجملة يبتعد عن مسار الحقيقة اللغوية ، التي تمنح الرتبة المكانية أو الموقعية في الحجة . أما النظرية الأخرى التي تتعلق بالعلاقة النحوية : ((فهي تُحدِّد المسند إليه أو المفعول به ، أو المفعول غير المباشر

---

928. - باقر: مرتضى جواد - نظرات في النحو - مجلة كلية الآداب / ١٠٧
929. - المصدر نفسه /١٠٨
930. المصدر نفسه /١٠٩
931. - ينظر / عباينه : د. يحيى - علم اللغة المعاصر /١٢٤ و ١٢٥
932. - عباينه : د. يحيى - علم اللغة المعاصر / ١٢٥
933. - المصدر نفسه /١٢٥

من حيث التسلسل والترتيب داخل الجملة ، وتستخدم هذا التسلسل والترتيب في سبيل تحديد المراكز التي تحتلها فيما يسمى عند التحويليين راسم أركان الجملة))[٩٣٤] . والمعنى أنَّ هذه النظرية تقوم على تحديد العلاقة بين الجملة المبنية للمعلوم ، والجملة المبنية للمجهول . والعربية في هذا تختلف تمام الاختلاف عن غيرها من اللغات ، لأنَّ الفاعل في الجملة المبنية للمجهول يحذف ليحل محله المفعول به ليصبح نائباً عنه ، أما في اللغات الأخر ولاسيما الانكليزية فإنَّ الفاعل ضروري الوجود في جملة المبني للمجهول . والمهم الذي أراه في ظهور هذه النظريات ، وطريقة دخولها في الواقع اللغوي العربي ، دليل على مكانة الترجمة في إغناء النحو العربي بالجديد من الأفكار ، وعلى الرغم من أنَّ بعض هذه النظريات ، لايرقى بالمستوى المطلوب الذي عُرف عن النحو العربي خاصة ، ولغتنا عموماً ، إلاّ أنَّها تعطينا فكرة واضحة المعالم تفيد أنَّ لغتنا لها القدرة على التجدُّد والتطوُّر مع كل ما ينتجه العقل البشري من أفكار جديدة ، أما الأفكار الداعية إلى التجديد والتيسير في النحو العربي إلاّ نتاج الترجمة . فكثير من الباحثين الذين ظهروا بأفكار تدعو إلى تيسير العربية ، فمنهم من تأثر بما في اللغة التركية من قواعد وأساليب ، ومنهم المتأثر بالفرنسية والانكليزية وغيرها[٩٣٥] . فللترجمة دور مهم في إغناء العربية بالجديد من المصطلحات والنظريات . والنحو لكونه جزءاً من العربية أخذ نصيبه الوافر منها ، حين جعلت النحاة العرب يعيدون التفكير في صياغة أبواب النحو وترتيبها من جديد ، والبحث عن نقاط الصعوبة فيه ليذللوها ويحرصوا على بقاء روح النحو الأصلية دون مساس . فصار تأثر عدد غير قليل من نحاة العصر الحديث بالمنهج الوصفي ، ولاموا النحاة الأوائل لآعتمادهم على المنطق والفلسفة : ((لقد برز في الوطن العربي عدد من النحاة الذين تأثروا بالمنهج الوصفي وعدّوه المنهج الصحيح لدراسة العربية ، ثُمَّ أنحوا باللائمة على النحو الموروث لآعتماده على المنطق والفلسفة))[٩٣٦] . ثُمَّ تحوّل نظر النحاة من المنهج الوصفي الذي برز في أوروبا ، وأمريكا ،

---

934. - المصدر نفسه /١٢٦ .

935. - ينظر الفصل السابق من البحث / ص ٢١٤ وما بعدها .

936. - العزاوي : د . نعمة رحيم - فصول في اللغة والنقد - بغداد - ٢٠٠٤/ ٣٦ .

إلى منهج آخر يعرف بالمنهج التحويلي الذي يهتم بـ ((البنية العميقة للكلام ويحاول أنْ يربط بينها وبين ما تتحول إليه من بنية سطحية أيّ تركيب لغوي ملفوظ أو مكتوب))[٩٣٧].

وخلاصة القول ، إنَّ للترجمة أهمية كبيرة في ديمومة التواصل بين محيط اللغة الداخلي والخارجي ، ليكون سهلاً على روادها الاطلاع على الجديد في مجالات علومها .

المبحث الثالث
الاختلافات النحوية الجديدة

يُعَدّ ُ نشوء الاختلافات النحوية أمراً طبيعياً ، لآرتباطه بالدراسات النحوية الحديثة ، وتطوُّر الدرس النحوي الحديث ، مرهون بقدرة الباحثين على الاستنباط ، والتقصي وراء الجديد . فعلم النحو بدأ نموه تدريجياً مبنياً على الملاحظات اليسيرة التي أشَّرها علماء النحو عبر مسيرة زمنية طويلة . والاختلافات هنا لا نعني بها خلافات في معناها ، بقدر ما هي آختلاف وفروق عن المتعارف عليه من مادة النحو العربي ، التي درسها النحاة وبنوها . وهذه الاختلافات تمخضت عنها طبيعة النحو العربي ، لأنَّ النحاة القدماء تركوا ثغرات ينفذ منها أحفادهم ، ليسجلوا ما يرون دقته ورجاحته بوصفها مادة نحوية ، لذا سجل النحاة المحدثون بفكرهم وقدرتهم على تقصي مسائل النحو ، فكانت مسائلهم هذه جديدة وتختلف عمّا كان من النحاة القدماء والمتأخرين . وهذا الأمر ليس غريباً على مسيرة النحو العربي ، التي تفرز في كل مرحلة زمنية آراءً جديدة مبنية على الأقيسة والقواعد التي سار عليها الأوائل ، فأثبت كل رأيه في وقته . وظهور هذه الاختلافات نتيجة حتمية ، لدعوات التجديد ومحاولات التيسير في النحو العربي . ونظراً لأهمية هذا الأمر ، سيشير البحث إلى

---

937 - المصدر نفسه / ٣٧ .

عدد من هذه الاختلافات . وأرى أنَّ هذه المسائل صواب ، وأصحابها على حقٍّ فيما ذهبوا إليه . ومن هذه الاختلافات الجديدة :

أ- ما جاء به الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، في عَدِّ الفعل المضارع إذا اتصلت به نون النسوة ، أو نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة ، معرباً لا مبيناً ، كما يرى النحاة . أما اتصال الفعل المضارع بنوني التوكيد الخفيفة والثقيلة ، فمردود على النحاة ، كما يفهم من رأي الجواري ؛ لأنَّ الفعل إذا أسند ((إلى ألف اثنين ، أو واو الجماعة ، أو نون إناث ، أو ياء مخاطبة متفق على أنَّه معرب ، وليس ثمة علَّة ظاهرة مقبولة عقلاً ، أو نقلاً للتفريق بين هذا وبين الفعل المسند إلى مفرد))[٩٣٨] .

ورأي الدكتور الجواري هذا مبني على حالة اتصال الفعل بنون التوكيد آتصالاً غير مباشرٍ ، أي يفصل بينها وبين الفعل فاصل ، هو الضمائر التي أشار إليها الدكتور الجواري ، كألف الاثنين وغيرها . حينئذٍ يكون معرباً ((إذا كان المضارع مبيناً لآتصاله بإحدى النونين وسبقه ناصب أو جازم وجب أنْ يكون مبنياً في محل نصب أو جزم أي أنّه يكون مبنياً في اللفظ ، معرباً في المحل...))[٩٣٩] . والذي دفع الجواري لهذا قول النحاة : ((بإعراب الفعل المضارع المؤكد بالنون إذا كان قبل ذلك مسنداً إلى نون (يَكْتُبْنَانِّ) ذلك أنّه كان قبل اتصاله بالنون مبنياً ، فلما اتصلت به النون ، وهي موجبة للبناء ــ على حد ما يزعمون ــ دخله الإعراب))[٩٤٠] .

ب- تقسيم الكلام إلى اسم ، وفعل ، وأداة ، وكناية (مثل ، الضمائر والإشارات والموصولات وأسماء الاستفهام وغيرها) عند الدكتور مهدي المخزومي . وهذا التقسيم يختلف تماماً عن تقسيم النحاة ، إذ جاء في الكتاب: ((الكلمة ثلاثة أقسام : اسم ، وفعل ، وحرف جاء بالمعنى))[٩٤١] ، قال بذلك كل النحاة ما عدا الكوفيين حين عَدّوا الحرف (أداة) وقد قسَّم الدكتور المخزومي الكلمة أقساماً أربعة هي :

((١- الاسم : نحو : كِتَاب ، فَرَس ، رَجُل .

---

938 - الجواري - نحو الفعل / ٥٥ .

939 - حسن : عباس- النحو الوافي ٧٦/١ .

940 - الجواري - نحو الفعل / ٥٥ .

941 - سيبويه - الكتاب ١ / ١٢ وأيضاً : (هذا باب علم ما الكلم في العربية فالكلم اسم ، وفعل ، وحرف).

٢- الفعل ، نحو : قامَ ، كتبَ ، يقومُ ، يكتبُ .

٣- الأداة ، نحو : هَلْ ، لَمْ .

٤- الكنايات ، أو الإشارات في العربية ، مثل (الضمائر، الأسماء الموصولة ، أسماء الاستفهام))[٩٤٢].

جـ - مساواة نائب الفاعل بالفاعل ، بالنظر لطبيعة التركيب ، ولا داعي لإفراد نائب الفاعل في باب مستقل ، وهو ما قال به الدكتور المخزومي : ((فذهابنا إلى التسوية بين الفاعل والنائب عن الفاعل مبني على أساس من فهم لطبيعة التركيب ... وآنتهينا إلى أنَّ المسند إليه في الجملة يسمى فاعلاً سواءاً أكان الفعل مبنياً للمعلوم ــ على حدِّ تعبيرهم ــ أم مبنياً للمجهول ، تخلصنا من إفراد باب مستقل لما يسمونه النائب عن الفاعل ، فالنائب عن الفاعل في رأينا فاعل أيضا ، وهو فاعل لم يصدر عن الفعل بل تلبس به تلبساً ، وهو فاعل لغويّاً يترتب عليه كل ما يترتب على الفاعل من كونه مسنداً إليه ، وكونه مرفوعاً ، وكونه يقتضي تأنيث الفعل إذا كان مؤنثاً ، وهو فاعل من النوع الثاني الذي أشاروا إليه في تعريف الفاعل ، هو فاعل قام بالفعل وتلبس به ولم يفعله))[٩٤٣]. وهذا الرأي يختلف عمّا قرره النحاة ، إذْ أفردوا لنائب الفاعل باباً مستقلاً ، فقد جاء في الكتاب : ((هذا باب الفاعل الذي لم يتعدَ فعله إلى مفعول ؛ والمفعول الذي لم يتعدَ إليه فعل فاعل ، ولا تعدى فعله إلى مفعول آخر ، فالفاعل والمفعول في هذا سواء ، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل ، لأنّك لم تشغل الفعل بغيره ، وفرغته له ، كما فعلت ذلك بالفاعل))[٩٤٤].

د - قول الدكتور إبراهيم السامرائي بتقديم الفاعل على فعله ، إذ ْلا يعرب مبتدأ في رأيه بل فاعلاً تقدَّم على فعله ، إذ ْ قال : ((وإنَّنا نعرف عن قولهم ــ يقصد النحاة ــ أنّ : (زيدٌ قامَ) زيدٌ مبتدأ وخبره جملة (قام) من الفعل وضميره المستتر ، بل نقول : إنَّ (زيد) فاعل للفعل (قام) وهو نظير قولنا (قام زيدٌ) وليس في التقديم

---

942 - ينظر / المخزومي - في النحو العربي قواعد وتطبيق / ١٩ ــ ٦٣ .

943 - المخزومي - في النحو العربي نقد وتوجيه / ٤٦ .

944 - سيبويه - الكتاب ١٤/١ ، وينظر/ ابن السراج - الأصول في النحو ٨٦/١ ، وآبن الناظم - شرح ألفية ابن مالك - /٨٩ ، وابن هشام - شرح قطر الندى / ٢٠٤ . فقد أفردوا لنائب الفاعل باباً مستقلاً .

والتـأخير مسـألة نحويـة ، ذلـك أنَّ هـذا يتصـل بالأسـاليب ومعانيهـا مـن حيـث الآهتمـام بالمقدم فعلاً كان أم اسماً))[٩٤٥] .

هـ - رفض الدكتور إبراهيم السامرائي بـاب التنـازع ، وبـاب الاشـتغال ، ويـدلل علـى رفضــه بــالقول : ((ومــن العبــث أنْ نقــول ببــاب التنــازع كمــا فــي قــولهم : (قعــدَ وقـامَ أخـوكَ) والفاعـل متنـازع عليـه مـن الفعلـين فقـد عَـدَّه البصـريون للفعـل الأول لأوليته ، وعَدَّه الكوفيون للفعل الثاني لقربه ، وقال كل منهم يحتمل الفعل الذي ليس الاسم الظاهر فآحلاله ضميراً هو فاعلاً .

أقول : إنّ هذا من العبث الكبير ولو افترضنا أنّ مثالاً وقع في لغة النـاس علـى هذا النحو لكان الفاعل لكليهما في رأينا الجديد مثلاً ، وعلـى أنْ نـرفض بـاب التنـازع كمـا نرفض باب الاشتغال في قولهم : الخُبْزَ أكَلْتـه ، وقـالوا : الخبزَ نُصِـب علـى الاشـتغال لأنّه مشغول عنه أي أنّ الفعل قد شغل بضمير الخبز المتقدِّم فنصبه ، اللهم إنَّ هذا من العبث الكبير ، فالخبز مفعول به للفعل المتأخر))[٩٤٦] .

أنَّ مـا قدّمتـُه مـن مسـائل آختلفـت عـن مسـائل النحـاة القـدماء والمتـأخرين ، ظهرت نتيجـة منطقيـة لعمـل المجـددين ، والميسـرين مـن نحـاة عصـرنا هـذا ، ولسـتُ قاصداً التقليل من شـأن نحاتنـا الأفاضـل الـذين حـاولوا التجديد والتيسـير ، إنمـا أكتفـي ببعض الاختلافات للتدليل على تجديد النحـو العربـي وهـو : ((قليـل مـن كثيـر يتصـل بمادة النحو ، وبما أثقل من مواد ليست من النحـو ، وبمـا كتـب فـي أسـلوب قـائم علـى عناصر ليست لغوية، هي أقرب إلـى أهل المنطـق المتفلسفين))[٩٤٧] . لـذا أعتـذرُ عن عدم إكثاره من تلك الآختلافات ، فمّا أنتجته عقول الباحثين كثير وغزيـر ، خـدموا بـه النحو العربي ومسيرته . وأوافق رأي القائلين بهذه المسائل . لقربهـا مـن منطـق العقل والفهم ، ولأنها تجعل دارس علم النحو أكثر قدرة علـى الآنسـجام مـع الـدرس النحـوي الجديد ، وأكثر تقبلاً له . وأعتقد أنَّ جهد هؤلاء الأعلام من النحاة لـم يـأتِ مـن فـراغ ،

---

945 - السامرائي : د. إبراهيم - في التعريب التربوي وتيسير العربيـة - حوليـة كليـة الإنسـانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر- العدد العاشر- عام ١٩٨٧/١٠١،١٠٠ .

946 - السامرائي - حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية / ١٠١ .

947 - المصدر نفسه / ١٠٢.

بل جاء نتيجة دراسة عميقة للموروث النحوي الكبير ، وما ظهروا به من عطاء كان حصيلة آستخلاص تلك الجهود الجبارة التي بذلوها في سبيل تذليل الصعوبات أمام دارسي هذا العلم المهم والرصين . وليس هؤلاء النحاة فقط الذين جاءوا بالجديد ، بل هناك آخرون غيرهم .

الفصل الثالث

واقع الدراسات النحوية

واقع الدراسات النحوية

بالنظر لسعة الدرس النحوي ، وإيغاله في الزمن البعيد ـ أكثر من ألف عام ـــ فقد أفرزت هذه الحقبة الزمنية الطويلة ، دراسات كثيرة ومتنوعة في مجال النحو العربي ، منها الغث ومنها السمين . وتجانست أبواب هذه الدراسات أحياناً مع علوم أُخَر ، هي في الأصل بعيدة عن النحو ، كالفقه ، والمنطق والفلسفة . وتركت هذه العلوم بصمات واضحة على النحو العربي ، فدخله العسر تارةً، واليُسَر أخرى . ولّما تطوَّرت الحياة ، وبرزت دراسات حديثة في هذا العلم ، حاول أصحابها إظهار مشكلات النحو العربي ووضع الحلول الملائمة لها . فعُنيَتْ هذه الدراسات بكُلِّ جوانب النحو ، إذ شملت القديم ، والمتأخر بأبوابه وأصوله ، وبيَّنت ما فيه من عُسر وصعوبة، وحدَّدت مواضع الخلل ، التي تركتها علوم الفلسفة والمنطق عليه ، وحاولت وضع حلول لذلك دون مساس ٍفي أصالة النحو . فظهرت ثلاثة أنواع من الدراسات تناولتْ هذا الأمر المهم وحاولت علاجه ، وقد وضعتُها في ثلاثة مباحث . أشرتُ فيها إلى أهمها ، ثم وضعتُ مبحثاً رابعاً ، حاولتُ أنْ أسجل فيه ما أراه أثاراً عَدَّها فنية في تقديري .

المبحث الأول

يرى كثير من الدارسين اللغة العربية ، بصورة بهيَّة وقدسية رسمها القرآن الكريم لها . إذْ زادها هيبةً ووقاراً . فأجلّوها بعلومها المختلفة ، ووضعوا حولها سوراً منيعاً من التقدس ، لا يسمحون لأحدٍ بتخطيه ، وعدُّوا المساس بقوانينها نوعاً من الكفر والإلحاد في هذا الجانب ، ورأوا أنَّ النحاة الأوائل حينما وضعوا هذه الأصول ، وضعوها عن علمٍ عميق ودراية في كلام العرب ، وأشعارهم : العرب غير المتأثرين بالاختلاط الذي أفرزه الانتشار الواسع للإسلام في المعمورة كلها ، لهذا نجد البصريين يفتخرون بأنَّهم أخذوا اللغة عن : ((حَرَشَة الضباب ، وأكَلَة اليرابيع ...)) [٩٤٨]، واعتمدوا على أصول لتأسيس قواعدهم هي : ((السماع ، والإجماع، والقياس))[٩٤٩]. وقد أقرَّ النحاة في عصرنا ما أقرَّه النحاة الأوائل والمتأخرون ، بتحديد عصر الاستشهاد . إذ ْ أقرَّ المجمع اللغوي في القاهرة بأنَّ كلام العرب الموثوق بهم هم : ((عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع))[٩٥٠]. لذا آستمر الحفاظ على ما جاء به النحاة الأوائل عبر العصور ، لكونه يمثل رمزاً تاريخياً خاصة ، فأفاض هذا على علمائها إجلالاً وتقديساً ، ثُمَّ لما جاءوا به من مادة نحوية .

ولَّما تطوَّرت الحضارة الإنسانية في العصر الحديث ، وبرزت عوامل جديدة في الحياة ، وآزداد الاختلاط بين الغرب والشرق ، صار حتماً على اللغة مواكبة مسيرة الحياة وتطوّرُها . فأدى هذا التطوّر إلى ظهور دراسات تدعو إلى التجديد ، والإصلاح في النحو العربي . من خلال التجديد في مناهجه ، وطرق التأليف فيه ، وإعادة النظر في أبوابه . لأن التصنيف الذي آتبعه النحاة قديماً يحتاج إلى دقَّة أكثر ، فشكل صعوبةً واضحةً في النحو العربي ، قال الدكتور شوقي ضيف : ((لسنا في

---

948 - السيوطي - الاقتراح /١١٤ .

949 - المصدر نفسه /١٣ .

950 - أبو مغلى : د. سميح - الأصول في اللغة العربية وآدابها - دار القدس - عَمّان - ١٩٩٠ / ٧٥ .

حاجة إلى أنْ نُبديء ونعيد في أنَّ النحو العربي ليس صعباً من حيث هو ، وإنَّما الصعب فيه طريقة تصنيفه فإنَّ الحالة الواحدة لا تجدها في مكانٍ بعينه ، وإنَّما نجدها مبعثرة في أمكنة متفرقة))[٩٥١] . فكانت هذه الآراء الجديدة تمثَّل خروجاً على اللغة ، وخطراً على مبادئها في رأي المحافظين ، الذين رفضوا التجديد والتطوير في القواعد النحوية ، ورأوا : ((أنَّ أسهل طرق الإصلاح وأجداها نفعاً الرجوع إلى الأصول الأصلية من كتب الأقدمين ، فنرجع بالنحو مثلاً إلى كتاب سيبويه ومؤلفات أبي الفتح الموصلي وشيخه أبي علي ...))[٩٥٢] . فتزعَّم تيار الحفاظ على القديم جماعة الأزهر الشريف في مصر ، ومنهم الدكتور محمد محمد حسين ، مدافعاً عن القديم ، ولا يرغب في المساس بقدسيته ، وأنَّ ما جاء عن العرب يمثل مرحلة النضوج الفكري والحضاري . فضمَّن آراءه في كتابٍ ألَّفه بهذا المجال [٩٥٣] . ورأى أنَّ هذه الدعوات الجديدة لا تخاطب الجيل الحاضر ، لأنَّهم آمنوا بقدسية اللغة ومكانتها ، بل يخاطبون جيلا آخر ، قد يأخذ بأفكارهم ، فيقول : ((وهم لا يسأمون من هذا التكرار لأنَّهم يعرفون أنَّهم يخاطبون في كُلِّ مرة جيلاً جديداً غير الذي سمعهم من قبل ، وقد ينجحون في إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل ... لذلك كان فرضاً لازماً على كُلِّ عارف بحيلهم أنْ لايملَّ من تكرار الرَّد عليهم ركوناً إلى أنَّه قد أذاع الرَّد من قبل))[٩٥٤] ، ويرى أنَّ : ((الخطر كُلّ الخطر هو في قبول مبدأ التطوّر نفسه))[٩٥٥] . وتمثل أراء الدكتور محمد محمد حسين ، رفضاً لما جاء به الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) . وقد تبعه في رفض دعوة التجديد في النحو من الأزهريين أيضاً ، الشيخ محمد عرفة الذي ألّف كتاباً عنونه بـ (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة)[٩٥٦] . إذ رفض الجديد الذي جاء به إبراهيم مصطفى ، ومنتصراً للقديم فقال : ((خرج كتاب إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى فكان قاسياً على

---

951. - القرطبي - الرد على النحاة /٥٥ التحقيق .
952. - القزاز: د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق /١٦٠ .
953. - حسين : د . محمد محمد - حصوننا مهددة من داخلها - ط٥- الكويت ١٩٧٨ .
954. - حسين : محمد محمد - حصوننا مهددة من داخلها /٢١١ .
955. - المصدر نفسه /٢١٤ .
956. - لم يتسن للباحث الاطلاع عليه .

النحاة المتقدمين جميعاً هاجمهم في غير مواربة وأبان أنَّهم قَصَروا النحو على بعض منه وهو الإعراب وأنفقوا أعمارهم ولم يكشفوا عن سر ما اقتصروا عليه من ذلك فضلاً عن تقصيرهم في النواحي الأخرى من العربية . فكان حقاً على الأزهر أنْ يُبيِّن للناس رأيه في هذا الحديث))[٩٥٧]. ويقول الشيخ عرفة في نظرية العامل ومعاني الإعراب : ((مثل هذا لا جديد فيه فإنَّه لايكون هو التجديد المطلوب في النحو لأنَّ محاولة التجديد إنَّما تكون بالرأي الجديد ، ولايمكن أنْ تكون بالرأي القديم ، لأنَّه هو الذي يراد إحداث التجديد فيه))[٩٥٨] . وقد وافق الأستاذ عبد المتعال الصعيدي الشيخ عرفة آراءه وأشاد بها ، لكون التراث العربي القديم غالباً ويجب المحافظة عليه [٩٥٩] . وبرز الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي ألَّف كتابه (تحت راية القرآن)[٩٦٠] . إذ ْقال فيه : ((إنَّنا في هذا الكتاب إنَّما نعمل على إسقاط فكرة خطرة ، وإذا هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه فقد تكون غداً في مَنْ لانعرفه ... ونحن مستيقنون أنْ ليس في جدال من نجادلهم عائدة على أنفسهم إذْ هم لا يضلون إلاّ بعلم وعلى بيِّنة ... ولكنّا كالذي يصف الرجل الضَّال ليمنع المهتدي أنْ يضلَّ ، فما به زجر الأول بل عظة الثاني))[٩٦١] . هذا في مصر ، أمَّا في العراق فكان للحوزة العلمية دورٌ واضحٌ في رفض التجديد في اللغة العربية ،.وقد تمثل هذا الدور بشخص الشيخ محمد الجواد الجزائري الذي آنبرى يردّ ُعلى مقترحات اللجنة المصرية ، التي ألَّفتها الوزارة المصرية عام ١٩٣٨ من الأساتذة : ((طه حسين ، وأحمد أمين ، وإبراهيم مصطفى ، وعلي الجازم ، ومحمد أبي بكر إبراهيم ، وعبد المجيد الشافعي))[٩٦٢]. فوجهت وزارة المعارف العراقية آنذاك كتاباً إلى الشيخ الجزائري ـ تطلب رأيه في هذه المقترحات ــ فآنبرى الشيخ محمد الجواد يسجل ملاحظاته التي صدرت في كتاب جمعه طلابه عنوانه : (نقد المقترحات المصرية في تيسير العلوم

---

957. ـ نقلا عن / الصعيدي ـ النحو الجديد /٥٥
958. ـ المصدر نفسه /٧٩
959. ـ ينظر / المصدر نفسه /٧٨
960. ـ الرافعي : مصطفى صادق ـ تحت راية القرآن ـ ط٧ ـ مصر ـ ١٩٧٤
961. ـ الرافعي ـ تحت راية القرآن / ٥ .
962. ـ الصعيدي ـ النحو الجديد / ٨٤

العربية))[٩٦٣]. فتناول الشيخ الجزائري المقترحات المصرية بالنقد ، رافضاً جميع ما جاء فيها ، ولا سيما ما يهمّ بحثنا النحو العربي .

فقد ردَّ على رأي اللجنة في الاستغناء عن الإعراب التقديري والمحلي فقال : ((إنَّ الاستغناء عن الإعراب التقديري والإعراب المحلي يجلب على التلميذ عناءً مضاعفاً ... ويوجب زيادة أصل بين أصول النحو))[٩٦٤]. وأنَّ هذا الإلغاء : ((يلزمها أنْ تأسس أصلاً جديداً في النحو يكفل بيان أنواع الكلمات
المُقَدَّر إعرابها وتمييزها عن غيرها ، وبيان أحكامها المختصة بها ، وهذا مزيد عناء على المعلم والمتعلِّم))[٩٦٥]. وعَدَّ رأي اللجنة في عَدِّ حركات ((الإعراب أصلية وبعضها فرعية فتنوب الحروف عن الحركات وتنوب عن الحركة في أبواب معدودة))[٩٦٦]. فرفض أنْ يكون لكلِّ حركة لقب واحد في الإعراب والبناء ، وأنْ يكتفي بألقاب البناء [٩٦٧]. ورفض الشيخ الجزائري أيضاً تسمية الجزءين الأساسين للجملة ــ المسند والمسند إليه ــ بالموضوع والمحمول لأنَّ اللجنة آرتأت : ((هنا أنْ تأتي بشيءٍ جديدٍ تجاه اصطلاح النحاة ، كان الأولى لها إتباع اصطلاح البلغاء لا المناطقة ، للقرب بين فنيّ النحو والبلاغة من ناحيتي اختصاصهما بلغة العرب ، ووحدة موضوعيهما المختلفين بالحيثيات))[٩٦٨]. وقوله أيضاً : ((وإذا نظرنا إلى الجملة الفعلية ، وإلى اصطلاح النحاة وعلماء البلاغة الجاري على (مسند إليه ومسند) رأينا اصطلاحهم شاملاً للجملة الفعلية من دون تفكير لأيِّ تأويل .... فتفضيل اللجنة

---

[٩٦٣] - الجزائري - نقد المقترحات المصرية في تيسير العلوم العربية عام ١٩٥٩. ويجدربنا أنْ نُشير إلى أنَّ الشيخ (محمد رضا كاشف الغطاء) قد ردَّ على المقترحات المصرية أيضاً بكتابه (نقد المقترحات المصرية) في إجابته طلب وزارة المعارف الموجه إليه أيضاً، إلا أنَّه كان ميالاً إلى التيسير ولم يتعصب إلى القديم فيه كما فعل الشيخ الجزائري ، كما يُعَدّ كتاب الشيخ الجزائري أكثر سعة في تناول المادة النحوية من كتاب الشيخ محمد رضا .

964. - الجزائري - نقد المقترحات المصرية / ٣١ و٣٢.
965. - المصدر نفسه / ٣٥
966. - المصدر نفسه / ٣٦
967. - ينظر / المصدر نفسه / ٤٨ - ٥٠
968. - المصدر نفسه / ٥٧

لأصطلاح المنطقيين جارٍ على ميول خيالية بعيدة عن حساب التفضيل في صناعة لغة العرب))[٩٦٩] . بهذا الأسلوب النقدي اللاذع ردَّ الأستاذ الشيخ الجزائري على مقترحات التجديد ، مُفضلاً العودة إلى جذور النحو الأولى في كتاب سيبويه وأوائل النحاة الآخرين . ومِمَنْ تعصبوا للقديم أيضاً السيد محمد كرد علي . إذ ْ إنَّه : ((ساخِط على الجديد ويكاد يُصاب بالبُرداء ، ولو حلف بالطلاق والعتاق لأهل العصور الزاهرة في العربية . وسرّ عظمة اللغة عنده هو في جمودها على ما وردت عليه))[٩٧٠] ، أيّ أنَّه يريد بقاء العربية كما عرفها وقرأ عنها في مصادرها دون تغيِّر أو تجديد .وكذلك الأستاذ محمد رضا الشبيبي الذي يَعِدّ ُالتعريب بأنَّه : ((خطوة إلى الوراء ، وتطوّر معكوس))[٩٧١] في واقع العربية ومن المَيَّالين إلى هذا الاتجاه أيضاً الدكتور مازن المبارك في كتابه (نحو وعي لغوي) الذي قال فيه : ((إنَّ لغتنا العربية ليست مجرد أداة للتفاهم بين الناس يسهل الاستغناء عنها ، أو استبدال غيرها بها))[٩٧٢] .

إنَّ هذه الدراسات وغيرها ، مِمَنْ آهتموا بدراسة القديم الموروث من تراثنا النحوي . إنَّما تشكل حلقة في سلسلة الدراسات المهمة في تاريخ النحو العربي ، على الرغم من نظرتها المنفردة في إبقاء النحو على أصوله ، من دون تحريك شيء فيه . وهذا أمر فيه نظر فيما يتعلق بتلك الدراسات . إذ ْ تنفي فكرة أنَّ النحو علمٌ يتطوَّر ويتجدَّد كونه جزءاً من روح اللغة . بل ترفض مجرد النظر فيها ، وأرى أنَّ هذه الدراسات على الرغم مما فيها من قيمة عالية في تقديس التراث والإبقاء عليه ، إلاَّ أنَّها تشكل قصوراً واضحاً في مسيرة ديمومة الحياة لهذا العلم المهم ، لأنَّ العلوم الأُخَر في تطوُّر مستمر وتجدُّد ، وديمومة النحو العربي وتجدده تكمن في أسرار القرآن الكريم ، وما فيه من تغطية شاملة لكُلِّ دقائق هذا العلم جديدها ، وقديمها .

---

969. ـ المصدر نفسه / ٥٩
970. ـ المبارك : د. ز مازن ـ نحو وعي لغوي ـ بيروت ـ ١٩٧٩ / ١٣
971. ـ المصدر نفسه / ١٤
972. ـ المصدر نفسه / ١٤٠

فالنظر لما في القرآن الكريم نظراً جليّاً ودقيقاً يهدي إلى تجديد الحياة للنحو وغيره من العلوم .

المبحث الثاني

دراسات تدعو إلى التجديد في قديمه وإصلاحه

حملت الخلافات النحوية التي دارت بين البصريين والكوفيين ، عاملاً مهماً يراه الباحث اللبنة الأولى لتأسيس جانب الاعتراض على الرأي الصعب في النحو، وإمكانية مناقشته ، وطرح الرأي السهل دون المساس بجوهر المادة النحوية .

وما تركه الكوفيون فيه بعض عوامل التيسير والإصلاح في اللغة العربية . إذ كان منهجهم في تناول المادة اللغوية ، أسهل وأقرب إلى طبيعة اللغة وعلومها ، منه إلى المختلط بالفلسفة والمنطق : ((حملت آراء الكوفيين الكثير من عوامل التيسير في اللغة وعلومها ، حيث اعتمد مذهبهم على الرواية ، والنصوص العربية الفصيحة من القرآن والشعر والرواية عن العرب ومشافهتهم أكثر من اِعتمادهم على الأقيسة النظرية المنطقية))[٩٧٣] .وقد دفع هذا الأمر كثير من الباحثين في العصر الحديث ، إلى التفكير في تخليص النحو مما علق به من شوائب المنطق والفلسفة ، وتحميله ما لا يطيق منها . فظهرت دراسات كثيرة آعتمد أصحابها في بعض أفكارهم على أفكار القدماء من النحويين ، ومزج بعضهم آراءه بأفكارٍ غربيةٍ أخذ منها ما فيه فائدة النحو العربي ، ولا يمس جوهره وأصالته . فكانت دعوات الإصلاح والتجديد تهدف بالدرجة الأساس إلى بناء النحو العربي بناءاً جديداً من خلال إصلاح منهج طرح المادة النحوية ، أو منهج التأليف فيها . قال الدكتور المخزومي إنَّ : ((دراسة

---

[973] - القزاز: د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق / ١٤٧.

العربية تحتاج إلى إصلاح جذري لا يكفيه تنسيق الموضوعات القديمة ، ولا الإخراج الجميل ولا إحداث الطرائق التربوية التي تتناول الموضوعات القديمة كما تناولها الدارسون الأولون ، ويعالجها معالجة سطحية ...))[٩٧٤] . فأصبح ضرورياً ظهور دراسات تهتم بتجديد النحو العربي ، وإعادة إصلاحه بمعايير تتلاءَم مع الموروث العريق لهذا العلم الخالد . فظهرت نتيجة ذلك دراسات كثيرة في العصر الحديث تهدف : ((إلى التيسير والتسهيل وبعضها يهدف إلى الإصلاح))[٩٧٥] ، على الرغم من أنَّ مهمة التجديد ، والإصلاح ليست هدفاً سهلاً لا بل تشكل : ((هدفاً من أخطر الأهداف في نهضتنا الفكرية حتى نتجنب التخبط في أساليب التعليم وفي وسائله))[٩٧٦] . فالنحو العربي يحتاج إلى : ((إعادة النظر في قواعد اللغة وخاصة النحو وتخليصها من تلك الشوائب الغربية ، التي آختلطت بها على مرِّ القرون ، تيسيراً لهذا النحو وتسهيلاً لتعلُّمه وتعليمه ، ونحن واثقون من أنَّ إعادة استقراء الكلام العربي في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأشعار العرب ، وأقوالهم ، ودراسة آراء النحويين مهما تكن آتجاهاتهم ومذاهبهم ستؤدي بنا إلى نتائج مهمة ، وخطيرة ، وتوصلنا إلى وضع القواعد والضوابط الصحيحة ، والسليمة))[٩٧٧] . فإصلاح الدرس النحوي وإعادة تجديد أبوابه وترتيبها على وفق أسس جديدة ، يُعَدّ ُالخطوة الجريئة الأولى في طريق تجديد النحو وتيسير تعليمه . وهذا العمل يتطلب جهوداً غير اِعتيادية من النحاة المحدثين واِليه أشار الدكتور الجواري بقوله : ((ولا ريب أنَّ عملاً ضخماً مثل هذا العمل إنَّما ينبغي أنْ تتصدى له جهود متضافرة مجتمعة، في معاهد البحث العلمي ، ويتفرَّغ له متخصصون ، ضربوا في الثقافة القديمة بسهمٍ وافرٍ ، وعرفوا عن أصول هذا العلم وفروعه ، وكيف نشأ ؟ ، وكيف تطور؟ ، وكيف تحوَّل من حال إلى حال ؟))[٩٧٨] . فالإصلاح إذن لا يأتي من فراغ أو لكون

---

974 - المخزومي - دعوة جادة في إصلاح العربية - المعلم الجديد / ٢٣ .

975 - المخزومي - مدرسة الكوفة / ٣٩٩ .

976 - الجواري - نحو التيسير / ٦ .

977 - إبراهيم : د. محي الدين توفيق - ابن الانباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - جامعة الموصل - ١٩٧٩ / ٣١٣ .

978 - الجواري - نحو التيسير /١١ .

هذا الباحث درس أطراف النحو ، وعرف بعض أموره ، إنَّما عليه أنْ يأخذ من القديم الجانب الأوفر ، فيعرف دقائق الأمر ، وينظر فيما آختلف فيه النحاة من حقائق ، ومسائل ثُمَّ يتجه إلى ما يريد من بحث ، بعد أنْ يضمن ثقته بقدرته على الإبحار في محيط النحو العربي ، الزاخر بالأسرار . وليس لأيِّ شخص أنْ يغامر بالقول ، وعرض الرأي إذا لم يمتلك تلك الناصية من المعرفة . لذا فقد ظهرت في العصر الحديث ، دراسات متعددة ، أشار البحث إلى بعضها في دعوات التيسير في فصل سابق . فالدراسات التي يسجلها البحث هنا مماثلة لتلك المشار إليها ورُبَّ قائلٍ يقول هذه محاولات لتيسير النحو العربي . فلماذا تقع تحت هذا الباب من القول ؟ .

نقول : إنَّ مثل هذه الدراسات قد تمخض عنها آراء ، ومسائل نحوية جديدة ، فيها الكثير من العمق في التراث على الرغم من حداثة أمرها ، فهي ثمارُ فكرٍ عربيٍّ فذٍّ . أحيت النحو ، وأحست بحاجته إلى التجديد ، لهذا وقفت هذا الموقف الخالد . فأعطت ثمار عملها دراسات جديدة في مادتها ، وطريقة عرض مسائلها ، مستندة إلى الموروث القديم ، وغير بعيدة عن جوهره . وأصحاب هذه الدراسات يرون عملهم هذا : ((لا يمس النحو في صورته القديمة ، ولا يمتد إلى أصوله ومصطلحاته ، وإنَّما يقتصر على الحذف والاختصار وإعادة ترتيب الأبواب والموضوعات ، ثُمَّ تمهيد ما توَّعر فيها ، وتقريب ما نأى عن متناول الطالب)) [٩٧٩] . إنَّ التجديد في الدراسات الحديثة نابع من ضرورات العصر الذي نعيشه ، لكون النحاة الأوائل كانوا يعيشون ظروفاً مختلفة ، وطبيعة مختلفة ، وفي ظلِّ ميدان اجتماعي غير مُعَّقد ، كون الاختلاط مع الأمم المجاورة آنذاك محدداً بضوابط الدين وسياسة الدولة الواحدة ــ الدولة الإسلامية ــ ((فصنيع الأقدمين كان منسجماً تمام الانسجام مع الظروف التي صادفتهم)) [٩٨٠] . وقد اختلفت ظروف اليوم عن الأمس . لأنَّ الدولة الإسلامية لم تعدْ واحدة في نظامها وقوامها . وتعدَّد الطامعون في الأمة الإسلامية ودينها . وبما أنَّ اللغة العربية مرتبطة بالدين الإسلامي ، ارتباطاً وثيقاً ،

---

979. - العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث /١٢٣ .

980. - تمام : حسان- الأصول /١٠٣ .

فقد كثر محاربوها نكاية بالإسلام. وبسببه فُرِض على نحاة اليوم نمطٌ جديدٌ من الحياة اللغوية ، لآزدياد الآقتراب من اللغات الأخرى ، وكثرتها بعد أنْ كانت محدودة سابقاً بعدة لغات ؛ كالفارسية، واليونانية ، والهندية ، والسريانية . واليوم كثيرة هي اللغات التي تحتك باللغة العربية ، نتيجة الاستعمار وما فرضه . وكذلك البعثات الدراسية إلى خارج المحيط العربي . وهذا الأمر دعا إلى اختلاط جديد من نوعه ، اختلاط فرض تطورات غير عادية على اللغة العربية . فنتجت دراسات كثيرة ابتعد بعضها عن جوهر اللغة وواقعها سيأتي الحديث عنها لاحقاً . وأخرى أخذت من اللغات الأخرى ما يُنمي ويطوِّر لغتنا العربية ، بما ينسجم وطبيعة الظروف ومستجدات العصر ، دون أنْ يمسّ هذا جوهر اللغة وأصالتها . وقد بيَّن الأستاذ أحمد حسن الزيات عن حاجة اللغة لهذه الدراسات بأنْ قال : ((اللغة ناقصة ، لأنَّها من عمل الإنسان ... والناقص عرضة للفساد والجمود والتخلُّف وموضع للزيادة والتجديد والتطور لذا كان الاجتهاد في اللغة وعلومها أمراً تحتمه الضرورة وتقتضيه الطبيعة))[٩٨١] . إذن الضرورة، وطبيعة الحياة تُحتِم علينا هذا التجديد . وقد كثرت الدراسات النحوية التي تدعو إلى التجديد في القديم وإصلاحه ، وأرى أنَّ كل محاولات التيسير قديماً وحديثاً ، هي تجديد وإصلاح ، لذا يتلاقى الأمران هنا . والدراسات في هذا الجانب كثيرة أكتفي بالإشارة إلى بعضها من أجل تعزيز البحث . هي:

أ - دراسة الأستاذ إبراهيم مصطفى التي ضمَّنها كتابه (إحياء النحو) إذ تُعَدُّ من الدراسات المهمة في تجديد النحو العربي ، وأولها في العصر الحديث . قال الدكتور أحمد مطلوب : ((كتاب (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى من أهم المحاولات الحديثة في تجديد النحو))[٩٨٢] .

ب- دراسات الدكتور مصطفى جواد ، التي ضمَّنها مقالاته في إصلاح منهج النحو العربي وتجديده ، نذكر منها :

---

[981] - شاهين : د . توفيق محمد - عوامل تنمية اللغة العربية - ط١- القاهرة ١٩٨٠ /١٠ .

[982] - مطلوب : د . احمد - فصول في العربية - منشورات المجمع العلمي العراقي - بغداد ٢٠٠٣ /٤٢٣ .

١- ((النحو الكوفي وفائدته في تيسير القواعد العربية))[٩٨٣] .

٢- ((المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية)) [٩٨٤].

٣- ((مشكلة اللغة العربية وحلها))[٩٨٥].

٤- ((قل ولا تقل))[٩٨٦] ، ومما جاء فيه من مسائل مهمة كثيرة منها قوله: ((فقلْ : هذا يكفي في البيان وكافٍ في البيان .

ولا تقلْ : يكفي للبيانِ، ولا كافٍ للبيانِ.

قلْ : تبقَّيتُ الشيء فهو مُتبقّيٌ . ولا تقلْ : تبقى الشيء فهو مُتبقٍّ .

وقلْ هذا المُتبقَّى من المال والدنانير ، ولا تقلْ هذا المُتبقي بالياء)) [٩٨٧]

جـ - دراسات الدكتور أحمد عبد الستار الجواري حين أظهر في دراساته أسلوباً جديداً يدعو فيه إلى إصلاح وتجديد منهج النحو العربي ، وتخليصه مما علق فيه من شوائب المنطق والفلسفة ، وقد ظهر هذا جلياً في دراساته : ((١- نحو التيسير عام ١٩٦٢ .

٢- نحو الفعل عام ١٩٧٤ .

٣- نحو القرآن عام ١٩٧٤ .

٤- نحو المعاني عام ١٩٨٧))[٩٨٨]. ومن أمثلة تطبيقه وقوفه عند الجملة الاسمية التي حُذِف أحد ركنيها ، ولم يقدَّر المحذوف ، والذي يكثر في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : ((وَقَالَتْ آمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّة عَيْنٍ لِي وَلَكَ))[٩٨٩] قال الجواري : ((إنَّ بعض الأسماء التي يؤتى بها في حالة الإسناد ، تكون مشحونة بالمعنى والإيحاء ، بحيث لا تحتاج إلى ما يوضحها أو يُسند إليها ، وهذه كلها طرق في التعبير الفني جَنَى عليها تَمَسُّك النحاة بأجزاء الجملة ولا سيما طرفاها ، وتأويل

---

983 - جواد : د. مصطفى - مجلة المعلم الجديد - الجزء الثالث - السنة الثالثة عشرة - ١٩٥٠/ ٣٩ -٤٩ .

984 - جواد : د. مصطفى - المباحث اللغوية في العراق - ط٢ - بغداد ١٩٦٥ .

985 - جواد : د. مصطفى - مجلة المعلم الجديد - المجلد الخامس - ١٩٤٠ / ١٠٦ .

986 - جواد : د . مصطفى - قل ولا تقل-ط٢ - بغداد ١٩٧٠ .

987 - المصدر نفسه ٢ /١٦١ .

988 - أشار إليها البحث في هوامشه ص ٢٠٦ .

989 - القصص- الآية /٩ .

الكلام بحيث تذهب روعته ، ويضمحل أثره في النفس))[٩٩٠] ، ويرى أنّ تقدير المحذوف هدر للمعنى وتضييع لجمالية الأسلوب القرآني [٩٩١].

د- دراسات الدكتور مهدي المخزومي ، التي أراها منبعاً حقيقياً للتجديد في الدراسات النحوية الحديثة وهي :

١- آراؤه التي ضمَّنها بحثه للدكتوراه : ((مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو))[٩٩٢] عام ١٩٥٣ .

٢- ((دعوة جادة في إصلاح العربية))[٩٩٣] .

٣- ((في النحو العربي نقد وتوجيه)) عام ١٩٦٤ .

٤- ((في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث)) عام ١٩٦٦ .

والمخزومي يرى أنَّ (حاشا) يكثر آستعمالها (للتنزيه) أكثر من الاستثناء ، فقد قال عن الفعل (حاشا) إنَّه ((ليس من الاستثناء في شيء ، وهو بالتنزيه أشبه ، والواقع أنَّ استعمال (حاشا) في الاستثناء قليل ، ولذلك كان سيبويه يَعدُّها في حروف الإضافة ، ولذلك يخفض ما بعدها في أكثر الاستعمالات))[٩٩٤] وقد استبدل بقوله تعالى : ((حَاشَ للهِ مَا هَذا بَشَراً))[٩٩٥] .

هـ - دراسات الدكتور شوقي ضيف ، التي بناها متأثراً بأسلوب ابن مضاء القرطبي ، ومنهجه في إصلاح النحو العربي إذ ْ ((بعثت نظرية ابن مضاء وأسهمت في تغذية محاولات التجديد والتيسير والتي قامت استجابة لروح العصر))[٩٩٦] . واتضح هذا التأثير بعد تحقيقه كتاب القرطبي (الرد على النحاة) فظهرت للدكتور ضيف دراسات تدعو إلى التجديد في النحو العربي ضمَّنها كتابيه :

١- ((تجديد النحو)) عام ١٩٨٢ .

---

990 - الجواري - نحو القران /٢٥.

991 - ينظر / المصدر نفسه / ٢٦ .

992 - أشار إليها البحث سابقاً : وقد تضمَّنت آراءً جديدة في تطور النحو العربي .

993 - المخزومي - مجلة المعلم الجديد - جـ ٦ - مجـ ١٨ ١٩٥٥ \ ٢٣ – ٢٩ .

994 - المخزومي - في النحو العربي قواعد وتطبيق / ٢٠٩ ، وينظر/ سيبويه- الكتاب ٣٠٩/٢ .

995 - يوسف - من الآية / ٣٠.

996 - العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث / ٤٠ .

٢- ((تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده)) عام ١٩٨٦ .

وقد جاء شوقي ضيف بتقسيم جديد للجمل في العربية وألغى تقسيم النحاة إيّاه ــ الجمل التي لها محل من الإعراب ، والجمل التي لا محل لها من الإعراب ــ وكان تقسيم ضيف للجملة كالآتي :

((أ - جملة مستقلة - وهي :

١- الجملة المستأنفة .

٢- الجملة الحوارية .

٣- الجملة المعترضة .

٤- الجملة المفسِّرة .

٥- الجملة المعطوفة على إحدى الجمل السابقة .

ب- جملة خاضعة غير مستقلة - وهي :

١- جملة الخبر .

٢- جملة الفاعل ونائبه .

٣- جملة المفعول به .

٤- الجملة الواقعة حالاً .

٥- الجملة التابعة : نعتاً أو عطفاً أو بدلاً .

٦- جملة الصلة .

٧- الجملة المضاف إليها .

٨- جملة جواب الشرط .

٩- جملة جواب القسم .

١٠- الجملة المعطوفة على إحدى الجملة السابقة .))[٩٩٧] .

والدكتور ضيف بهذا الأسلوب التجديدي الذي بناه موافقاً رأي ابن مضاء القرطبي في إلغاء ما جاء به النحاة القدماء من تسميات ، لكنَّه أسبغ عليه من روحه العصرية ما يوحى إلى اهتمامه الكبير بهذا العلم الجليل .

---

997 - ينظر / الجواري - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً / ١٩٤ -١٩٧ .

د – ليس هذا فحسب بل توجد دراسات كثيرة في مجال تجديد النحو العربي كدراسات الدكتور إبراهيم السامرائي ، وأراء الأستاذ عباس حسن ، وكتابات الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، والدكتور أحمد مطلوب وغيرهم . ولا يمكن تجاهل ما قامت به المجامع العلمية (اللغوية) التي كثيراً ما عقدت مؤتمرات هدفها تجديد النحو وتيسيره .

والواقع أنَّ الحديث طويل عن هذا الموضوع إلاَّ أنَّ البحث قَصَرهُ على تلك الإشارة تعزيزاً لموقفه ، لأنَّ مجال الدراسات النحوية الداعية إلى تجديد النحو دون المساس بجوهره وأصالته كبير ، والبحث العلمي مستمر ما دام في الأمة رجال آمنوا برسالة اللغة العربية ، التي خلَّدها القرآن الكريم ، وما يحمله من أسرار وخفايا ، هي في صميمها تعطي ثماراً يمكن الاعتماد عليها في أي منهج وأسلوب جديد ،لأنَّ القرآن : ((اشتمل على كل المحتاج إليه من أحكام اللغة ، سوى الشاذ والنادر ، وما لا تقتضيه الحاجة وزيادة . نعم وزيادة والدليل على ذلك أنَّ النحو منذ نشأته حتى الآن لم يستوعب كلّ ما تمثل في القرآن من الأحكام والتراكيب الأسلوبية))[٩٩٨] .

ولا يزال أمر تجديد النحو العربي يلوح في الأفق ، لأنَّ العربية قابلة للتطوُّر والتجدُّد ، بدليل قابلية أساليبها على المطاوعة ، وأقصدُ بالمطاوعة ، هو أنْ يتحول الفعل الثلاثي اللازم إلى متعد ، والمتعدي إلى لازم ولا يتم ذلك إلاَّ بطرق منها : ((زيادة الهمزة قبل فائه نحو : أكْرَمَ ، وأنْزَلَ ، وبتضعيف عينه نحو : عَظَّم ، وكَرَّم))[٩٩٩]، أما الفعل المتعدي فيتحول إلى لازم بطرقٍ منها : ((تضمين الفعل المتعدي معنى فعل لازم نحو: قوله تعالى ((فَآصْلِحْ لِي فِي ذُرْيَتِي))[١٠٠٠] بمعنى (بَارِك) ، ... والتأخير عن المعمول نحو ((إنْ كُنْتُم للرُّؤْيَا تَعْبُرُوْنَ [١٠٠١]))[١٠٠٢] . وقد يقول

---

998 - الحسون : د . خليل بنيان - النحويون والقرآن - عمان - الأردن ب ت / ٨ .

999 - الفضلي : د . عبد الهادي - موجز التصريف - مطبعة الآداب - النجف الاشرف - ١٩٧٢ / ١٣٠

1000 - الأحقاف - من الآية / ١٥ .

1001 - يوسف - من الآية / ٤٣ .

1002 - الفضلي : د. عبد الهادي - موجز التصريف / ١٣٠ ، ١٣١ .

قائل : إنَّ هذا الأمر متعلق بالصرف ، فنقول لاريب في ذلك لكون الصرف قسيم النحو ، وهو خير دليل على مطاوعة العربية وعدم جمودها .

المبحث الثالث
دراسات تدعو إلى التغيير والتجديد

بعدما نظرنا في نوعين من الدراسات النحوية بإيجاز، وصار لا بُدَّ من أنَّ نقف أمام نوع ثالث منها . وهذا النوع يتمثل بدعوة شاملة إلى التغيير والتجديد الجذري ، دون الآلتزام بمآثر النحو العربي . وقد حمل راية هذه الدعوة فريقاً ، آمن بصعوبة النحو العربي ، وآستقرار عسرته في أذهان الناس فوجد : ((أنَّ العربية ظلت محتفظة بسماتها الأصلية دهوراً طويلة ، فخالفت بذلك غيرها من لغات الأرض التي باد أكثرها ، وأصاب التغيير بعضها ، فآنقطع ما بين ما ضيها وحاضرها ، فحاول هذا الفريق أنَّ يمدَّ إلى العربية يد التغيير والتبديل ، متستراً في عمله هذا برداء التيسير والتحديث))[١٠٠٣] . وهم بهذا المعنى يدعون إلى تغيير حقائق النحو العربي و((إقامة نظام لغوي جديد على أنقاضه))[١٠٠٤] . وإنَّ أصحاب هذه الرؤيا ليسوا إلاَّ حاقدين على اللغة العربية ، وساءهم بقاؤها طوال هذه القرون من الزمن دون أنَّ تتغير وتتبدل أصولها وحقائقها فكانت لهم ((دعوات تحمل في طيّاتها معاول هدم لأسوار العربية الحصينة من النحو ، والصرف ، والخط العربي ، إذ أخذت تنحرف فيما يسمى بالحرص الشديد على العربية عن الصراط المستقيم))

1003 - العزاوي - من قضايا تعليم اللغة / ١٠١ .
1004 - المصدر نفسه / ١٠٢ .

[1005]، الذي يجب الالتفات إليه هنا . إذ إنَّ هذه الدراسات لم تنظر إلى التراث النحوي بإمعانٍ ودقّةٍ ، ولم تطلع على كُلِّ النحو في الكتب القديمة ، بل أخذوا يصيدون مواضع الصعوبة والعسرة ، ليجعلوها سبباً يحتجون به لإقامة دعوتهم هذه ، والفريق الذي دعا إلى التجديد والتغيير فعلاً : ((لم يكن همّه تجديد الدراسة النحوية ، أو النفاذ إلى فهم جديد لحقائق اللغة ، وإنما رمى من دعوته إلى مسخ هذه الحقائق وابتداع نظام لغوي جديد ، وكان شافعه إلى ذلك ما زعموه من صعوبة النظام اللغوي وعسر القواعد الموروثة))[1006] . وقد آنقسمت هذه الدراسات في دعوتها إلى تجديد النظام اللغوي في العربية إلى آتجاهات متعددة آتجاه أراد تغيير الحروف العربية بأخرى أجنبية ، وثانٍ أراد من العامية مشاركة الفصحى ، بل إشاعتها في المجتمع واستعمالها بدلاً من لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر العربي العريق . وثالث أراد دفن التراث النحوي برمَّته مع علمائه الذين آبتدعوه ، وإحلال أفكار ونظريات أخرى غيره . وأرى أموراً قد تُشكِّل سبباً عند بعض أصحاب هذه الدراسات إنْ لم يكن كلهم ، هي :

١- التبعية للأجنبي في السلوك والعمل .

٢- التأثر الشديد باللغات الأجنبية ولا سيما الانكليزية والفرنسية .

٣- الحقد الدفين على اللغة العربية وعلومها ، لأسباب سياسية ، ودينية، واجتماعية .

٤- وقد يكون وراء هذه الدعوات عوامل مادية ، دفعت أصحابها للرضوخ أمام المال وإغرائه ، فكتبوا ما كتبوا من أجل الكسب دون إيمان، وقناعة .

1005 - الحموز : د . عبد الفتاح أحمد - تأويل ماله أكثر من وجه إملائي في العربية - مجلة الضاد - جـ ٢ ١٩٨٢ / ١٢٠ .

1006 - العزاوي : د . نعمة رحيم - فصول في اللغة والنقد - ط١ - المكتبة العصرية - بغداد ٢٠٠٤ / ١٠١ .

ولمعرفة هذه الدراسات نسوق بعض الأمثلة بالإشارة ، ونفصِّل القول في واحدة لم يتطرق إليها البحث سابقاً [١٠٠٧] ، زيادة في الفائدة وتعزيزاً لما ذهب إليه البحث من من رأي :

أ - ((إصلاح اللغة العربية - للأب انستاس الكرملي))[١٠٠٨] الذي دعا فيه إلى إصلاح قواعد اللغة العربية قائلاً : ((يجب إصلاح قواعد اللغة وزيادة حروف جديدة على حروفها الأصلية واتخاذ حركات جديدة زيادة على ما عندنا))[١٠٠٩]. وأراد استبدال حروف العربية بالحروف اللاتينية . ومِمَنْ سار على نهج الكرملي في دعوته استعمال الحروف اللاتينية بدلاً من العربية الدكتور داود الجلبي الموصلي الذي قال : ((كنت أول من آقترح استبدال الحروف اللاتينية من الحروف العربية ... بعد أنْ بدَّل التُرك حروفهم ، ولّما كنت ولا أزال على رأيي في لزوم تبديل حروفنا))[١٠١٠]. وغيرهم مِمَنْ دعا إلى نشر دراسات تهتم بتغيير الحرف العربي ، الحرف الذي يَعُدّ ُوْنَهُ بحسب رأيهم سبباً في نقل العربية وصعوبتها متناسين خصائص لغتنا الجميلة ، وطرائق نظمها التي تنفرد بها عن اللغات الأخرى .

ب - دراسات تدعو إلى إلغاء الفصحى وتثبيت العامية . ومغزى هذه الدراسات إحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى . وتبنى هذه الدراسات والدعوة إليها عدد غير قليل من العرب الذين آستهوتهم رغبات الأجنبي للأسف الشديد ، وأحبوا لغته وحياته ، متناسين أصالة تراثهم وقدسية لغتهم . ومن هؤلاء : ((سلامة موسى ، وأحمد لطفي السيد ، وقاسم أمين ، والخوري مارون غصن ، ومحمود تيمور ....))[١٠١١].

[1007] - أشار البحث في الفصل السابق إلى هذه الدراسات ص ٢١٤ وما بعدها.

[1008] - القزاز : د. عبد الجبار- الدراسات اللغوية في العراق / ١٥٧ .

[1009] - المصدر نفسه / ١٥٧ .

[1010] - المصدر نفسه / ١٩٣ .

[1011] - سعيد : د. نفوسة - تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر / ٢٠٨ أشار إليها البحث في الفصل السابق ص٢١٨.

جـ - دعوة شريف الشوباشي ، وكيل وزارة الثقافة المصرية عام ٢٠٠٤ في كتابه ((تحيا اللغة العربية ويسقط سيبويه))[١٠١٢].

د- دراسة الأستاذ (يوسف السودا) في كتابه ((الأحرفية أو القواعد الجديدة في العربية))[١٠١٣] وسيكون هذا الكتاب مثالاً لهذا النوع من الدراسات.

تمثل دراسة (يوسف السودا) ثورة آنقلابية على كل ما جاء به النحاة الأقدمون والمتأخرون من قواعد وأصول لأنَّ هذه الدراسة غيَّرت كُلَّ القواعد تغييراً جذرياً شاملاً، دون الاحتفاظ بشيء من روح اللغة وأسسها الأولى . ويدعو المؤلف في كتابه إلى تغيير جذري ، وجديد مخاطباً بذلك أبناء العربية بقوله : ((إلى أبناء الضاد أقدم هذا الكتاب في قواعد اللغة العربية وقد بُنِيَ على أسس جديدة آمل بأنَّها تجعل القواعد أقرب منالاً مِمّا هي عليه ...))[١٠١٤]. ومضى المؤلف يطرح أفكاره في الكتاب المكَّون من (ثماني وخمسين ومئتي صفحة) من القطع الوسط مُقسَّم قسمين هما :

أ- القسم الأول . المقدمة وتتألف من (اثنتين وثمانين صفحة) متضمنة فقرات وضع لها أرقاماً لاتينية ، ولكل فقرة ما يقابلها بالانكليزية وهي :

١- نظرة جمالية .

٢- المصطلحة الجديدة .

٣- قواعد عامة جديدة وأبواب محذوفة .

٤- أبواب معدلة .

٥- الخلاصة .

وقد ضمَّت ثنايا تلك الفقرات ، عرضاً موجزاً عن اِزدهار اللغة قبل ظهور قواعد النحو ، لأنَّ المؤلف يرى أنَّ العربية كانت سهلة ، ولا صعوبة فيها قبل أنْ يُكْتَب النحو . ثم تناول اختلاف الروايات في المسألة الواحدة وتأويلات النحاة ، وما أسسوه من قواعد معقدة ، من ذلك الاختلاف في عمل (اسم الفاعل) أو عمل (إيَّاك

1012. - عرض البحث تفصيلا ت عنه في الفصل السابق ص ٢١٨ .

1013. - صدر في بيروت بطبعته الأولى عام ١٩٥٩ .

1014. - المصدر نفسه / ٧ .

) أو عمل (لا) وأنَّ تأويلاتهم مجرد بلبلة [١٠١٥] . وخطَّأ تسميات النحاة ، وأنَّ القواعد تاهت ألف وثلاثة مئة عام ، وعاب على المتقدمين والمتأخرين عملهم على الرغم مما بذلوه من جهود في سبيل بناء قواعد النحو العربي[١٠١٦] . ويرى أنَّ النحاة القدماء لو عرفوا حال العربية الآن لما سّرهم هذا فيقول : ((لو قام اليوم الأئمة الأقدمون ورأوا أنَّ المتأخرين لا يزالون عند القواعد التي وضعها القرن الثاني ، لَعَتب سيبويه والزمخشري ، وابن مالك على نحاة اليوم وآستفزوهم إلى إعادة النظر في الأسس القديمة ، حرصاً على اللغة وسعياً لتذييعها بين أبنائها ، ونشرها بين الأمم ..))[١٠١٧]، ويرى (السودا) آنَّ برنامجه يلائم المرحلة التي هو فيها فيقول : ((يعوزنا سنة ١٩٥٩ أنَّ نضع قواعد لسنة ١٩٥٩ . قواعد يحفظها التلميذ في بضع ساعات ، طيلة بضعة أشهر إلى جنب غيرها من اللغات والعلوم . قيل لي : ولكن مس الأسس معناه ثورة في اللغة . قلت : لتكنْ الثورة إذا لم يكنْ خلاص اللغة إلاّ بثورة))[١٠١٨] . ومِمّا استعمله المؤلف في هذا القسم موضوع المصطلح الجديد ، إذْ وضع فيه مصطلحات خاصة تقابل مصطلحات النحو، وهي كما وردت :

((١- مصطلحة -٢- أحرفية-٣- فعيل -٤- تميم -٥- مظهر-٦- تصريف وصرف - ٧- أفعال مساعدة -٨- يعر بيات))[١٠١٩] ، ويقابلها في العربية : (مصطلحة بدلاً من القول (مصطلحات) ، وأحرفية بدلاً من (أجرومية)، وفعيل بدلاً من (فاعل) و(نائب فاعل)،وتميم بدلاً من (المنصوبات - المفعول به ، والحال ، والمفعول المطلق – ومظهر تشترك مع (تميم) ، وأفعال مساعدة بدلاً من (كان وأخواتها) ...)[١٠٢٠] . فتصبح ((القاعدة الجديدة : أنَّ كلمة فعيل إذا أسند إليها فعل معلوم تدل على من فعل الفعل : ذَبَحَ اللَّحامُ الخَرُوْفَ))[١٠٢١] . وكلمة : ((تميم بدلاً من كلمات مفعول به ،

1015 - ينظر \ السودا : يوسف - الأحرفية ١٠ ، ١١ .
1016 - ينظر /المصدر نفسه / ٨ – ٢٠
1017 - المصدر نفسه /٢٢
1018 - المصدر نفسه /٢٣
1019 - السودا : يوسف - الأحرفية /٢٧ .
1020 - ينظر/ المصدر نفسه / ٢٧ – ٤١ .
1021 - المصدر نفسه / ٣١ .

مفعول فيه ، مفعول معه ،مفعول لأجله ، مفعول مطلق ، حال))[١٠٢٢]. ومثال ذلك قوله ((قَتَلَ الجُنْديّ ُ اللّصَ)) فـ (اللّص) عنده تميم بدلاً من (مفعول به) ، وهو غير مكترث بالأخذ عن الأجنبي ، لأنَّ العلم عنده لا حدود له ، قال : ((ولم أجد ضيراً في اللجوء إلى اللغات الأجنبية ، بآعتبار أنَّ العلم لا وطن له ولا عصبية فيه ...))[١٠٢٣].

ب ـ القسم الثاني : يتألف هذا القسم من (مئة وخمس وسبعين صفحةً) مخصصة بالقواعد الجديدة التي مهَّد لها في المقدمة ، إذ قسَّم المسائل فيه قسمين : الأول منهما عني بالصرف ، وبعض المسائل النحوية الممزوجة معه ، والثاني بأنظمة النحو : قال : ((إنَّ المسائل في العربية قسمان : القسم الأول : يتعلق بصميم اللغة وجوهرها ، أمثال حركة عين المضارع في الفعل الثلاثي ، مشاكل الاسم الممنوع من الصرف ، جواز ما لا ينصرف في الشعر وعدم الجواز في النثر . تذكير المؤنث وتأنيث المذكر في العدد ، الاضطراب الواقع في المشتق من الفعل الثلاثي بين اسم النوع واسم المرة . والبلبلة بين (لا) المشبهة بـ (ليس) ومعمولها ، وبين (لا النافية للجنس) ومعمولها مشكلات كتابة الهمزة ، ومشكلات الكسرة ، والفتحة في (إنَّ) .... إلى آخر ما هناك من مواضيع تتعرض للغة في كتابتها ، وصياغتها ، وتركيبها ، ومألوفها من رفع ، ونصب ، وجر . والقسم الثاني : يتعلق بالقواعد التي آرتأها النحاة ، أنظمة ووضعوا اللغة في إطارها ، وأطلقوا على تلك الأنظمة أسماء ، وجعلوا لها تحديدات))[١٠٢٤]. ومن المسائل التي عرضها :

١ـ قسَّم الإعراب نوعين هما : ((الإعراب الغراماطيقي [١٠٢٥]. هو تفكيك الجملة كلمةً كلمةً لمعرفة نوع كل كلمة وعملها ومحلها من الإعراب)) ويقصد ((بعمل الكلمة ومحلها من الإعراب ، يذكر أنَّ الكلمة إذا هي فعيل ، أو تميم ، أو مظهر))

1022 ـ المصدر نفسه / ٣١ .

1023 ـ ينظر/ المصدر نفسه / ٣٢ .

1024 ـ السودا : يوسف ـ الأحرفية / ١٤٤.

1025 ـ غراما طيق / كلمة يونانية مشتقة من كلمة (غراما) ومعناها (الحروف) والمقصود (علم الحروف) ينظر / المصدر نفسه / ٢٨ .

[1026]. بمعنى إذا كانت الكلمة فاعلاً أو نائباً عن الفاعل ، أو أنَّها مفعول به ، أو مفعول فيه ، أو حالاً ، كما يرى ذلك المؤلف .

والإعراب الثاني هو : ((الإعراب المنطقي ــ لا يأخذ الكلمة بمفردها ، بل يأخذ الجملة بكاملها ــ فيُعنى بتقسيم الجمل على أنواع بحسب المعنى وحسب علاقة كل جملة بأختها))[1027].

٢ـ عَدَّ المؤلف الأسماء : (الضمائر ، الاسم الموصول ، اسم الإشارة ، أسماء الاستفهام) كُلَّها ضمائر ، فقال : ((أعتبرنا الأنواع الأربعة ضمائر ، كما تعتبرها كل اللغات ، لأنَّ الاسم يدل على شيء بنفسه ، والضمائر الأربعة لاتدل على شيء بنفسها بل هي جميعاً تحلّ ُ محل الاسم وتُغني عن تكراره)) وقد عبَّر عنها بـ ((الضمير الذاتي ، الضمير الموصول ، ضمير الإشارة ، ضمير الاستفهام))[1028].

ومن خلال الاطلاع على مادة الكتاب وجدتُ التأثر الواضح عند المؤلف بما في اللغات الأجنبية ، وأنَّ القواعد التي رسمها المؤلف على وفق قواعد تلك اللغات ، لا تنسجم مع الذوق العربي ، والقواعد النحوية العربية ، لكونها تمثل أصالة التراث وعراقته ، ولأنَّها لم تتأثر بشرقي أو غربي ، فبقيت محافظة على روحها السامية وأصالتها ، وأعتقدُ أنَّ أداء المؤلف هذا ليس سوى سحابة صيف تمرّ ُ من غير تأثير ، لذا مَرَّت هذه الدعوة على العربية من غير أنْ تهزَّ جفناً أو بدناً لها ، لأنَّها لغة راسخة في عمق التاريخ أولا ً، ومتجدِّدة متلائمة مع ما في العصر من جديد ثانياً .

ولستُ الوحيد في نقدي كتاب (الأحرفية) ، فقد تناوله آخرون بالنقد والتحليل، ومنهم الباحثة (نسرين العلواني) في بحثها الموسوم (البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة)[1029]، فهي تستغرب من أسلوب المؤلف وطروحاته ، وكيف أنّه سيواجه طلابه بمثل هذه الأفكار؟ . قالت ((والملاحظ على كلام الباحث هذا أنَّه يحاول أنْ يسلخ عن العربية روحها ، فكيف يفسِّر لطلابه قوله تعالى : ((

1026. ـ المصدر نفسه / ١٠٠ ، ١٠١ .
1027. ـ المصدر نفسه / ١٠١ .
1028. ـ السودا : يوسف ـ الأحرفية / ٢٦ .
1029. ـ أشار إليه البحث في هوامشه ص ٢١٤.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ))[1030]، وكيف يُفْهِم الطالب لغته لغته العربية الموحية المعبرة الجميلة من غير معنى أو دلالة ؟ ، وكيف تكون له ملكة لغوية معنوية يعبر فيها بأساليب العربية البلاغية الرائعة ؟ ، كان الأولى به أنْ يؤكِّد أهمية دراسة المعاني والآستزادة منها في درس العربية بفروعها المختلفة ، وهي طريقة ناجحة ومجربة في قاعات الدرس))[1031] . وأؤيد هذا الأمر ، وأؤكِّد على أهمية الوقوف عند دراسة المعنى النحوي ، والعودة بالنحو إلى جذوره الأولى قبل دخول الفلسفة وما شابهها عليه .

وخلاصة القول إنَّ هذه الدراسات التي أراد أصحابها أنْ يغيروا أصول العربية ، ويأتوا بشيءٍ آمنوا أنَّه جديد ، ويمكن الاعتماد عليه يوماً ما وهذا وَهْمٌ كبيرٌ وقعوا فيه ، لأنَّ العربية محفوفة بسورٍ منيعٍ من العقول المستنيرة بعمق الماضي العريق ، وبروح القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة العريقة ، وهو محفوظ من الزَّيف والخلل بقدرة الله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ))[1032] . لذا فإنَّ مثل هذه الدراسات ليست سوى خواطر عبَّر بها أصحابها عن خلجات نفوسهم . وعلى دعاة التجديد أنْ يبتكروا ويطوُّروا ، بدلاً من اللَّوم والشكوى من قوة النظام النحوي الموروث ، بل عليهم أنْ لايصفوا هذه القوة جموداً . وأنْ يبحثوا عن عناصر تزيد هذه القوة وتبثّ ُالحركة في الرَّاكد من القواعد ، وليس القفز إلى واقع جديد بعيد عن هذا الموروث القوي بتجديد . ومن هنا أرى ، أنْ يقف هؤلاء موقفاً آخر فيه إنصاف لتراث العربية .

1030. - هود - الآية / ١٢
1031. - العلواني : نسرين - البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة / ٥٢
1032. - الحجر الآية / ٩

الخاتمة

وتتضمن :
أ- نتائج البحث
ب- مقترحات الباحث

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا العمل ، الذي رسمنا من خلاله صورة حاولنا فيها إبعاد الجمود عن النحو العربي ، واثبات حيويته ، وأنّه متطوّر أبداً ما دامت الحياة بتطوّر ، لكونه متصلاً بلغة القرآن الكريم ، تلك اللغة المتجدّدة دائماً، لأنّها بمنزلة الكائن الحيّ ، والكائن الحيّ ينمو ويتطوّر بشكل طبيعي ، وبما أنّ النحو جزء من هذه اللغة الكريمة ، فهو يتطوّر بتطوّرها ، ويكسد بكسادها .

لذلك نقول : إنّ النحو العربي عِلمٌ قابلٌ للتجدُّد ، والتطوّر ، و لا جمود فيه أو عُسر، وإنّما الجمود ، والعُسر في المُعَلِّم أو المدرِّس ، والمنهج المُتَّبع في طرح قواعد النحو .

وما أظهره بحثنا هذا (النحو العربي وقضية التجديد والتيسير فيه) من نتائج دليل واضح على قابلية النحو العربي على التجديد ، لأنّ دراستنا تناولت النحو العربي منذ نشأته الأولى وصولاً ـ قدر الإمكان ـ إلى زمن كتابة البحث .

النتائج

وقد تمخضَّت رحلتنا في البحث والتقصي عن نتائج كثيرة ومهمة يمكن تلمسها في صفحات البحث جميعاً نذكر منها الآتي :

- أثبت البحث أنَّ مؤسس علم النحو الأول هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأنّه أجاز أبا الأسود إتمام المهمة .
- أنَّ النحو العربي أثر رائع من نتاج العقل العربي ، وغير متأثر بنحو لغةٍ أخرى .

- يمثل الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مدرسة علمية في شخص واحد ، فهو أول من ابتدع المعجم الصوتي ، ويُعَدُّ مؤسس مذهب البصرة النحوي .
- إنّ كتاب سيبويه بما تضمنه من مادة علمية ، واستشهاد يمثل وحده ظاهرة فريدة في التأليف النحوي .
- أخرج عبد القاهر الجرجاني النحو العربي من إطار الشكلية والخلافات الجامدة ، ثُمَّ أخضعه لفكرة النظم ، وعاد بالنحو إلى علم المعاني ، لأنّ علم المعاني يمثل قمة علم النحو .
- ترك ابن مالك بصمة واضحة لها تأثيرها في حياة اللغة العربية ، بما تركه من علم ، وما حققه من مسائل لغوية ونحوية ، وتمثل آراؤه دليلاً واضحاً في طريق معرفة النحو العربي .

- إنَّ علم النحو العربي ، هو فنٌ تمرَّست عليه ألسنة العرب ، وتطبعت به نفوسهم ، فصار علماً له قواعده ، وأصوله التي تدرس تراكيب الكلام وأساليبه .
- أثبت البحث أسبقية علم النحو العربي على علم الأصول ، والدليل وجود مؤلفات نحوية مثل (الجمل - للخليل ، وكتاب - سيبويه ، ومقدمة خلف الأحمر) قبل المؤلفات الأصولية .
- أثبت البحث أنَّ هشام بن الحكم الكلبي ، أول مَنْ ألف في علم الأصول، وليس الشافعي .
- تُعَدُّ دراسة الأصوليين النحو إعادة لحيوية النحو ، من خلال إضافتهم إليه من طرائقهم فهم مجددون فيه .
- لمس البحث دور الحوزة العلمية الواضح في تجديد حيوية النحو ، ولاسيما دور الشيخ محمد جواد الجزائري و آل كاشف الغطاء وجهودهم في التيسير .
- إنَّ للعامل النفسي أثراً كبيراً في وجود الخلاف النحوي بين علماء البصرة والكوفة ، وذلك لتخوُّف الكوفيون من تفوّق البصريين عليهم ، ومفاد هذا عدم ثقتهم بقدراتهم العلمية .
- وجد البحث أنَّ الحسد العلمي ، والأنانية عاملٌ مهمٌ من عوامل تطوّر الخلاف بين النحويين .
- إنَّ وجود المذاهب النحوية ، يعطي النحو أهمية كبيرة ، بكونه علماً يستحق الدراسة ، ويسعى إليه الدارسون .
- يُعَدُّ تعدد المذاهب النحوية دليلاً واضحاً على عدم جمود النحو العربي، وتقبله الرأي الجديد .
- ظهر من خلال البحث أنَّ منظومة الخليل بن أحمد ، هي من أقدم أنماط التأليف في النحو العربي .
- عرض البحث أول مرة مقارنة بين مقدمة خلف الأحمر ، والمقدمة المحسبة لأبن بابشاذ .

- تميـزت بعـض أنمـاط التـأليف بالشـمول والاتسـاع مثـل (كتـاب سـيبويه)، ومنظومة ابن مالك .
- ظهر من خلال البحث أنَّ ابن رشد أسبق من ابن مضاء القرطبي في دعوته لتيسير النحو العربي .
- إن الدعوة إلى العامية وغيرها من الدعوات ذات الميول الرامية إلى هدم البناء التاريخي للنحو العربي ، ليست من باب التيسير في شيء .
- تمثل المجامع العلمية رافداً مهماً من روافد اغناء اللغة العربي بالجديد، ومتابعة مناهجها وتصحيح مسيرتها .
- ظهور نظريات غربية جديدة يمكن توظيفها بشكل علمي ، وبما يخدم النحو العربي دون التأثير على أصالته ، كنظرية الحالة النحوية ، ونظرية العلاقات النحوية لجومسكي .
- إنَّ للترجمة أهمية كبيرة في ديمومة التواصل بين محيط اللغة الداخلي والخارجي ، ليسهل على روادها الاطلاع والقدرة على التجديد .
- تمكُن الميسرون العرب من إيجاد اختلافات نحوية جديدة .
- إنَّ مساواة نائب الفاعل بالفاعل ، بالنظر لطبيعة التركيب ، ووضعه مع الفاعل في باب واحد كما ذهب إليه الدكتور المخزومي ، رأي غاية الصواب .
- يمثل رفض الدكتور إبراهيم السامرائي لباب التنازع ، وباب الاشتغال ظاهرة جديدة ، أظهرت حيوية النحو العربي .
- إنَّ النحو العربي ليس صعباً ، بل الصعوبة في تصنيفه ، وطريقة عرض مناهجه ، وأسلوب مُدَرِّسيه .
- لم يتوقف الجهد الحوزي على الأسلوب القديم ، بل تعداه إلى العمل من أجل تيسير قواعده .
- لا يمثل إصلاح النحو العربي هدفاً سهلاً ، بل هو من أخطر الأهداف في نهضتنا الفكرية ، حتى نستطيع تجنب التخبط في أساليب التعليم وفي وسائله .

- إنَّ التجديد في الدراسات الحديثة نابع من ضرورات العصر الذي نعيشه، لكون النحاة القدماء كانوا يعيشون ظروفاً مختلفة ، وطبيعية مختلفة ، وفي ظل ميدان اجتماعي غير معقد .

- إنّ الأسلوب التجديدي الذي بناه الدكتور شوقي ضيف بموافقته رأي ابن مضاء في إلغاء ما جاء به النحاة من تسميات ، مبني بأسلوب عصري يسير .
- أثبتت كثير من الدراسات ، أنَّ الاعتماد على القرآن الكريم في الدراسات النحوية يُغني هذه الدراسات كثيراً ، لكونه يمثل القمة في استقصاء معاني النحو ، ومنها دراسات الدكتور الجواري .
- عملت بعض الدراسات على دمج النحو العربي بعلم المعاني ، لكونه يشكل جزءاً مهماً منه ، مثل دراسة الدكتور الجواري في كتابه (نحو المعاني) .
- أسست حركة التيسير التي بدأها الرواد الأوائل (الدكتور الجواري ، والمخزومي ، وغيرهم) النواة الأولى لحركة التجديد والإصلاح في النحو العربي .
- إنَّ ظهور دراسات التيسير يعطي انطباعاً مهماً يفيد بعدم صعوبة النحو العربي ، وجموده ، وأنّه قابل للتطوّر والتجدد .
- شخصّت الدراسات النحوية الحديثة مواطن الضعف والقوة في النحو العربي ، وأوضحت سبل العلاج الناجح لضعف النحو ، فرأت ضرورة التجديد في مناهجه ، وإعادة ترتيب أبوابه وفق المناهج التربوية الحديثة.

وفي الختام نحمد الله الذي أعاننا على إتمام المهمة الشاقة في مسيرتنا هذه ، التي توصلنا من خلالها لهذا الانجاز الذي نرجو الله تعالى أنْ يجعله نافعاً بمادته طلبة العلم ، ومحبي العربية .

المقترحات

أثبتت اللغة العربية قدرتها على التجدد ، والبقاء ؛ لأنَّ أبنائها يحرصون دائماً على أغنائها ، وحمايتها من الطارئ الغريب ، بما يقدموه من دراسات وجهود في سبيل ذلك . لذا نقترح لمَنْ يرفع شعار خدمة اللغة العربية وعلومها ما يأتي :

- القيام على انجاز معجم نحوي شامل يضم المصطلحات الإعرابية ، والأساليب .
- الاهتمام بالنحو عند الأصوليين لأنّه يمثل مرحلة جديدة في دراسة النحو لا سيما علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف .
- دراسة مناهج التيسير ، واختيار الأصلح منها ، وتطبيقه على مناهجنا الدراسية في الوقت الحاضر .
- الأخذ برأي الدكتور مصطفى جواد في الاهتمام بالنحو الكوفي لقربه من مناهج التيسير الحديثة ، ودراسة هذا الرأي جيداً بما يخدم مسيرة النحو العربي .
- نشر علوم آل البيت (عليهم السلام) المتصلة باللغة العربية .
- نشر المؤلفات القديمة بطبعات جديدة ، وبثمن معقول ليتمكن الطالب من شرائها .
- تشجيع دارسي اللغة العربية من خلال نشر الصحف ، والمجلات ، وبأثمان مناسبة .

هذا وأسأل الله تعالى لكم وللمؤمنين والمؤمنات التوفيق والسداد .

المصـــــــــــــــادر والمراجـــــــــــع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: المخطـــوطات

- أحمد : باسم حسين - العلل التعليمية وتطبيقها على الإنصاف - كلية الآداب - جامعة مؤتة - الأردن -٢٠٠٢ م .

- الحمد : كريم سلمان - مسائل الخلاف النحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري - رسالة ماجستير - كلية دار العلوم- جامعة القاهرة - ١٩٨٠ م .
- خضير : باسم خيري - الدراسات النحوية عند آل كاشف الغطاء - رسالة ماجستير- كلية الآداب - جامعة القادسية- ٢٠٠٦ م .
- الزوبعي : صبيحة حسن طعيس - المصطلح النحوي عند أبي بكر الانباري - رسالة ماجستير- كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - ٢٠٠٣ م .
- سلطان : مهدي صالح - الخلاف النحوي بين الكوفيين- رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٩٥ م .
- العلواني : نسرين عبدالله - البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة - رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة بغداد - ٢٠٠٣ م .
- كاصد : قاسم عبد الرضا - محاولات حديثة في تيسير النحو العربي - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة البصرة - ١٩٨٤ م .
- مصطفى : هاشم محمد - الخلاف النحوي في معاني الأدوات والأساليب في ضوء كتاب الإنصاف - رسالة ماجستير - كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - ١٩٩٨ م .
- ناصح : كريم حسين - مناهج التأليف النحوية من سيبويه إلى ابن هشام - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٨٦ م .

ثالثاً: المطبـــوعـات

- إبراهيم : الدكتور محيي الدين توفيق - ابن الأنبا ري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين – ط ١ – الموصل – ١٩٧٩ م .
- ابن بابشاذ : طاهر بن الحسين (ت ٤٦٩ هـ) - شرح المقدمة المحسبة – تحقيق – خالد عبد الكريم – ط ١ – الكويت – ١٩٧٦ م

- ابـن تغـري بـردي : أبـو المحاسـن جمـال الـدين (ت ٨٧٤ هـ) - النجـوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – ط ١ – مصر – ١٩٦٣ م .
- ابن جني : أبو الفتح عثمـان (ت ٣٩٢ هـ) - الخصـائص – تحقيـق – محمد علي النجار – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٩٠ م .
- ابن جني : أبو الفتح عثمان - سر صناعة الإعراب – تحقيق – حسن هنداوي – ط ١ – دمشق – ١٩٨٥ م .
- ابن جني : أبو الفتح عثمـان - اللمـع فـي العربيـة – تحقيـق – حامـد المؤمن – ط١ – بغداد – ١٩٨٠ م .
- ابن حنبل : أحمد (ت ٢٤١ هـ) - مسند أحمد – مؤسسـة قرطبـة – مصـر – ب ت .
- ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) - الحجة في القراءات السبع – تحقيق – الدكتور عبد المتعال الصعيدي – ط ١ - مؤسسة الرسالة – بيروت – ٢٠٠٠ م .
- ابن خلدون : عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ) - مقدمـة ابن خلدون – تحقيـق – حجر عاصي – بيروت – ١٩٨٨ م .
- ابـن خيـاط : أبـو عمـر (ت ٤٧٠ هـ) - كتـاب الطبقـات – تحقيـق – سـهيل زكّار – دمشق – ١٩٦٦ م .
- ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) - جمهرة اللغة – دار صادر – بيروت – ب ت .
- ابـن السّـرّاج : أبـو بكـر (ت ٣١٦ هـ) - الأصـول فـي النحـو – تحقيـق – الدكتور عبد الحسين الفتلي – ط ١ – النجف الأشرف – ١٩٧٣ م .
- ابن السّرّاج : أبو بكر - الموجز في النحو – تحقيق – مصطفى الشويمي – بيروت – ١٩٦٥ م .
- ابـن شـهبة: القاضـي الشـافعي (ت ٨٥١ هـ) - طبقـات النحـاة واللغـويين – تحقيـق – الـدكتور محسـن غيـاض – مطبعـة النعمـان – النجـف الأشـرف – ١٩٧٤

- ابن الشهيد الثاني : الشيخ حسن بن زين الدين (ت ١٠١١ هـ) - معالم الدين وملاذ المجتهدين – لجنة التحقيق – قم / إيران – ١٣١٣ هـ .
- ابن عقيل الهمذاني : (ت ٧٦٩ هـ) - شرح ابن عقيل – تحقيق – محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية - مصر -١٩٦٤ م .
- ابن غلبون : أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم (ت ٣٩٩ هـ) - التذكرة في القراءات - تحقيق - الدكتور سعيد صالح – بيروت- ٢٠٠١ م .
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ) - بيروت - ب ت الجزء١٢.
- ابن مالك: أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله الجياني (ت ٦٧٢ هـ) - شرح التسهيل – تحقيق – الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون – ط ١ – ١٩٩٠ م .
- ابن مالك: الجياني - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد – محمد كامل بركات – ط ١ – دار الكاتب العربي – القاهرة – ١٩٦٧ م .
- ابن مالك : الجياني - شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ – تحقيق – عدنان عبد الرحمن الدوري – ط ١ – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٧٧ م.
- ابن مالك : الجياني - الألفية – بخط – يحيى سلوم العباسي – بغداد – ب ت .
- ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) - لسان العرب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٩٨٥ م ..
- ابن الناظم : أبو عبدالله بدر الدين (ت ٦٨٦ هـ) - شرح ألفية ابن مالك – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠٣ م .
- ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت ٣٨٠ هـ) – الفهرست – تحقيق – الدكتور يوسف علي الطويل – دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٢ م .
- أبو جناح : الدكتور صاحب - من أعلام البصرة سيبويه – ط ١ – دار الحرية للطباعة والنشر – بغداد – ١٩٧٤ م .
- أبو الحسن : الشيخ عبد الله - مناظرات في الإمامة – ط ٢ – إيران – ب ت .

- أبو الطيب اللغوي : عبد الواحد بن علي (ت ٣٥١ هـ) - مراتب النحويين – تحقيق – محمد أبو الفضل إبراهيم – مصر – ١٩٥٥ م .
- أبو مغلى : الدكتور سميح ، ومصطفى محمد الفار – الأصول في اللغة العربية وآدابها – ط ١ – دار القدس – عمّان / الأردن – ١٩٩٠ م .
- الأحمر : خلف بن حيّان (ت ١٨٠ هـ) – مقدمة في النحو – تحقيق – عز الدين التنوخي – ط ١ دمشق – ١٩٦١ م .
- الآخوند : محمد كاظم الخراساني (قدس) - كفاية الأصول – مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت – ١٣٢٩ هـ طبعة مصورة .
- الأزهري : خالد (ت ٩٠٥ هـ) - الأزهرية – القاهرة – ١٣٤٤ هـ .
- الاستربادي : الرضي (ت ٦٨٦ هـ) – شرح الكافية – تحقيق – حسن عمر – مؤسسة الصادق – طهران – ١٩٧٨ م .
- الاستربادي - شرح الشافية – محمد نور الحسن وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧٥ م .
- الاشبيلي : ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) – المقرّب – تحقيق – الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، والدكتور عبد الله الجبوري – بغداد – ١٩٧٣ م .
- الأفغاني : سعيد - في أصول النحو – ط ٣ – دمشق – ١٩٦٤ م .
- الأنباري : كمال الدين (ت ٥٧٧ هـ) – الانصاف في مسائل الخلاف – تحقيق – محمد محيي الدين عبد الحميد – ط ٤ – دار إحياء التراث العربي – مصر – ١٩٦١ م.
- الأنباري : كمال الدين - نزهة الألباء في طبقات الأدباء – تحقيق – الدكتور – إبراهيم السامرائي – ط ٣ – مطبعة المنار- الأردن – ١٩٨٥ م. .
- الأنصاري : الدكتور أحمد مكي - أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة – ط ١ – القاهرة – ١٩٦٤ م .
- الأنصاري : الدكتور أحمد مكي - نظرية النحو القرآني – ط ١ – بغداد – ١٩٨٤ .

- الأنصاري : ابن خلف (ت ٥٤٠ هـ) - الإقناع في القراءات السبع – تحقيق – الشيخ أحمد فريد المزيدي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٩ م .
- الأنصاري : ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) - أوضح المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك – تحقيق – عبد المتعال الصعيدي – ط ١ – مطبعة محمد علي صبيح وأولاده – القاهرة – ١٩٦٤ م .
- الأنصاري : ابن هشام - شذور الذهب في معرفة كلام العرب – تحقيق – محمد محيي الدين عبد الحميد – ط ١ – القاهرة – ١٩٦٨ م .
- الأنصاري : ابن هشام - قطر الندى وبل الصدى – تحقيق – محمد محيي الدين عبد الحميد – ط ٥ – مطبعة السعادة – القاهرة – ١٩٥٠ م .
- الأنصاري : ابن هشام - مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب – تحقيق – محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة المدني – القاهرة – ١٤٠٥ هـ .
- الأنصاري : أبو زيد سعيد بن ثابت (ت ٢١٥هـ) - النوادر في اللغة – تحقيق – الدكتور محمد عبد القادرأحمد – ط ١– دار المشرق – بيروت – ١٩٨١م .
- بروكلمان : كارل - تاريخ الأدب العربي – ترجمة – الدكتور عبد الحليم النجار – دار المعارف – مصر – ١٩٦١ م الجزء الأول .
- برانق : محمد أحمد - النحو المنهجي – ط ٣ – القاهرة – ١٩٥٩ م .
- البستي : أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) - مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار – تحقيق – مرزوق علي إبراهيم – ط ١ – دار الوفاء – ١٤١١ هـ .
- بشر : الدكتور كمال - دراسات في علم اللغة – دار غريب – القاهرة – ١٩٩٨ م .
- البصير : الدكتور محمد مهدي - في الأدب العباسي – ط ٣ – مطبعة النعمان – النجف الأشرف – ١٩٧٠ م .
- البغدادي : إسماعيل باشا - هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين – بيروت – ١٩٥٥ م .

- البكاء : الدكتور محمد عبد المطلب - منهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه – ط ١ – بغداد – ١٩٩٠ م .
- البكاء : الدكتور محمد كاظم - منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي – ط ١ – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٨٩ م .
- بكر : الدكتور السيد يعقوب - نصوص في النحو العربي – ط ١ – بيروت – ١٩٧١ م .
- بن ثابت : حسّان - ديوان حسّان بن ثابت – تحقيق – سيد حنفي حسنين – القاهرة – ١٩٧٤ م .
- بنعبد الله : عبد العزيز - التعريب ومستقبل اللغة العربية – ط ١ – معهد البحوث والدراسات العربية – ١٩٧٥ م .
- التهانوي : محمد بن علي (ت ١١٥٨ هـ) - كشاف اصطلاح الفنون – تصحيح – محمد وجيه وآخرون – ط ١ – كلكته – ب ت – المجلد الثاني.
- التوحيدي : أبو حيّان علي بن محمد (ت٤١٤هـ) - المقابسات - تحقيق - محمد توفيق حسن - ط ١ - مطبعة الإرشاد - بغداد - ١٩٧٠ م .
- الثعالبي : أبو منصور محمد بن أحمد(ت ٤٢٩ هـ) - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – تحقيق – محمد محيي الدين عبد الحميد – ط ٢ – مطبعة السعادة – القاهرة – ١٩٥٦م
- ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) - مجالس ثعلب – تحقيق – عبد السلام محمد هارون – ط ٢ – دار المعارف – مصر – ١٩٦٠ م .
- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) - البيان والتبيين – تحقيق – عبد السلام محمد هارون – القاهرة – ١٩٦٨ م .
- الجبوري : الدكتور عبد الله - بحوث في المعجمية العربية ـــ المعجم اللغوي ـ منشورات المجمع العلمي العراقي – بغداد – ٢٠٠٤ م .
- الجرجاني : الشريف علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ) - التعريفات – تصحيح – أحمد سعد علي – ط ١ – القاهرة – ١٩٣٨ م .

- الجرجاني : عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) - أسرار البلاغة - هـ . ريتر – استنابول- ١٩٥٤ م .
- الجرجاني : عبد القاهر - دلائل الإعجاز في علم المعاني – تحقيق – محمد رشيد رضا – بتصحيح – الشيخ محمد عبده – دار الكتب – القاهرة – ١٩٦٠
- الجرجاني : عبد القاهر - دلائل الإعجاز – تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي – ط ١ – بيروت – ٢٠٠١ م .
- الجرجاني : عبد القاهر - كتاب المقتصد في شرح الإيضاح – تحقيق – كاظم بحر المرجان – دار الرشيد – بغداد – ١٩٨٢ م .
- الجزائري : الشيخ محمد الجواد آل الشيخ أحمد - نقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية – ط ١ – النجف الأشرف – ١٩٥١ م .
- الجمحي : محمد بن سلاّم (ت ٢٣١ هـ) – طبقات فحول الشعراء – تحقيق – محمود محمد شاكر – القاهرة – ١٩٥٢ م .
- جمال الدين : الدكتور مصطفى - البحث النحوي عند الأصوليين – ط ١ – دار الرشيد – بغداد – ١٩٨٠ م .
- الجميلي : الدكتور رشيد - حركة الترجمة في المشرق الإسلامي - بغداد- ١٩٨٦ م .
- جواد : الدكتور مصطفى - قل ولا تقل – ط ٢ – بغداد ١٩٧٠ م .
- جواد : الدكتور مصطفى - المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية – ط ٢ بغداد – ١٩٦٥ م .
- الجواري : الدكتور أحمد عبد الستار - نحو التيسير – ط ١ – جمعية نشر العلوم الثقافية – بغداد – ١٩٦٢ م .
- الجواري : الدكتور أحمد عبد الستار - نحو الفعل – ط ١ – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٧٤ م .
- الجواري : الدكتور أحمد عبد الستار - نحو القرآن – ط ١ – مطبعة المجمع العلمي العراق – بغداد – ١٩٧٤ م .

- الجواري : الدكتور أحمد عبد الستار - نحو المعاني – ط ١ – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٨٧ م .
- الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) - المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم - تحقيق- أحمد محمد شاكر – ط ٢ – دار الكتب – مصر – ١٩٦٩ م .
- جومسكي : نعوم - جوانب من نظرية النحو – ترجمة – مرتضى جواد باقر – مطبعة جامعة الموصل – الموصل – ١٩٨٥ م .
- الجوهري : اسماعبل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) - تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق – أحمد عبد الغفور عطار – ط ٤ – بيروت – ب ت .
- الحائري : الشيخ علي اليزدي (ت ١٣٣٣ هـ) - إلزام الناصب في إثبات حجة الغائب – السيد علي عاشور – ط ١ – قم / إيران – ب ت .
- الحديثي : الدكتورة خديجة عبد الرزاق - سيبويه حياته وكتابه – ط ١ – بغداد ١٩٧٥ م .
- الحديثي : الدكتورة خديجة - المدارس النحوية – بغداد – ١٩٨١ م.
- الحديثي : الدكتورة خديجة - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف – ط ١ – بغداد – ١٩٨١ م
- الحرالعاملي (ت ١١٠٤ هـ) - الفصول المهمة في أصول الأئمة – تحقيق – محمد بن محمد حسين القائيني – قم / إيران – ١٤١٨ هـ .
- حرز الدين : الشيخ محمد - معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء – مطبعة الآداب – النجف الأشرف -١٩٦٥ م .
- حسان : الدكتور تمام - الأصول : دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو ، الفقه ، اللغة ، البلاغة) – بغداد – ١٩٨٨ م .
- حسان : الدكتور تمام - اللغة العربية معناها ومبناها – ط ٤ - عالم الكتب – القاهرة – ٢٠٠٤ م .
- حسن : الدكتور حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) – ط ٧ – مصر – ١٩٦٤ م .

- حسن :عباس - رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية – القاهرة – ١٩٥١م.
- حسن : عباس - اللغة العربية بين القديم والحديث – ط ١ – دار المعارف – مصر – ١٩٦٦ م .
- حسن : عباس - النحو الوافي – ط ٦ – ناصر خسرو – إيران – ب ت .
- الحسون : الدكتور خليل بنيان - النحويون والقرآن – ط ١ – مكتبة الرسالة الحديثة – عمّان / الأردن – ب ت .
- حسين : الدكتور محمد محمد - حصوننا مهددة من الداخل - ط ٥ - الكويت - ١٩٧٨ م .
- حسني : الدكتور محمود - المدرسة البغدادية - ١٩٨٦ م .
- الحسيني : الدكتور محمد علي - علم اللغة التوحيدي بين النظرية والتطبيق - ط ١ – إيران – ١٩٩٧ م .
- الحلي : أبو القاسم نجم الدين - تهذيب الوصول إلى علم الأصول - تحقيق - محمد باقر الناصري - ط١ - إيران - ٢٠٠٥ م .
- حيدر : أسد - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة – ط ١ – النجف الأشرف – ١٩٥٨ م .
- الخاقاني : علي - شعراء الغري – المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف – ١٩٥٨ م .
- خليفة : حاجي (ت ١٠٦٧ هـ) - كشف الظنون – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ب ت .
- خليل : الدكتور حلمي - العربية وعلم اللغة البنيوي – دار المعرفة – مصر – ب ت .
- الخميني : السيد مصطفى - تحريرات في الأصول – تحقيق – السيد محمد السجّادي – ط ١ – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – إيران – ١٤٠٧ هـ .
- الخوئي : السيد أبو القاسم (ت ١٤١٣ هـ) - معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة – ط ٥ – ١٩٩٥م .

- الخولي : أمين - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب – ط ١ – مصر – ١٩٦١ م .
- الدجني :الدكتور فتحي عبد الفتاح - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي – ط ١ – الكويت – ١٩٧٤ م .
- درويش : الدكتور عبد الله - المعجم العربية – ط ١ – مطبعة الرسالة – القاهرة – ١٩٥٦ م .
- الدقاق : الدكتور عمر - مصادر التراث العربي – ط ١ – دار المشرق – بيروت – ب ت .
- دمشقية : الدكتور عفيف - تجديد النحو العربي – لبنان – ١٩٧٦ م .
- دي بور - تاريخ الفلسفة في الإسلام – ترجمة – لجنة التأليف والترجمة والنشر- بغداد – ١٩٤٨ م .
- الديلمي : الشيخ الجليل الحسن بن أبي الحسن - أعلام الدين في صفات المؤمنين – ط ٢ – مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت – ١٩٨٨ م .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) - سير أعلام النبلاء – تحقيق – شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم الفرقوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت - ١٩٩٣م .
- الراجحي : الدكتور عبده - المذاهب النحوية – القاهرة – ١٩٨٠ م .
- الرازي : أبو حاتم بن حمدان (ت ٣٢٢ هـ) - الزينة في الكلمات الإسلامية العربية – تحقيق – حسين فيض الله – ط ١ – ١٩٦٤ م .
- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) - المعالم في علم الأصول – تحقيق – الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد معوض – ط ٢ – مؤسسة المختار – القاهرة – ٢٠٠٤ م .
- الرافعي : مصطفى صادق - تحت راية القرآن - ط ٧ – مصر – ١٩٧٤ م .
- الراوي : طه - تاريخ علوم اللغة العربية – بغداد – ١٩٤٩ م .

- الراوي : طه - نظرات في اللغة والنحو- منشورات المكتبة الأهلية – بيروت -١٩٦٢ م.
- الزّ ُبيديّ : محمد بن الحسين (ت ٣٧٩ هـ)- طبقات النحويين واللغويين - تحقيق – محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة – ب ت .
- الزَّبيدي : أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) - تاج العروس من جواهر القاموس - تحقيق - مصطفى حجازي - ط ١ - بيروت - ١٩٨٥ م .
- الزّ ُبيدي :عبد اللطيف بن أبي بكر (ت ٨٠٢ هـ) - ائتلاف النُصْرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة – تحقيق – الدكتور طارق الجنابي – بيروت – ١٩٨٧ م .
- الزجاجي : أبو القاسم (ت ٣٣٧ هـ) - الجُمل – تحقيق – علي توفيق الحمد – دار الأمل – ١٩٨٤ م .
- الزجاجي : أبو القاسم - مجالس العلماء – تحقيق – عبد السلام محمد هارون – الكويت – ب ت .
- الزجاجي : أبو القاسم - الأمالي – تحقيق – عبد السلام محمد هارون – القاهرة – ١٩٦٢ م .
- الزمخشري :جارالله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) - أساس البلاغة – تحقيق – محمد باسل عيون المها – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٨ م .
- زكي : الدكتور أحمد كمال - الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري - دار المعارف – مصر – ١٩٧١ م .
- زوين : الدكتور علي - منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث – ط ١ – بغداد – ١٩٨٦ م .
- زيدان : جرجي - تاريخ آداب اللغة العربية – ط ١ – القاهرة – ١٩٥٧ م .

- زيدان : الدكتور عبد الكريم - الوجيز في أصول الفقه – ط١ – دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة – ١٩٩٢ م .
- الزيات : أحمد حسن - تاريخ الأدب العربي – ط ٣ – مطبعة الرسالة – القاهرة – ب ت .
- السامرائي : الدكتور إبراهيم - فقه اللغة المقارن – ط ١ – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٦٨ م .
- السامرائي : الدكتور إبراهيم - مقدمة في تاريخ العربية – سلسلة الموسوعة الصغيرة – بغداد – ١٩٧٩ م .
- السامرائي : الدكتور إبراهيم - النحو العربي نقد وبناء – ط ١- دار الصادق – بيروت – ١٩٦٨ م .
- السامرائي : الدكتور إبراهيم – العربية بين أمسها وحاضرها – ط ١ – بغداد – ١٩٧٨ م .
- السامرائي : الدكتور فاضل - الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري – ط ١ – بغداد – ١٩٧١ م .
- السامرائي :عامر رشيد - آراء في العربية - مطبعة الرشاد- بغداد – ١٩٦٥ م
- السجاعي : أحمد بن محمد (ت ١١٩٧ هـ) - حاشية السجاعي على شرح ابن هشام قطر الندى وبل الصدى – تصحيح – أحمد سعد علي – القاهرة – ١٩٣٩ م .
- السخاوي : شمس الدين (ت ٩٠٢هـ) - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ٢٠٠٢ م . الجزء ١١.
- سركيس : يوسف اليان - معجم المطبوعات العربية والمعربة - منشورات مكتبة المرعشي النجفي – قم / إيران – ١٤١٠ هـ .
- سعيد : الدكتور عبد الوارث مبروك - في إصلاح النحو العربي – مصر – ١٩٨٥ م .

- سعيد : الدكتور محمد علي حمزة - ابن الناظم النحوي- ط ١- بغداد - ١٩٧٧ م . (أستشهد في نيسان على يد الإرهابيين التكفيريين في بغداد عام ٢٠٠٧م .)
- سعيد : الدكتورة نفّوسه زكريا – تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر – القاهرة – ب ت .
- السعيدي : الدكتور جاسم محسن – الدراسات النحوية واللغوية في البصرة ومنهجها التعليمي – بغداد – ١٩٧٣ م .
- سلاّم : الدكتور محمد زغلول – أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي – ط ٢ – دار المعارف – مصر – ١٩٦١ م .
- سيبويه : عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ) - الكتاب – تحقيق – عبد السلام محمد هارون – ط ٥ – مصر – ١٩٦٦ م .
- السيد : الدكتور عبد الرحمن - مدرسة البصرة النحوية (نشأتها وتطورها) – ط ١ – دار المعارف – مصر –١٩٦٨ م .
- السيرافي : أبو سعيد (ت ٣٦٨ هـ) - أخبار النحويين البصريين – تحقيق – محمد عبد المنعم خفاجي – القاهرة -١٩٥٥ م .
- السودا : يوسف – الأحروفية أو قواعد الجديدة في العربية – ط ١- بيروت ١٩٥٩ م .
- السيوطي : جلال الدين (ت ٩١١ هـ) - إسعاف المبطأ برجال الموطأ – تحقيق – موفق نوري جبر – ط ١ – دار الهجرة – بيروت – ١٩٩٠ م .
- السيوطي : جلال الدين - الأشباه والنظائر – تحقيق – عبد العال مكرم – بيروت – ١٩٨٥ م .
- السيوطي : جلال الدين - الاقتراح في علم أصول النحو – تحقيق – محمد حسن إسماعيل الشافعي- ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٨ م.
- السيوطي : جلال الدين - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – تحقيق – محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – ١٩٦٤م.

- السيوطي : جلال الدين - البهجة المرضية على ألفية ابن مالك – تحقيق – مصطفى الحسيني – قم / إيران – ب ت .
- السيوطي : جلال الدين - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة – وضع حواشيه – خليل المنصور- ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٧ م .
- السيوطي : جلال الدين - لباب اللباب في تحرير الأنساب – تحقيق – محمد وأشرف أحمد عبد العزيز – ط ١ – بيروت – ١٩٩١ م .
- السيوطي : جلال الدين - المزهر في علوم اللغة وأنواعها – تحقيق – محمد أحمد جاد المولى وآخرون – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٢٨٢هـ .
- السيوطي : جلال الدين - همع الهوا مع في شرح جمع الجوامع – تحقيق – عبد السلام محمد هارون و عبد العال سالم مكرم – ط ٢ – دار البحوث العلمية – الكويت – ١٩٧٥ م .
- الشافعي : محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ) - كتاب الأم – ط ٢ – دار الفكر – بيروت – ١٩٨٣ م .
- الشافعي : محمد بن إدريس - الرسالة – تحقيق – محمود محمد شاكر – المكتبة العلمية – بيروت – ب ت .
- شاهين : الدكتور توفيق محمد - عوامل تنمية اللغة العربية – ط ١- القاهرة – ١٩٨٠ م .
- الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) - أمالي المرتضى – تحقيق – محمد أبو الفضل إبراهيم – ط ١ – دار إحياء الكتب – بيروت – ١٩٥٤ م .
- الشريف المرتضى - الانتصار – مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم / إيران – ١٩٩٥ م .
- الشريف المرتضى - تنزيه الأنبياء – دار الأضواء – بيروت – ١٩٨٩ م .
- الشريف المرتضى - المقنع في الغيبة – تحقيق – محمد علي الحكيم – ط ١ – مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم / إيران – ١٩٩٥ م .
- الشريف المرتضى - مسائل الناصريات - مطبعة الهدى - إيران – ١٩٩٧ م .

- الشريف المرتضى - رسائل المرتضى – تحقيق – السيد مهدي رجائي – دار القرآن الكريم – قم / إيران – ١٤٠٥ هـ .
- الشنتمري : الأعلم (ت ٤٩٦ هـ) - تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب – تحقيق – زهير عبد المحسن سلطان – ط ٢ مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٤ م .
- الشهابي : الأمير مصطفى - المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث – ط ٣ – دار صادر – بيروت – ١٩٩٥ م .
- الشهرستاني : الدكتور السيد محمد علي - مدخل إلى علم الفقه - ط ١ – بيروت – ١٩٩٦ م .
- الشهرستاني :عبد الكريم (ت ٥٣٨ هـ) - الملل والنحل- ط١ - القاهرة ب ت.
- الشيرازي : العلامة محمد الحسيني - الوصول إلى كفاية الأصول – ط ٣ – إيران – ب ت .
- الشيرازي : محمد - الأصول - ط١ - إيران - ١٤١٢هـ .
- الصالح : الدكتور صبحي - دراسات في فقه اللغة – ط ٢ بيروت – ١٩٦٢ م.
- الصبّان : محمد بن علي (ت ١٢٠٦ هـ) - حاشية الصبّان – تحقيق – محمود بن الجميل – ط ١ – القاهرة – ٢٠٠٢ م .
- الصدر : السيد حسن - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - ط ١- شركة النشر العراقية - ب ت .
- الصدر : السيد محمد باقر - دروس في علم الأصول – دار الكتب اللبنانية – بيروت – ١٤٠٦ هـ .
- الضامن : الدكتور حاتم صالح - نظرية النظم – سلسلة الموسوعة الصغيرة – بغداد – ١٩٧٩ م .
- ضيف : الدكتور شوقي - تجديد النحو - دار المعارف – مصر – ١٩٨٢ م.
- ضيف : الدكتور شوقي - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده – دار المعرف – مصر – ١٩٨٦ م.

- ضيف : الدكتور شوقي - المدارس النحوية – ط ١- دار المعارف – مصر – ١٩٦٨ م .
- الطبرسي : محمد بن الحسن (ت ٥٥٢ هـ) - مجمع البيان في تفسيرالقرآن– تحقيق – الحاج السيد باسم الرسولي المحلاتي - بيروت- ١٣٧٩ هـ
- الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ضبط وتوثيق – صدقي جميل العطار – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥ م .
- الطرماح : ديوان الطرماح – تحقيق – عزة حسن – دمشق – ١٩٦٨م .
- الطنطاوي : محمد - نشأة النحو (وتاريخ أشهر النحاة) – تعليق – عبد العظيم الشناوي وأحمد عبد الرحمن – ط ٢ – القاهرة – ١٩٦٩ م .
- الظالمي : الدكتور صالح - تطور دراسة الجملة العربية بين النحويين والأصوليين – ط ٢ – النجف الأشرف – ٢٠٠٥ م .
- العاملي : الشيخ أحمد قصير - متن الأجرومية ودروس في النحو – بغداد – ١٩٨٥ م .
- عباينه : الدكتور يحيى - علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات – دار الكتاب – الأردن – ٢٠٠٥ م .
- عبد الحميد : محمد محيي الدين و محمد عبد اللطيف - المختار من صحاح اللغة – ط١ – القاهرة – ١٩٣٤ م .
- عبد الحميد : محمد محيي الدين - التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية – مطبعة الاستقامة – القاهرة – ١٣٥٣ هـ .
- عبد الجليل : منقور - علم الدلالة – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠١ م.
- العزاوي : الدكتور نعمة رحيم - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث – ط ١ – بغداد – ١٩٩٥ م .

- العزاوي: الدكتور نعمة رحيم - فصول في اللغة والنقد – ط ١ – المكتبة العصرية – بغداد – ٢٠٠٤ م .
- العزاوي : الدكتور نعمة رحيم - من قضايا تعليم اللغة العربية (رؤية جديدة) – بغداد – ١٩٨٨ م.
- العسقلاني : ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – تحقيق – محمد سيد جاد الحق – ط ١- دار الكتب الحديثة – القاهرة – ١٩٦٦ م .
- عفيفة : الدكتور أحمد - منظومة النحوية للخليل - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ١٩٩٥ م .
- العكبري : أبو البقاء (ت ٦١٦ هـ) - مسائل خلافية في النحو – تحقيق – محمد خيري الحلواني – دار الشهباء – حلب – ب ت .
- عواد : كوركيس - أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم – بغداد – ١٩٨٢ م .
- عون : طارق عبد - ابن الحاجب النحوي آثاره ومذهبه – ط ١ – بغداد – ١٩٧٤ م .
- عيد : الدكتور محمد - أصول النحو العربي في نظر النحاة – ط ٦- عالم الكتب – القاهرة – ١٩٩٧ م .
- عزة :كثير - ديوان كثير عزة – تحقيق – الدكتور أحسان عباس – بيروت – ١٩٧١ م .
- عنترة : عنترة بن شداد - ديوان عنترة – تحقيق – محمد سعيد- دمشق – ١٩٧٠ م .
- الغزالي : أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) - المستصفى من علوم الأصول – تصحيح – محمد عبد السلام الشافي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧هـ.

- الفارسي : أبو علي (ت ٣٧٧ هـ) - الإيضاح العضدي – تحقيق – الدكتور حسن شاذلي فرهود – ط١ – دار التأليف – مصر – ١٩٦٩ م.
- الفرّاء : أبو زكريا (ت ٢٠٧ هـ)- معاني القرآن – تحقيق – الدكتور محمد علي النجار وآخرين – القاهرة – ١٩٨٦ م .
- الفراهيدي : الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) - الجمل في النحو – تحقيق – فخر الدين قباوة – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٤ م .
- الفراهيدي : الخليل بن أحمد - الحروف – تحقيق – الدكتور رمضان عبد التواب – ط ١ – القاهرة – ١٩٦٩ م .
- الفراهيدي : الخليل بن أحمد - معجم العين - تحقيق - الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور إبراهيم السامرائي - ط ٢ - بغداد -١٩٨٩ م .
- الفرزدق : همام بن غالب (ت ١١٠ هـ) - شرح ديوان الفرزدق – جمع وتعليق – عبد الله إسماعيل الصاوي – القاهرة – ١٩٣٦ م .
- فريحة : الدكتور أنيس - نحوعربية ميسرة – ط١ – دار الثقافة – بيروت – ١٩٥٥ م .
- فريحة : الدكتور أنيس - نظرات في اللغة – ط١ – بيروت – ١٩٧٣ م .
- الفضلي : الدكتور عبد الهادي - فهرست الكتب النحو المطبوعة – ط ١- دار المنار الأردن – ١٩٩٨٦ م.
- الفضلي : الدكتور عبد الهادي - موجز التصريف – ط١ – مطبعة الآداب – النجف الأشرف – ١٩٧٢ م.
- القرشي : الشيخ باقر شريف - الفقه الإسلامي تأسيسه وأصالة مداركه – ط ١ – قم/ إيران – ١٤٢٤ هـ .
- القزاز : الدكتور عبد الجبار- الدراسات اللغوية في العراق – ط ١ – دار الرشيد – بغداد – ١٩٨١ م .
- القفطي : جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ) - انباه الرواة على انباء النحاة – تحقيق – محمد أبو الفضل إبراهيم – ط١ – القاهرة – ١٩٥٠ م .

- القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي - صبح الأعشى – ط ٢ – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر – ١٩٦٣ م .
- القندوزي : الشيخ سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤ هـ) - ينابيع المودة لذوي القربى – تحقيق – سيد علي جمال أشرف الحسيني – ط ١- دار الأسوة – ١٤١٦ هـ .
- كاشف الغطاء : الشيخ عباس - الفائقة في النحو – مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الأشرف – ١٩٩٠ م .
- كاشف الغطاء : الشيخ علي - الكواكب الدرية في الأحكام النحوية – مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الأشرف – ١٩٩٨ م.
- كاشف الغطاء : الشيخ علي - نهج الصواب في حل مشكلات الإعراب – مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الاشرف – ١٩٩٦ م.
- كاشف الغطاء : علي - نظرات وتأملات – مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الأشرف – ٢٠٠٢ م .
- كاشف الغطاء : الشيخ محمد رضا - الصوت وماهيته في كتاب الفرق بين الضاد والضاء – تحقيق – خليل إبراهيم المشايخي – مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الأشرف – ٢٠٠٢ م .
- كاشف الغطاء : الشيخ محمد رضا - نقد المقترحات المصرية – مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الأشرف – ١٩٩٩٠ م.
- كاشف الغطاء : الشيخ هادي - بلغة النحاة في شرح الفائقة – مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الأشرف – ٢٠٠٢ م.
- الكرباسي : الشيخ محمد جعفر- مواقع حالات الإعراب – ط١ – مطبعة الجاحظ – بغداد – ١٩٩٣ م .
- الكليني : الشيخ محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ) - الكافي – تحقيق – علي أكبر غفاري – ط ٣ – دار الكتب الإسلامية – طهران – ١٣٨٨ هـ .

- المبارك : الدكتور عبد الحسين – فقه اللغة - ط١ – مطبعة جامعة البصرة – البصرة – ١٩٨٦ م .
- المبارك : الدكتور مازن - نحو وعي لغوي – بيروت – ١٩٧٩ م .
- المبرد : أبو العباس (ت ٢٨٥ هـ) - المقتضب – تحقيق – حسن حمد – ط١ – بيروت – ١٩٩٩ م .
- المتنبي :أبوالطيب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)- ديوان المتنبي- دارصادر - بيروت- ب ت.
- المخزومي : الدكتور مهدي - الدرس النحوي في بغداد – ط١ – بغداد – ١٩٧٤ م .
- المخزومي : الدكتور مهدي - في النحو العربي نقد وتوجيه – ط ١- المكتبة المصرية – ١٩٦٤ م .
- المخزومي : الدكتور مهدي - في النحو العربي نقد وتطبيق – ط ١ – مطبعة مصطفى بابي الحلبي – مصر – ١٩٦٦ م .
- المخزومي : الدكتور مهدي - الفراهيدي عبقري من البصرة – ط٢- بغداد ١٩٨٩ م .
- المخزومي : الدكتور مهدي - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو – ط ٢ – القاهرة – ١٩٥٨ م.
- المخزومي : الدكتور مهدي - من أعلام النحو العربي – سلسلة الموسوعة الصغيرة – بغداد – ١٩٨٠ م .
- المرادي : ابن أم القاسم (ت ٧٤٩ هـ) - شرح توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك – تحقيق – عبد الرحمن سليمان – القاهرة – ١٩٧٧م .
- المدرسي : السيد محمد تقي - تلخيص التشريع الإسلامي - قم / إيران - ٢٠٠٠م .
- مصطفى : إبراهيم - إحياء النحو - القاهرة - ١٩٥٩ م .

- مطلوب : الدكتور أحمد - حركة التعريب في العراق – مؤسسة الخليج – بغداد – ١٩٨٣ م .
- مطلوب : الدكتور أحمد - فصول في العربية - منشورات المجمع العلمي العراقي - بغداد - ٢٠٠٣ م .
- مطهري: مرتضى - الأصول الفقه – ترجمة – حسن علي الهاشمي – ط ١ – دار الكتاب الإسلامي – إيران – ٢٠٠١ م .
- المظفر: الشيخ محمد رضا - أصول الفقه – ط ٣- النجف الأشرف - ١٩٧١م .
- المفيد : محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) - الفصول المختارة - تحقيق - السيد مير علي شريفي - ط ٢- دار المفيد - بيروت- ١٩٩٣ م .
- المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق - محمد محيي الدين عبد الحميد - ط ١ - بيروت - ١٩٤٩ م .
- مكرم : الدكتور عبد العال سالم - المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنيين السابع والثامن الهجريين - ط١- دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٠م .
- المنصوري : الدكتور علي جابر - أبو علي الفارسي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية - ط١ - بغداد - ١٩٨٧ م .
- المنصوري : الدكتور علي جابر- الدلالة الزمنية في الجملة العربية – ط١ - مطبعة جامعة بغداد - بغداد - ١٩٨٤م .
- المهدي : محمد علي - الكنوز الذهبية في شرح وإعراب شواهد سيبويه الشعرية - ط١ - مطبعة الآداب - النجف الأشرف -١٩٧٤ م .
- الناصري : الشيخ محمد باقر - تهذيب الوصول إلى علم الأصول - ط ١ - إيران - ٢٠٠٥ م .
- ناصيف : الدكتور علي النجدي - سيبويه إمام النحاة - مصر - ١٩٥٣ م .

- النجفي : الشيخ بشير النجفي - مرقاة الأصول (بحوث تمهيدية في أصول الفقه) - ط ٢- دار الفقه للطباعة والنشر - ١٤٢٥ هـ.
- النجاشي : أبو العباس (ت ٤٥٠ هـ) - رجال النجاشي - تحقيق – السيد موسى الشبيري الزنجاني - ط٥ – إيران – ١٤١٦ هـ .
- النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٨٨ هـ) - شرح أبيات سيبويه - تحقيق - زهير غازي زاهر - النجف الأشرف- ١٩٧٤ م .
- النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد - معاني القرآن – تحقيق – الشيخ محمد علي الصابوني - مكة المكرمة - ١٩٨٨م .
- النعيمي : الدكتور حسام سعيد - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني - ط١ - بغداد - ١٩٨٠ م .
- نمر : الدكتور عبد المنعم أحمد - علم الفقه - بغداد -١٩٩٠ م .
- هارون : عبد السلام محمد - الأساليب الإنشائية في النحو العربي - مطبعة السنة المحمدية - مصر - ١٩٥٩ م .
- الوردي : الدكتور علي - أسطورة الأدب الرفيع - نسخة مصورة عن الأصل- قم /إيران - ب ت .
- **رابعاً: الصحف و المجلات والدوريات وشبكة المعلومات (الأنترنيت).**
- ابن رشد ومشروع التغيير - الدكتور محمد عابد الجابري - منشور على الموقع (www. aljabri abad.net) عام ٢٠٠٣م.
- إعادة ترتيب مسائل النحو وصياغة قوانين الإعراب - الدكتور محمد عابد الجابري- عام ٢٠٠٣ م . على الموقع السابق .
- جريدة الأهرام - عدد يوم الأحد ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٤ منشور على الموقع الالكتروني (www. Islam online.net) .
- حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر - العدد العاشر - ١٩٨٧ م .

- دائـرة المعـارف الإسـلامية ـ كتـاب الشـعب ـ بإشـراف / الاتحـاد الـدولي للمجامع العلمية ـ ط ١ـ مطبعة الشعب ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ م .
- مجلـة رسـالة الإسـلام ـ دار التقريـب الإسـلامي ـ القـاهرة ـ السـنة التاسـعة ـ العدد الرابع ١٩٥٧ م.
- مجلـة رسـالة الإسـلام ـ دار التقريـب الإسـلامي ـ القـاهرة ـ العـدد الثالـث ـ ١٩٥٨م .
- مجلـة رسـالة الثقليـين – تصـدر عـن المجمـع العلمـي لأهـل البيـت (ع) العدد(١١) ـ السنة الثالثة ـ ١٩٩٥ م .
- مجلـة الضـاد ـ تصـدر عن الهيئـة العليـا للعنايـة باللغـة العربيـة ـ الجمهوريـة العراقية ـ الجزء الثاني ـ ١٩٨٩ م .
- مجلـة الضـاد ـ تصـدر عن الهيئـة العليـا للعنايـة باللغـة العربيـة ـ الجمهوريـة العراقية ـ الجزء الثالث ـ ١٩٨٩ م .
- مجلـة المجمـع العلمـي العـرب ـ دمشـق ـ المجلـد (٢٤) ـ الجـزء(٣) ـ ١٩٤٩ م.
- مجلة مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ عدد خاص ـ تشرين الأول – ١٩٩٨م .
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ العدد (٣٩) السنة (١٤) ـ ١٩٩٠م
- مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد (٣٥) الجزء الأول ـ كـانون الثـاني ـ ١٩٨٤م .
- مجلة المعلم الجديد ـ المجلد (١٣) ـ بغداد ١٩٥٠ م .
- مجلة المعلم الجديد- المجلد (١٨) ـ الجزء (٦) ـ كانون الأول ـ ١٩٥٥م.
- مجلة لغة العرب ـ المجلد (٩) ـ الجزء (٢) ـ ١٩٣١ م .
- مجلــة كليــة الآداب / جامعــة البصــرة ـ الســنة التاســعة ـ العــدد (١١) ـ ١٩٧٦م.